

الجوهر اللطيف

شرح

مختار الحديث الشريف

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

عنوان الكتاب: اَلجَوْهَرُ اللَّطِيفْ شَرْحُ مُخْتَارِ الحَدَيْثِ الشَّرِيفْ

تأليف: عَلَوِي بْنِ عَبْدِالله بْنِ حُسَيْنِ العَيْدَرُوْسِ

عدد الصفحات: 286

قياس القطع: 17 × 24

التنفيد الطباعي:

مكتبة تريم الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

حضرموت – تريم

E.M: tmbs417130@hotmail.com + 967 5 417130 هاتف:

O.R: mab418130@hotmail.com + 967 5 418130 فاكس:

Facebook: مكتبة تريم الحديثة (مجموعة) + 967 777418130 جوال:

رقم الإيداع

بالهيئة العامة للكتاب

(   ) لعام 2017م

الجمهورية اليمنية

م/ حضرموت



الجوهر اللطيف

شرح

مختار الحديث الشريف

المتن للداعية إلى الله العلامة

الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

الشَّرْحُ للدَّاعِيَةِ

السَّيِّدِ/ عَلَوِي بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ حُسَيْنِ العَيْدَرُوْسِ



مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، والمن والامتنان، باعث صفوة خلقه من الإنس والجان، سيدنا ومولانا محمد عظيم الشأن، من أدّى الرسالة بأوضح بيان، حتى ظهر الحق وبان، وعمَّ نوره القاصي والدان، ففاز المقبلون عليه والمتبعون لتوجيهاته على ممر العصور والأزمان، وكان مصير المعرضين عنه وعن تعاليمه البعد والخسران، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله المطهرين من الأرجاس والأدران، وعلى صحابته الأكرمين أهل الصدق والعرفان، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الوقوف بين يدي الملك الرحمن، أما بعد..

فيقول العبد الفقير إلى إحسان مولاه القدوس: علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس غفر الله له: هذا شرح مبسط ميسر لكتاب شيخنا الإمام العلامة الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ بن الشيخ الشيخ أبي بكر بن سالم والمسمى: (**مختار الحديث الشريف**)، وهو عبارة عن اختصار لكتاب شيخه العلامة الحبيب محمد بن عبدالله الهدار عليه رحمة الله تعالى، وقد أحببت أن أضع له هذا الشرح ليسهل على الطالب معرفة معنى الأحاديث، ونقلت أقوال بعض أهل العلم في معانيها، وذلك رغبة مني في

الخدمة لسنة الحبيب الأعظم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ونيل بركة ونظر ودعاء سيدي ومولاي رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ونظر شيوخي، وعلى رأسهم مربي روحي، مَن الفقير حسنة من حسناته، والدي الإمام العلامة احبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ حفظه الله ورعاه.

وليس هذا الشرح بأول شرح لهذا الكتاب، فقد سبقه شرح للسيدة الشريفة إم إبراهيم بنت شيخنا العلامة الحبيب عبدالله بن محفوظ الحداد رحمه الله وأعلى له الدرجات، وهو المسمى: (**نزهة الناظرين**) فقد حازت سبق الشرح لهذا الكتاب المبارك، وقد أحسنت وأجادت، وبينت كثيراً من معاني الأحاديث، فجزاها الله عن أمة الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أعظم الجزاء.

وقد سميتُ شرحي هذا بعد مشاورة شيخي العلامة الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ: ((**الجوهر اللطيف شرح مختار الحديث الشريف**))، وحاولت أن أبين بعض المسائل المتعلقة ببعض الأحاديث لأهميتها، ونقل كلام بعض أهل العلم فيها لزيادة البيان، وقد أنقل في بعض الاحيان الخلاف بينهم في المسألة إن وجد؛ ليكون الطالب على دراية بالأقوال المتعلقة بهذه المسألة، وأشرت إلى مراجع الأقوال في هامش الكتاب لمن أراد الرجوع إلى أصل الأقوال أو الاستزادة منها، وحاولت بقدر الإمكان

تبسيط ألفاظ الشرح ومسائله حتى يسهل فهمها، كما وضعت لكل حديث عنواناً مناسباً له.

وطلبي ممن قرأه أن يصلح ما به من خطإٍ إن وُجِدَ، وأن يدعو لي ولوالدي ومشايخي وإخواني وأهل بيتي وأولادي ومن له حق علي.

أسأل الله تعالى أن يجعل فيه النفع والانتفاع، وأن يعم به الخير في شتّى البقاع، وأن يجعله سبباً للنجاة يوم القيامة، ومرافقة لنبينا المظلل بالغمامة، آمين اللهم آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وبارك وسلم

والحمد لله رب العالمين

كتبه

علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس

ليلة الخميس التاسع من شهر رجب الحرام سنة ١٤٣٨هـ

الموافق ٥ إبريل ٢٠١٧م

تريم الغناء صانها الله من كل سوء



الحديث الأول

أثر النية في العمل

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ.. فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا.. فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**)) رواه البخاري ومسلم.

۞ سبب الحديث:

ما أخرجه الإمام الطبراني بسند رجاله ثقات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر، فهاجر فزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس))، ولم يذكر الصحابة رضوان عليهم اسمه ستراً للرجل وإن كان ما فعله مباحاً أصلاً؛ بل قالوا: مهاجر أم قيس، فكان قصده بالهجرة من مكة إلى المدينة نية التزوج بها لا لقصد فضيلة الهجرة، فقال النبي ذلك، وبين مراتب الأعمال بالنيات.

ولم يعرف اسم المرأة التي هاجر من أجلها، ونقل عن ابن دحية أن اسمها قيلة بقاف مفتوحه ثم تحتانية ساكنه .

۞ شرح الحديث:

هذا الحديث من أهم الأحاديث التي يدور عليها مدار الشرع، فقد قال الإمام النووي في شرحه على صحيح الإمام مسلم:((قَوْله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْحَلَال بَيِّن وَالْحَرَام بَيِّن وَبَيْنهمَا مُشْتَبِهَات لَا يَعْلَمهُنَّ كَثِير مِنْ النَّاس .... إِلَى آخِره).. أَجْمَعَ الْعُلَمَاء عَلَى عِظَم وَقْع هَذَا الْحَدِيث، وَكَثْرَة فَوَائِده، قَالَ جَمَاعَة: هُوَ ثُلُث الْإِسْلَام، وَأَنَّ الْإِسْلَام يَدُور عَلَيْهِ، وَعَلَى حَدِيث: "الْأَعْمَال بِالنِّيَّةِ"، وَحَدِيث: "مِنْ حُسْن إِسْلَام الْمَرْء تَرْكه مَا لَا يَعْنِيه" .

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ السِّخْتِيَانِيّ: يَدُور عَلَى أَرْبَعَة أَحَادِيث: هَذِهِ الثَّلَاثَة، وَحَدِيث: "لَا يُؤْمِن أَحَدكُمْ حَتَّى يُحِبّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبّ لِنَفْسِهِ" وَقِيلَ: حَدِيث "اِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبّك اللهُ، وَازْهَدْ مَا فِي أَيْدِي النَّاس يُحِبّك النَّاس".)) اهـ.[١]

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاض كما في شرح سنن النسائي للإمام السيوطي:((رُوِيَ عَنْ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيّ قَالَ كَتَبْت عَنْ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم خَمْسمِائَةِ أَلْف حَدِيث الثَّابِت مِنْهَا أَرْبَعَة آلَاف حَدِيث، وَهِيَ تَرْجِع إِلَى أَرْبَعَة أَحَادِيث قَوْله عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام (إِنَّمَا

(١) شرح صحيح مسلم (١١/ ٢٠)

الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) وَقَوْله (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمُرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيه) وَقَوْله (الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ) وَقَوْله (لَا يَكُون الْمُرْء مُؤْمِناً حَتَّى يَرْضَى لِأَخِيهِ مَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ) وَرُوِيَ مَكَان هَذَا (اِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّك الله الْحَدِيث))) اهـ.[1]

وَقَدْ نَظَمَ هَذَا أَبُو الْحَسَن طَاهِر بْن مُفْرِز فِي بَيْتَيْنِ فَقَالَ:

عُمْـدَةُ الـدِّينِ عِنْـدَنَا كَلِـمَاتٌ   أَرْبَـعٌ مِـنْ كَـلَامِ خَـيْرِ الْبَرِيَّـهْ
اِتَّـقِ الشُّـبُهَاتِ وَازْهَــدْ وَدَعْ   مَا لَـيْسَ يَعْنِيـكَ وَاعْمَلَـنَ بِنِيَّـهْ

وروي عن أبي داود أيضا كما في (طرح التريب):((الْفِقْهُ يَدُورُ عَلَى خَمْسَةِ أَحَادِيثَ: (الْحَلَالُ بَيِّنٌ)، وَ (الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)، وَ (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ)، وَ (مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)، وَ (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)) اهـ.[2]

وسبب ذلك أن كسب العبد يكون بقلبه ولسانه وجوارحه والنية أحد الأقسام الثلاثة.

وروي عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال يدخل هذا الحديث في سبعين باباً من الفقه، وقال جماعة من العلماء هذا الحديث ثلث الإسلام.

---

(١) شرح السنن (٦/ ١٣٦).

(٢) طرح التثريب (١/ ١٥٣).

واستحب العلماء أن تستفتح المصنفات بهذا الحديث، وممن ابتدأ به في أول كتابه الإمامُ أبو عبد الله البخاري، وقال عبد الرحمن بن مهدي، ينبغي لكل من صنف كتاباً أن يبتدئ فيه بهذا الحديث تنبيهاً للطالب على تصحيح النية.

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((إِنَّمَا)) لفظة موضوعة للحصر، تفيد إثبات المذكور وتنفي ما سواه، وهي لتقوية الحكم المذكور بعدها اتفاقاً، ولذا وجب كونه معلوماً للمخاطب أو في منزلته، والحصر وبمعناه القصر: إثبات الحكم لما بعدها ونفيه عما عداه لورودها لذلك في كلامهم غالباً.[١]

قال الإمام النووي في شرحه على الأربعين: ((وهي تارة تقتضي الحصر، وتارة تقتضي حصراً مخصوصاً، يفهم ذلك بالقرائن كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ﴾ {النازعات: ٤٥}، فظاهر الحصر في النذارة، والرسول لا ينحصر في ذلك؛ بل له أوصاف كثيرة جميلة كالبشارة وغيرها، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ {محمد: ٣٦}، فظاهره – والله أعلم – الحصر باعتبار من آثرها، وأما بالنسبة إلى ما في نفس الأمر.. فقد تكون سبباً إلى الخيرات، ويكون ذلك من باب التغليب، فإذا وردت هذه اللفظة.. فاعتبرها، فإن دل السياق والمقصود من الكلام على الحصر في شيء

(١) انظر: دليل الفالحين (١/ ٣٦).

مخصوص.. فقل به، وإلا.. فاحمل الحصر على الإطلاق، ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم: " إنما الأعمال بالنيات ")). اهـ[1]

((**الْأَعْمَالُ**)): جمع عمل، وهو حركة البدن، ويتجوز به عن حركة النفس، والمراد هنا: عمل الجوارح، وإلا لشمل النية، إذ هي عمل القلب فتفتقر لنية فيتسلسل.

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): ((والتقدير: الأعمال الصادرة من المكلفين، وعلى هذا هل تخرج أعمال الكفار؟ الظاهر الإخراج؛ لأن المراد بالأعمال أعمال العبادة، وهي لا تصح من الكافر، وإن كان مخاطباً بها معاقباً على تركها، ولا يرد العتق والصدقة؛ لأنهما بدليل آخر)) اهـ.[2]

وهل تشمل الأعمال الأقوال؟

اختلف أهل العلم في ذلك إلى ثلاثة أقوال:

الأول: أنها تشمل الأقوال لأنها من حركة البدن كما قال المناوي، وبه قال ابن دقيق العيد.

الثاني: أنها لا تشمل القول.

الثالث: وهو التحقيق - كما قاله الحافظ ابن حجر - أن القول لا يدخل في العمل حقيقة، ويدخل مجازاً.

---

(١) شرح الأربعين النووية (٦).

(٢) فتح الباري (١/ ٩).

قال في (فتح الباري) : ((ثم لفظ العمل يتناول فعل الجوارح حتى اللسان، فتدخل الأقوال، قال بن دقيق العيد: وأخرج بعضهم الأقوال، وهو بعيد، ولا تردد عندي في أن الحديث يتناولها، وأما المتروك.. فهي وأن كانت فعل كف لكن لا يطلق عليها لفظ العمل، وقد تعقب على من يسمى القول عملاً لكونه عمل اللسان بأن من حلف لا يعمل عملاً فقال قولاً لا يحنث، وأجيب: بأن مرجع اليمين إلى العرف، والقول لا يسمى عملاً في العرف؛ ولهذا يعطف عليه، والتحقيق أن القول لا يدخل في العمل حقيقة، ويدخل مجازا، وكذا الفعل؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ {الأنعام: ١١٢} بعد قوله: ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ﴾، وأما عمل القلب كالنية.. فلا يتناولها الحديث؛ لئلا يلزم التسلسل)). اهـ[١]

((**بِالنِّيَّاتِ**)): النيات جمع نية، وهي لغة القصد، وشرعاً قصد الشي مقترناً بفعله إلا في الصوم والزكاة لعسر ذلك، فإن تراخى الفعل.. سمي عزماً. والباء فيها هنا للمصاحبة، ويحتمل أن تكون للسببية، بمعنى: أنها مقومة للعمل، فكأنها سبب في ايجاده، وعلى الأول، أي: المصاحبة.. فهي من نفس العمل، فيشترط أن لا تتخلف عن أوله.

(١) فتح الباري (١/ ١٠).

قال الحافظ ابن حجر: ((واختلف الفقهاء هل هي ركن أو شرط؟ والمرجَّح أن إيجادها ذكراً في أول العمل.. ركن، واستصحابها حكما بمعنى أن لا يأتي بمناف شرعاً.. شرط)). اهـ[1]

وقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**)).. هذا التركيب يفيد الحصر عند المحققين من جمهور الأصوليين، واختلف في وجه افادت هذا التركيب، فقيل: لأن الأعمال جمع محلى بالألف واللام مفيد للاستغراق، وهو مستلزم للقصر؛ لأن معناه كل عمل بنية، فلا عمل إلا بنية، وقيل: لأن إنما للحصر.

وهل إفادتها للحصر بالمنطوق، أو بالمفهوم، أو تفيد الحصر بالوضع، أو العرف، أو تفيده بالحقيقة، أو بالمجاز؟

قال الحافظ ابن حجر: ((ومقتضى كلام الإمام وأتباعه.. أنها تفيده بالمنطوق وضعاً حقيقياً؛ بل نقله شيخنا شيخ الإسلام عن جميع أهل الأصول من المذاهب الأربعة الا اليسير كالآمدي)). اهـ

قال بن دقيق العيد: استدل على إفادة إنما للحصر بأن بن عباس رضي الله عنهما استدل على أن الربا لا يكون الا في النسيئة بحديث ((إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ)) أخرجه مسلم، وعارضه جماعة من الصحابة في الحكم، ولم

(١) فتح الباري (١/ ١٠).

يخالفوه في فهمه، فكان كالاتفاق منهم على أنها تفيد الحصر. اهـ، وتعقبه بعضهم: باحتمال أن يكون الصحابة رضي الله عنهم قد تركوا المعارضة بذلك تنزلاً.(١)

وخالف أهلُ العربية الأصوليينَ فقالوا: بأنها ليست للحصر، واحتج بعضهم بأنها لو كانت للحصر.. لما حسن: إنما قام زيد، في جواب هل قام عمرو؟ أجيب: بأنه يصح أنه يقع في مثل هذا الجواب: ما قام إلا زيد، وهي للحصر اتفاقاً.

((**وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ**)) أي: إنسان، ذكراً أو أنثى.

((**مَا نَوَى**))؛ أي: ما قصده من الخير والشر والإخلاص والرياء والسمعة، ونحوها من مقاصد الدنيا والآخرة.

قال القرطبي: فيه تحقيق لاشتراط النية، والإخلاص في الأعمال، فجنح إلى أنها مؤكدة.

وقال غيره: بل تفيد غير ما أفادته الأولى؛ لأن الأولى نبهت على أن العمل يتبع النية ويصاحبها، فيترتب الحكم على ذلك، والثانية أفادت أن العامل لا يحصل له الا ما نواه.

---

(١) انظر: فتح الباري (١/ ٩).

وقال بن دقيق العيد: الجملة الثانية تقتضي أن من نوى شيئاً.. يحصل له، يعني: إذا عمله بشرائطه، أو حال دون عمله له ما يعذر شرعا بعدم عمله، وكل ما لم ينوه لم يحصل له. اهـ، قال الحافظ ابن حجر: ((ومراده بقوله: ما لم ينوه.. أي: لا خصوصاً ولا عموماً، أما إذا لم ينو شيئاً مخصوصاً؛ لكن كانت هناك نية عامة تشمله.. فهذا مما اختلفت فيه أنظار العلماء، ويتخرج عليه من المسائل ما لا يحصى وقد يحصل غير المنوي لمدرك آخر، كمن دخل المسجد فصلى الفرض أو الراتبة قبل أن يقعد، فأنه يحصل له تحية المسجد نواها أو لم ينوها؛ لأن القصد بالتحية شغل البقعة وقد حصل، وهذا بخلاف من اغتسل يوم الجمعة عن الجنابة، فأنه لا يحصل له غسل الجمعة على الراجح؛ لأن غسل الجمعة ينظر فيه إلى التعبد لا إلى محض التنظيف، فلا بد فيه من القصد إليه بخلاف تحية المسجد والله أعلم)). اهـ[1]

وقال في (دليل الفالحين): ((الجملة السابقة لبيان أن الأعمال لا يعتد بها شرعاً إلا بالنية الموحدة لها، وهذه الحملة لبيان أن جزاء العامل على عمله بحسب نيته من خير أو شر، وبيان أن العمل لا يجزي إلا إن عينت نيته. قلت فتختص حينئذٍ بما يعتبر في نيته التعيين من نحو صلاة الفرض

---

(١) فتح الباري (١/ ١١).

والنفل المرتب، أو تعم مطلق العبادة المعتبر فيها النية ويراد أن الذي له من عمله الموجود شرعاً بالنية هو ما قصده به من وجه الله سبحانه فيثاب أو الرياء للعباد فيمنع الثواب. وقيل مفاد هذه الجملة امتناع النيابة في النية الشامل لها الجملة الأولى، وصحة نية الولي عن الصبي والأجير عن المحجوج عنه لمعنى يخصه هو عدم تأهل المنوي عنه لها فيهما، وقيل هذه الجملة مؤكدة للأولى تنبيها على سر الإخلاص وفيه أن تنبيهها على ذلك يمنع إطلاق كونها مؤكدة فعلم سر تأخير هذه الجملة، أنهما متغايرتان وأنه لولا تعقيب تلك بهذه لأوهمت تلك صحة النية بلا تعيين وأنه يلزمها الثواب)). اهـ[1]

((**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**)): الهجرة: الترك، والهجرة إلى الشيء الانتقال إليه عن غيره.

وفي الشرع: ترك ما نهى الله عنه، بقول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ)). أخرجه البخاري، وقد وقعت الهجرة في الإسلام على وجهين:

الأول: الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرتي الحبشة، وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة.

---

(١) دليل الفالحين (١/ ٣٨).

الثاني: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان، وذلك بعد أن استقر النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بالمدينة، وهاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين، وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة إلى أن فتحت مكة فانقطع الاختصاص، فقال النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ)) أخرجه البخاري ومسلم، والمراد منه: لا هجرة بعد فتح مكة منها؛ لأنها صارت دار الإسلام، وبقي عموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقياً.

والمراد بهجرته إلى الله ورسوله: أي إلى مرضاتهما، قصداً ونية، فهو كناية عن الإخلاص.

((**فَهِجْرَتُهُ**)) ببدنه وجوارحه.

((**إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**)) أي: ثواباً وخيراً، فالجزاء كناية عن شرف الهجرة وكونها بمكانة عنده تعالى، أو كونها مقبولة مرضية.

((**وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا**)) بضم الدال، وحكى بن قتيبة كسرها، وهي: فعلى من الدنو، أي: القرب، سميت بذلك لسبقها للأخرى، وقيل: سميت دنيا لدنوها إلى الزوال.

ما هي حقيقة الدنيا؟

اختلف أهل العلم في حقيقتها، فقيل: ما على الأرض من الهواء والجو،

وقيل: كل المخلوقات من الجواهر والاعراض،

والأول أولى؛ لكن يزاد فيه مما قبل قيام الساعة، ويطلق على كل جزء منها مجازاً.[(١)]

((**يُصِيبُهَا**))؛ أي: يحصلها؛ لأن تحصيلها كإصابة الغرض بالسهم بجامع حصول المقصود.

((**أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا**))، أي: يتزوجها، ولو قيل: ما فائدة التنصيص على المرأة مع كونها داخلة في مسمى الدنيا ؟

فالجواب على ذلك من وجوه، وهي:

الأول: أنه للتنبيه على زيادة التحذير؛ لأن الافتتان بها أشد، فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام كما في قوله تعالى: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ {البقرة: ٢٣٨}، وقوله: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ {البقرة: ٩٨}.

الثاني: وبه تعقب الامام النووي الوجه الأول فقال: أنه لا يلزم دخولها في هذه الصيغة؛ لأن لفظة دنيا نكرة، وهي لا تعم في الأثبات، فلا تقتضي دخول المرأة فيها.

---

(١) انظر: فتح الباري (١/ ١٤).

الثالث: ما قاله ابن بطال عن ابن سراج: أنه إنما خص المرأة بالذكر من بين سائر الأشياء في هذا الحديث؛ لأن العرب كانت في الجاهلية لا تزوج المولى العربية، ولا يزوجون بناتهم إلا من الأكفاء في النسب، فلما جاء الإسلام سوى بين المسلمين في مناكحهم، وصار كل واحد من المسلمين كفؤا لصاحبه، فهاجر كثير من الناس إلى المدينة ليتزوج بها. اهـ.(١)

الرابع: أن هذا الحديث ورد على سبب، وهو أنه لما أمر بالهجرة من مكة إلى المدينة.. تخلف جماعة عنها، فذمهم الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ﴾ {النساء: ٩٧}، ولم يهاجر جماعة لفقد استطاعتهم، فعذرهم واستثناهم بقوله: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ {النساء: ٩٨}، وهاجر المخلصون إليه فمدحهم في غير ما موضع من كتابه، وكان في المهاجرين جماعة خالفت نيتهم نية المخلصين منهم، فمنهم من كانت نيته تزوج امرأة كانت بالمدينة من المهاجرين، كما بيّنّا ذلك في سبب الحديث.

((**فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**))؛ أي: مما نواه وقَصَدَهُ ومفهومه أن هجرته مذمومة غير مقبولة. قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): ((وقال

---

(١) انظر: عمدة القاري (١/ ٧٢).

الكرماني: يحتمل أن يكون قوله: (إلى ما هاجر إليه) متعلقا بالهجرة، فيكون الخبر محذوفاً، والتقدير: قبيحة، أو غير صحيحة مثلاً، ويحتمل أن يكون خبر فهجرته، والجملة خبر المبتدأ الذي هو من كانت انتهى.

وهذا الثاني هو الراجح؛ لأن الأول يقتضى أن تلك الهجرة مذمومة مطلقاً، وليس كذلك؛ إلا أن حمل على تقدير شيء يقتضى التردد أو القصور عن الهجرة الخالصة، كمن نوى بهجرته مفارقة دار الكفر وتزوج المرأة معاً، فلا تكون قبيحة ولا غير صحيحة؛ بل هي ناقصة بالنسبة إلى من كانت هجرته خالصة، وإنما أشعر السياق بذم من فعل ذلك بالنسبة إلى من طلب المرأة بصورة الهجرة الخالصة، فأما من طلبها مضمومة إلى الهجرة.. فإنه يثاب على قصد الهجرة؛ لكن دون ثواب من أخلص، وكذا من طلب التزويج فقط لا على صورة الهجرة إلى الله؛ لأنه من الأمر المباح الذي قد يثاب فاعله إذا قصد به القربة كالإعفاف)). اهـ[1]

ونجده صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في المرة الأولى قال: ((فهجرته إلى الله ورسوله))، ثم لما ذكر الهجرة للدنيا.. قال: ((فهجرته إلى ما هاجر إليه))، ولم يقل: فهجرته إلى الدنيا، وقد بيّن أهل العلم سبب ذلك، فقد قال الإمام المناوي في كتابه (فيض القدير): ((وأورد الظاهر في

---

(١) فتح الباري (١/ ١٥).

الجملة الأولى تبركاً والتذاذا بذكر الحق جل وعز ورسوله عليه السلام تعظيما لهما بالتكرار، وتركه هنا حثاً على الإعراض عن الدنيا والنساء، وعدم الاحتفال بشأنهما، وتنبيهاً على أن العدول عن ذكرهما أبلغ في الزجر عن قصدهما.

فكأنه قال: إلى ما هاجر إليه وهو حقير لا يجدي؛ ولأن ذكرهما يحلو عند العامة، فلو كرر.. ربما علق بقلب بعضهم، فرضي به، وظنه العيش الكامل، فضرب عنهما صفحاً لذلك، وذم قاصد أحدهما، وإن قصد مباحاً؛ لكونه خرج لطلب فضيلة الهجرة ظاهرا وأبطن غيره)). اهـ[1]

وقال الحافظ ابن حجر: ((وإنما ابرز الضمير في الجملة التي قبلها وهي المحذوفة.. لقصد الالتذاذ بذكر الله ورسوله وعظم شأنهما، بخلاف الدنيا والمرأة، فإن السياق يشعر بالحث على الإعراض عنهما)). اهـ[2]

۞ لطيفة في شرح الحديث عند أصحاب الإشارات:

قال في (دليل الفالحين): ((وقال أرباب الإشارات من العارفين: «إنما الأعمال بالنيات» يتعلق بما وقع في القلوب من أنوار الغيوب، والنية جعل الهمّ في تنفيذ العمل للمعمول له:

وألا يسنح في السرّ ذكر غيره ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

---

(١) فيض القدير (١/ ٥٨).

(٢) فتح الباري (١/ ١٥).

فنية العوام في طلب الأعراض مع نسيان الفضل، ونية الجهال التحصن عن سوء القضاء ونزول البلاء، ونية أهل النفاق التزين عند الله وعند الناس، ونية العلماء إقامة الطاعات لحرمة ناصبها لا لحرمتها، ونية أهل التصوّف ترك الاعتماد على ما يظهر منهم من الطاعات، ونية أهل الحقيقة ربوبية تولد عبودية «وإنما لكل امرئ ما نوى» من مطالب السعداء، وهي الخلاص عن الدركات السفلى والفوز بالدرجات العليا، وهي المعرفة والتوحيد والعلم والطاعة والأخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن أنانيته والبقاء بهويته، أو من مقاصد الأشقياء، وهي ما يبعد عن الحق «فمن كانت هجرته» أي: خروجه من مقامه الذي هو فيه سواء كان استعداده الذي جبل عليه أو منزلاً من منازل النفس، «إلى الله» لتحصيل مراضيه، «ورسوله» باتباع أمره وأخلاقه.. «فهجرته إلى الله ورسوله»، فتخرجهم العناية الإلهية من ظلمات الحدوث والفناء إلى نور الشهود والبقاء، «ومن كانت هجرته إلى دنيا» أي: لتحصيل شهوة الحرص على المال والجاه والخيلاء وغيرها، فيبقى مهجوراً عن الحق في أوطان الغربة، له نار الفرقة، نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة لا نار الجحيم التي لا تحرق إلا الجلد ولا تخلص إلى القلب)). اهـ[١]

(١) دليل الفالحين (١/ ٤٠).

فوائد الحديث:

١. الإخلاص أساس في قبول الأعمال.

٢. الحث على طلب مرضاة الله وعبادته بشيء من الطمأنينة ولو بالهجرة من الوطن إن لم يقدر على تحصيل ذلك فيها.

٣. بيان فضل الهجرة لله ورسوله.

٤. أن الأفعال إذا فعلها المكلف على سبيل العادة لم يترتب عليها الثواب لمجرد فعلها، وإن كان الفعل وإن كان صحيحاً، إلا إن قصد بها التقرب إلى الله.

٥. ما قاله الحافظ ابن حجر، حيث قال: ((واستدل بهذا الحديث على أنه لا يجوز الإقدام على العمل قبل معرفة الحكم؛ لأن فيه أن العمل يكون منتفياً إذا خلا عن النية، ولا يصح نية فعل الشيء إلا بعد معرفة حكمه، وعلى أن الغافل لا تكليف عليه؛ لأن القصد يستلزم العلم بالمقصود، والغافل غير قاصد)). اهـ[١]



(١) فتح الباري (١/ ١٦).

الحديث الثاني

الخصومة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ**)) رواه البخاري ومسلم.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وسلم: ((**أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ**)) أي: أبعد الرجال عن الله سبحانه وتعالى، وإذا كان أبعد الرجال عن الله فإنه سيكون أبعد الرجال عن عباد الله، وليس المراد بقوله: الرجال الذكور؛ بل كل إنسان سواء كان رجلاً أو أنثى، وإنما ذكر الرجل هنا لأنه يكثر منه الخصام.

((الْأَلَدُّ))؛ أي: الشديد اللدد، أي الجدال مشتق من اللديدين، وهما صفحتا العنق.

قال الإمام النووي: ((مَأْخُوذ مِنْ لَدِيدَيْ الْوَادِي وَهُمَا جَانِبَاهُ ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا اُحْتُجَّ عَلَيْهِ بِحُجَّةٍ أَخَذَ فِي جَانِب آخَر)). اهـ[١]

وقال بعضهم: أن الألد مشتق من اللدد، وهو الاعوجاج والانحراف عن الحق، وأصله من اللديد، وهو جانب الوادي، ويطلق على جانب الفم، ومنه اللدود وهو صب الدواء منحرفا عن وسط الفم إلى جانبه.[٢]

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٦/ ٢٩٥).

(٢) انظر: فتح الباري (١٣/ ٢٠٦).

((**الْخَصِمُ**))؛ هو الحاذق بالخصومة، أي: الشديد فيها، فإن الخصم من صيغ المبالغة، فيحتمل الشدة ويحتمل الكثرة، أي: كثرة الخصومة، فمن أي جانب أخذ في الخصومة قوي.

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): ((قال الكرماني: الأبغض هو الكافر، فمعنى الحديث أبغض الرجال الكفار الكافر المعاند. أو بعض الرجال المخاصمين، قلت: والثاني هو المعتمد، وهو أعم من أن يكون كافراً أو مسلماً، فإن كان كافراً.. فأفعل التفضيل في حقه على حقيقتها في العموم، وإن كان مسلماً.. فسبب البغض أن كثرة المخاصمة تفضي غالبا إلى ما يذم صاحبه، أو يخص في حق المسلمين بمن خاصم في باطل، ويشهد للأول حديث: (كفى بك إثما أن لا تزال مخاصماً) أخرجه الطبراني عن أبي امامة بسند ضعيف)). اهـ[١]

۞ مهمة:

والمذموم في الخصومة هو الخصومة بالباطل في رفع حق، أو إثبات باطل، لا العكس، فإن الخصومة في إثبات حق أو إبطال باطل ليست مذمومة.

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٠٧).

فوائد الحديث:

١. إن الإسلام أمر باللين في كل شيء.

٢. الحث على المسامحة ما أمكن، والتجاوز عن هفوات الآخرين ما استطاع.

٣. الجدال بالباطل أمر ذمّه الشرع، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم انه قال: ((أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ)) أخرجه أبو داود.




الحديث الثالث

مراقبة الله تعالى

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**)) حديث حسن رواه الترمذي.

۞ سبب الحديث:

أن الصحابي الجليل أبا ذر الغفاري رضي الله عنه طلب الوصية من النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حينما أسلم، كما في رواية الإمام أحمد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))، وورد أيضاً أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال ذلك لسيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**اتَّقِ اللهَ**)): هو أمر منه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بالمداومة على التقوى في السر والعلن، وهي: امتثال أمر الله واجتناب نواهيه.

((**حَيْثُمَا كُنْتَ**))؛ أي: في أيّ زمان وأيّ مكان كنت حيث يراك الناس وحيث لا يرونك؛ اكتفاء بنظره تعالى، فإن الله مطلع على الظواهر والخفايا،

تعالى قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ {النساء: ١}، وهذا من جوامع كلمة، فإن التقوى وإن قلّ لفظها جامعة لحقوقه تعالى، إذ هي اجتناب كل منهيّ عنه وفعل كل مأمور به، فمن فعل ذلك فهو من المتقين الذين شرفهم الله تعالى في كتابه بأنواع من الكمالات، ثم نبه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم على تدارك ما عساه يفرط من تقصيره في بعض الأوامر والتورط في بعض النواهي، فقال:

((**وَأَتْبِعْ**))؛ أي: ألحِق.

((**السَّيِّئَةَ**)) - والتي هي ترك بعض الواجبات، أو ارتكاب بعض المحظورات - الصادرة منك صغيرة، وكذا كبيرة كما اقتضاه ظاهر الخبر.

((**الْحَسَنَةَ**)): وهي التوبة من السيئة، وذلك بصلاة أو صدقة أو استغفارا أو تسبيحا أو غيرها.

((**تَمْحُهَا**))، أي تزيلها من الحيفة، وهو ظاهر الحديث وظاهر قوله تعالى: (إن الحسنات يذهبن السيئات)، وقيل: لا تمحى من الصحيفة إنما لا يؤاخذ بها فقط، قال في (دليل الفالحين): ((وقيل: عبر به عن ترك المؤاخذة بها فهي موجودة فيها بلا محو إلى يوم القيامة، وهذا تجوّز يحتاج لدليل وإن نقله القرطبي في «تذكرته». وقال بعض المفسرين: إنه الصحيح عند المحققين. ثم هذا في الصغائر المتعلقة بحق الله تعالى، أما الكبائر فلا

يكفرها. على الصحيح ـ إلا التوبة بشروطها، وحينئذٍ يصح إدخالها في الحديث بأن يراد بالسيئة ما يعمّ الكبيرة، وبالحسنة ما يشمل التوبة منها، وأما التبعات فلا يكفرها إلا إرضاء أصحابها)) اهـ[١]، وقال في (فيض القدير): ((قال ابن عربي: والحسنة تمحو السيئة سواء كانت قبلها أو بعدها، وكونها بعدها أولى؛ إذ الأفعال تصدر عن القلوب وتتأثر بها، فإذا فعل سيئة.. فقد تمكن في القلب اختيارها، فإذا أتبعها حسنة.. نشأت عن اختيار في القلب، فتمحو ذلك، وظاهر قوله: (تمحها) أنها تزال حقيقة من الصحيفة، وقيل: عبر به عن ترك المؤاخذة، ثم إن ذا يخص من عمومه السيئة المتعلقة بآدمي، فلا يمحها إلا الاستحلال مع بيان جهة الظلامة إن أمكن ولم يترتب عليه مفسدة، وإلا.. فالمرجو كفاية الاستغفار والدعاء)). اهـ[٢]

((**وَخَالِقْ النَّاسَ**))؛ أي: عاملهم.

((**بِخُلُقٍ حَسَنٍ**))، والخلق بالضم الطبع والسجية، والخلق الحسن عرفاً هو: ملكة نفسانية تحمل على فعل الجميل وتجنب القبيح، وعرف الإمام الغزالي مطلق الخلق فقال: الخُلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة،

---

(١) دليل الفالحين (١/ ١٩٠).

(٢) فيض القدير (١/ ٢٠٣).

عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً.. سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة.. سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً شيئاً. اهـ[1]

والمعنى: أي تكلف معاشرتهم بالمجاملة من نحو طلاقة وجه، وحلم، وشفقة، وخفض جانب، وعدم ظن السوء بهم، وتودد إلى كل كبير وصغير، وتلطف في سياستهم مع تباين طباعهم.

وقال بعضهم: هو أن تفعل معهم ما تحبّ أن يفعلوه معك، فتجتمع القلوب، ويتفق السرّ والعلانية، وحينئذٍ يأمن كيد الكائد، وذلك جماع الخير وملاك الأمر.

۞ فوائد الحديث:

١. لزوم تقوى الله تعالى بامتثال أمره واجتناب نهيه.

٢. المسارعة إلى التوبة كلما وقع الإنسان في الزلل، وإن الإتيان بالحسنة عقب السيئة يمحو السيئة، وهذا من فضل الله تعالى على عباده، فإنه لا بد أن يقع منه أحيانا تفريط، فليس هناك معصوم من البشر إلا الأنبياء والرسل.

٣. وجودب التخلق بالأخلاق الحسنة، ومعاملة الناس بما تحب أن يعاملوك به.

---

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ٢٥٣).

الحديث الرابع

فضل البقاع

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا**)) رواه مسلم.

۞ سبب الحديث:

ما أخرجه الإمام أحمد عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ؟ قَالَ، فَقَالَ: ((لَا أَدْرِي))، فَلَمَّا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام.. قَالَ: ((يَا جِبْرِيلُ أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ؟))، قَالَ: لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، فَانْطَلَقَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ؟ فَقَالَ: أَسْوَاقُهَا.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ**))؛ أي: أحب أماكن البلاد، ويمكن أن يراد بالبلد المأوى، فلا تقدير حينئذٍ.

قال الراغب: والبلد المكان المحدود المتأثر باجتماع قطانه وإقامتهم فيه،

وتسمى المفازة بلداً؛ لكونها محل الوحشيات، والمقبرة بلداً؛ لكونها موطنا للأموات. اهـ(١)

((**مَسَاجِدُهَا**))، وهو المكان الموقوف على الدوام للصلاة خصوصاً والعبادة عموماً، فيمنع الجنب وكذا الحائض والنفساء من المكث فيه والتردد، ويصح الاعتكاف فيه.

وصارت أحب أماكن البلاد؛ لأنها بيوت الله، وبيوت الطاعات، وأساسها على التقوى، ومحل تنزل الرحمة.

((**وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ**)) أي: أبغض أماكن البلد.

((**أَسْوَاقُهَا**)): جمع سوق، سميت به لأن البضائع تساق إليها، وإنما كانت أبغض البلاد، لأنها محل الغفلة، والغش، والخداع، والربا، والأيمان الكاذبة، والطمع، والخيانة، والحرص على الفتن، وإخلاف الوعد، والإعراض عن ذكر الله تعالى، وغير ذلك مما في معناه.

قال الإمام النووي: ((وَالْحُبّ وَالْبُغْض مِنْ اللهَّ تَعَالَى إِرَادَته الْخَيْر وَالشَّرّ أَوْ فِعْله ذَلِكَ بِمَنْ أَسْعَده أَوْ أَشْقَاهُ. وَالْمُسَاجِد مَحَلّ نُزُول الرَّحْمَة، وَالْأَسْوَاق ضِدّهَا)). اهـ(٢)

---

(١) انظر: فيض القدير (١/ ٢٨٥).

(٢) شرح صحيح مسلم (٥/ ١١٥).

❁ هل في كلام النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ذماً لذات السوق؟

قال جمع من أهل العلم: المراد بمحبة المساجد محبة ما يقع فيها من القرب، وببغض الأسواق بغض ما يقع فيها من المعاصي مما غلب على أهلها من استيلاء الغفلة على قلوبهم ،وشغل حواسهم بما وضع لهم من التدبير، فإليه ينظرون، وإليه يطلبون، والأسواق معدن النوال، ومظان الأرزاق والأفضال، وهي مملكة وضعها الله لأهل الدنيا يتداولون فيها ملك الأشياء؛ لكن أهل الغفلة إذا دخلوها.. تعلقت قلوبهم بهذه الأسباب، فاتخذوها دولاً، فصارت عليهم فتنة، فكانت أبغض البقاع من هذه الجهة، وإلا فالسوق رحمة من الله تعالى، جعله معاشاً لخلقه، يذر عليهم أرزاقهم فيها من قطر وقطر؛ لتوجد تلك الأشياء عند الحاجة، ولو لم يكن ذلك لاحتاج كل منّا إلى تعلم جميع الحرف، والترحال إلى البلاد ليلاً ونهاراً، فوضع السوق نعمة، وأهل الغفلة صدوا عن هذه الرحمة، ودنسوا نفوسهم بتعاطي الخطايا فيه، فصارت عليهم نقمة، وأما أهل اليقين.. فهم وإن دخلوها قلوبهم متعلقة بتدبير الله، فسلموا من فتنها، ومن ثَمَّ كان المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يدخل السوق ويشتري ويبيع.

۞ فائدة:

قال الطيبي: تسمية المساجد والأسواق بالبلاد خصوصاً تلميح إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ {الأعراف: ٥٨}، وذلك لأن زوار المساجد ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ {النور: ٣٧}، وقصَّاد الأسواق شياطين الجن والإنس من الغفلة والحرص والشره، وذلك لا يزيد إلا بعداً من الله ومن أوليائه، ولا يورث إلا دنوا من الشيطان وأحزابه، اللهم إلا من يغدو إلى طلب الحلال الذي يصون به عرضه ودينه (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه).

۞ لِمَا قرن النبي المساجد بالأسواق مع وجود ما هو شر من الأسواق من البقاع؟

الجواب: ليقابل بين معنى الالتهاء والاشتغال، وأن الأمر الديني يدفعه الأمر الدنيوي.

۞ فوائد الحديث:

١. بيان فضل المساجد والتردد عليها.

٢. الحث على محبة المساجد ومحبة الجلوس فيها؛ لأنها أماكن نزول الرحمة.

٣. التحذير من كثرة التردد على السوق إلا لحاجة، فيقضي حاجته ويخرج منه؛ لأنه تكثر فيه الغفلة عن الله من أهل الغفلة، أما الذاكرين الله فيه.. فلهم أجر كبير كما جاء في حديثه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((مَنْ قَالَ فِي سُوقٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.. كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ بِهَا أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)) أخرجه أحمد.



الحديث الخامس

حب أهل البيت الطاهر

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي**)) رواه الترمذي.

۞ شرح الحديث :

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**أَحِبُّوا الله**))، أي: وجوباً.

((**لِمَا**))، أي: لأجل ما ((**يَغْذُوكُمْ بِهِ**)): من الغِذاء بالكسر ككساء، وهو ما به نماء الجسم وقوامه، وهو أعم من الغَذاء بالفتح، إذ كل غِذاء غَذاء ولا عكس، وفي رواية (لما يرفدكم به).[1]

((**مِنْ نِعَمِهِ**)): جمع نعمة، والنعمة هي: ما أنعم الله على عباده.

قال الزمخشري: والنعمة كل نفع قصد به الإحسان، والله سبحانه وتعالى خلق العالم كله نعمة؛ لأنه إما حيوان، أو غيره، فغير الحيوان نعمة على الحيوان، والحيوان نعمة من حيث أن إيجاده حياً نعمة عليه؛ لأنه لو لا إيجاده حياً.. لما صح الانتفاع به، وكلما أدى إلى الانتفاع وصححه فهو نعمة.

وقال الفخر الرازي: نعم الله سبحانه وتعالى لا تحصى؛ لأن كلما أودع فينا مع المنافع واللذات التي ننتفع بها، والجوارح والأعضاء التي نستعملها

---

(١) انظر: فيض القدير (١/ ٢٩٦).

في جلب المنافع ودفع المضار، وما خلق في العالم مما يستدل به على وجود الصانع، وما أوجد فيه مما لا يحصل الزجر برؤيته عن المعاصي مما لا يحصى عدده.. كله منافع؛ لأن المنفعة من اللذة، أو ما يكون وسيلة إليها، وجميع ما خلق الله كذلك؛ لأن كلما يلتذ به نعمة، وكلما لا يلتذ به وسيلة إلى دفع ضر، وهو كذلك، وما لا يكون جالباً للنفع الحاضر، ولا دافعاً للضرر.. هو صالح للاستدلال به على وجود الصانع الحكيم، يقع وسيلة إلى معرفته وطاعته، وهما وسيلتان للذات الأبدية، فثبت أن جميع مخلوقاته نعمة على العبيد.

والمعنى: أحبوا الله لأجل إنعامه عليكم فقد أنعم عليك بصنوف النعم وضروب الآلاء سواء الحسية كتيسير الطعام والشراب الذي يتغذى به، أو المعنوية كالتوفيق، والهداية، و المعرفة، وإفاضة أنوار اليقين على القلب وغير ذلك من النعم المعنوية، قال الله تعالى: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ {لقمان: ٢٠}، وقال الإمام المناوي: ((قال ابن عطاء الله: ما من وقت ولحظة إلا وهو مورد عليك فيها نعماً يجب حبه لها، وشكره عليها دائما، فمتى فات حق وقت.. لا يمكن قضاؤه أبدا؛ إذ ما من وقت إلا وله عليك فيه حق جديد، وهو الشكر، وأمر أكيد وهو الاستغفار والتجريد ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ {النحل: ١٨}.

قال بعض العارفين أحبوا الله: فعل أمر بمعنى الخبر، ومثله غير عزيز، ومن كلامهم: عش رجبا تر عجبا، أي: إن تعش إلى رجب، والعيش ليس للمرء فيؤمر به، فهو من قبيل خبر: وجدت الناس أخبر تقله: فالمراد إنما تحبونه لأنه أنعم عليكم، فأحبكم فأحببتموه)) اهـ.(١)

قال الشيخ الإمام الزاهد أبو بكر بن أبي إسحاق رحمه الله: ((يجوز أن يكون قوله صلى الله عليه وسلم: « أحبوا الله » خبراً من محبتهم إياه، وإن كان لفظه لفظ الأمر، وقد جاء مثله في كلام العرب مثل قولهم: عش رحبا تر عجبا، أي لأن العيش ليس إلى الإنسان، فيؤمر بأن يعيش ومثله ما روي من أبي الدرداء رضي الله عنه قال: وجدت الناس أخبر تقله، معناه: إن خبرتهم قليتهم، يدل على قوله: وجدت الناس، كأنه قال: وجدت الناس صفتهم أن خبرتهم قليتهم، وكذلك قوله: « أحبوا الله »، معناه إنما تحبون الله لأنه أنعم عليكم، فأحبكم، فأحببتموه لحبه لكم، قال الله عز وجل: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ {المائدة: ٥٤}، أخبر عن حبه لهم قبل حبهم له)) اهـ.(٢)

۞ مسألة:

هل لله تعالى نِعمٌ على الكافر في الدنيا؟

---

(١) فيض القدير (١/ ٢٩٧).

(٢) انظر: بحر الفوائد (١/ ٢).

اختلف فيه أهل السنة، فقيل: لا؛ لأن هذه النعمة لمّا كانت مؤدية للضرر الدائم الأخروي.. كانت كلا شيء، وقيل: نعم، وعليه الباقلاني، قال الإمام الرازي وهو الأصوب، وآية: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ {البقرة: ١٢٢}، فهذا صريح في أنه أنعم عليهم إذ المخاطب بذلك أهل الكتاب.[(١)]

((وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللهِ))، أي: إنما تحبوني لأن الله أحبني، فوضع محبتي في قلوبكم كم في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا.. نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ)) أخرجه البخاري ومسلم.

((وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي))، أي: إنما تحبون أهل بيتي لأني أحبهم، ومحبتهم من أجلي.

۞ من هم أهل البيت؟

ذكر أهل العلم أقوالاً في أهل البيت، وهي:

القول الأول: أنهم نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وبه قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ

---

(١) انظر: فيض القدير (١/ ٢٩٧).

تَطۡهِيرٗا ﴾ {الأحزاب: ٣٣}، فقال أنها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وبه قال سعيد بن جبير وعكرمة وابن السائب ومقاتل.

القول الثاني: أن أهل البيت هم عصبة رسول الله من المؤمنين وهم آل جعفر وآل عقيل وآل عباس.

وقال الزمخشري: إن نساء النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من أهل بيته.

وقال الرستغني: والصحيح عندي، أن المراد بأهل بيته نساؤه وآله، وهو قول الضحاك، واختيار الزجاج؛ لأن اللفظ صالح لهما عام فيهما.

وعن زيد ابن الأرقم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: ((أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي))، فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. أخرجه مسلم.

القول الثالث: وهو الصحيح أن المراد بأهل البيت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وفاطمة وعليّ والحسن والحسين وأولادهم وذريتهم، قاله أبو سعيد الخدري، وأم المؤمنين عائشة، وأم المؤمنين أم

سلمة، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم غَدَاةً، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ.. فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ.. فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ.. فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ.. فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ {الأحزاب: ٣٣}. أخرجه مسلم.

وعن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تَذْكُرُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كَانَ فِي بَيْتِهَا، فَأَتَتْهُ فَاطِمَةُ بِبُرْمَةٍ فِيهَا خَزِيرَةٌ، فَدَخَلَتْ بِهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: ((ادْعِي زَوْجَكِ، وَابْنَيْكِ))، قَالَتْ: فَجَاءَ عَلِيٌّ، وَالْحُسَيْنُ، وَالْحَسَنُ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَجَلَسُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تِلْكَ الْخَزِيرَةِ، وَهُوَ عَلَى مَنَامَةٍ لَهُ عَلَى دُكَّانٍ تَحْتَهُ كِسَاءٌ لَهُ خَيْبَرِيٌّ، قَالَتْ: وَأَنَا أُصَلِّي فِي الْحُجْرَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ {الأحزاب: ٣٣}، قَالَتْ: فَأَخَذَ فَضْلَ الْكِسَاءِ، فَغَشَّاهُمْ بِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ، فَأَلْوَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا، اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا)) قَالَتْ:

فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي الْبَيْتَ، فَقُلْتُ: وَأَنَا مَعَكُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ((إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ)) أخرجه أحمد، والترمذي.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كَانَ يَمُرُّ بِبَيْتِ فَاطِمَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْفَجْرِ، فَيَقُولُ: ((الصَّلَاةَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ)) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ {الأحزاب: ٣٣}. أخرجه أحمد، والترمذي.

عَنْ شَدَّادٍ أَبِي عَمَّارٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، وَعِنْدَهُ قَوْمٌ، فَذَكَرُوا عَلِيًّا، فَلَمَّا قَامُوا.. قَالَ لِي: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَا رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: أَتَيْتُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا أَسْأَلُهَا عَنْ عَلِيٍّ، قَالَتْ: تَوَجَّهَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ عَلِيٌّ، وَحَسَنٌ، وَحُسَيْنٌ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ آخِذٌ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِهِ حَتَّى دَخَلَ، فَأَدْنَى عَلِيًّا، وَفَاطِمَةَ، فَأَجْلَسَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ لَفَّ عَلَيْهِمْ ثَوْبَهُ، أَوْ قَالَ: كِسَاءً، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وَقَالَ: ((اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، وَأَهْلُ بَيْتِي أَحَقُّ)) أخرجه أحمد.

وقال الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ {الشورى: ٢٣}، فعن طاوس قال: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾. - قَالَ: فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُرْبَى آلِ مُحَمَّدٍ – قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَجِلْتَ إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ بُطُونِ قُرَيْشٍ إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ، فَقَالَ: ((إِلَّا أَنْ تَصِلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ الْقَرَابَةِ)) اخرجه أحمد، والنسائي.

ومن تمام الإيمان به صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ومحبته.. محبة أهل بيته، فلا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أَنَّهُ لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ. أخرجه أحمد والترمذي والنسائي

عَنْ مَيْمُونٍ أَبِي عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَأَنَا أَسْمَعُ: نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ وَادِي خُمٍّ، فَأَمَرَ بِالصَّلَاةِ فَصَلَّاهَا بِهَجِيرٍ، قَالَ: فَخَطَبَنَا، وَظُلِّلَ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بِثَوْبٍ عَلَى شَجَرَةٍ سَمُرَةٍ مِنْ الشَّمْسِ، فَقَالَ: ((أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَوَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنِّي أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ))؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: ((فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ.. فَإِنَّ عَلِيًّا مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ عَادِ مَنْ عَادَاهُ وَوَالِ مَنْ وَالَاهُ)) أخرجه أحمد وابن ماجه والنسائي، وفي رواية عند أحمد: عن سِمَاكِ

بْنِ عُبَيْدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْعَبْسِيُّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ شَهِدَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الرَّحَبَةِ، قَالَ: أَنْشُدُ اللهَ رَجُلًا سَمِعَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وَشَهِدَهُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ إِلَّا قَامَ وَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ قَدْ رَآهُ، فَقَامَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَقَالُوا: قَدْ رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ، حَيْثُ أَخَذَ بِيَدِهِ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ))، فَقَامَ إِلَّا ثَلَاثَةٌ لَمْ يَقُومُوا، فَدَعَا عَلَيْهِمْ: فَأَصَابَتْهُمْ دَعْوَتُهُ.

وكذب كل من ادعّا محبته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ثم لم يحب أولاده وأهل بيته، فإن محبوب المحبوب محبوب، كما أن الصادق في محبته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يحب أهل بيته بطبعه الذي يحب به الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لا تكلفاً، كما قال القائل:

حبي لكم طبعا بدون تكلف   والطبع في الإنسان لا يتغيرُ

۞ فوائد الحديث:

١. وجوب محبة الله سبحانه وتعالى وأنها مقدمة على كل شيء.

٢. وجوب محبة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وأنه لا إيمان صادق بالله إلا بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣. وجوب محبة أهل البيت الطاهرين، وأن من أدّعا محبته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ولم يحب أهل بيته.. فهو كاذب.

الحديث السادس

البر والصلة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**بِرُّوْا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ، وَعِفُّوْا تَعِفُّ نِسَاؤُكُمْ**)) حديث حسن رواه الطبرانيذ.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**بِرُّوْا**)) البر هو: طاعة الوالدين في غير المعصية والإحسان إليهما، قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ {الإسراء: ٢٣}،

((**آبَاءَكُمْ**))، أي: وأمهاتكم فاكتفى بذكر أحدهما، وهو من قبيل قوله تعالى: ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ {النحل: ٨١}، أي: والبرد، وأراد بالآباء ما يشمل الأمهات تغليبا كالأبوين، والمراد بآبائكم.. أصولكم وإن علو.

فإنكم إن فعلتم ذلك.. ((**تَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ**))، فالجزاء من جنس العمل، وكما تدين.. تدان، ولا يستغرب عاق الوالدين إ، كان أولاده عاقين له، أو أن يجعله الله عقيماً.

((وَعِفُّوْا))، أي: تنزهوا عن نساء الناس، فلا تتعرضوا لمزاناتهم ولو بالنظر، فإنكم إن التزمتم ذلك.. ((تَعِفُّ نِسَاؤُكُمْ)) عن الوقوع في هذه المعاصي والعياذ بالله، والمراد بنسائكم هنا حلائلكم وغيرهن من محارمكم.

فوائد الحديث:

١. وجوب بر الوالدين وأن طاعتهما من طاعة الله.

٢. بشارة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم للبار بوالديه أن الله تعالى يكرمه بالزواج ثم بالذرية التي تطيعه وتبر به.

٣. وجوب العفة عن الحرام، وعدم انتهاك حرمات الله تعالى، وعدم النظر إلى النساء الأجنبيات، وهذا سبب لعفة نساء من تنزه عن ذلك.

٤. أن الجزاء من جنس العمل.




الحديث السابع

فضل المشي إلى المساجد

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**بَشِّرْ الْمُشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)) حديث صحيح رواه أبو داود.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**بَشِّرْ الْمُشَّائِينَ**))، البشارة: الإخبار بما يُظهر سرور المخبَر به، ومن ثَمَّ قال الفقهاء: إذا قال الرجل لعَبيده: أيكم بشّرني بقدوم فلان فهو حر، فبَشّروه فرادى.. عتق أولهم؛ لأنه هو الذي أظهر سُروره بخبره دون الباقي، ولو قال مكان " بشرني ": " أخبرني " عتقوا جميعاً؛ لأنهم جميعاً أخبروه.

والمشائين: جمع مشاء، مبالغة ماشي، وصيغة التفعيل إما لتكثير الفعل نحو: طَوّفتُ، أو لتكثير الفاعل نحو: مَوّت الحيوان إذا كثر فيها الموتُ، ومَوّت المال أي: مات أعداد كثيرة من المال، والمال: هو الحيوان، أو لتكثير المفعول، وهو إنما يكون إذا كان الفاعل وأحداً ومفعولاته كثيرةً ولفظ الفعل وأحداً، كقولك: قطعت الثياب، أي: قطعت ثيابا كثيرةً، وغلقت الأبواب، أي: أغلقت أبوابا كثيرةً، والمراد هاهنا من هذه الصيغة: تكثير الفعل، وهو الذي يكثر مَشْيَه إلى المساجد.[١]

---

(١) انظر: شرح العيني على أبي داود (٣/ ٤٤).

((**فِي الظُّلَمِ**))، والظُلَم: جمع ظُلْمَةٍ.

((**إِلَى الْمَسَاجِدِ**))، جمع مسجد، والمقصود به مكان الصلاة لا الموقوف مسجداً.

((**بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))، أي النور الكامل، قَالَ الطِّيبِيُّ: ((فِي وَصْف النُّور بِالتَّامِّ وَتَقْيِيده بِيَوْمِ الْقِيَامَة تَلْمِيح إِلَى وَجْه الْمُؤْمِنِينَ يَوْم الْقِيَامَة فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ {التحريم: ٨}، وَإِلَى وَجْه الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ {الحديد: ١٣})) اهـ.[١]

فوائد الحديث:

١. فضل تكرار المشي إلى المساجد للصلاة وخصوصاً صلاة العشاء وصلاة الفجر لكونهما في وقت الظلمة

٢. الحث والتحضيض في كثرة السَّعْي إلى المساجد في ظلمات الليالي، وبشارة أن جزاءه يوم القيامة نور دائم حيث يموج الناس في الظلمات.

٣. قَالَ إبراهيم النخعي: كانوا يرون أن المشي إلى الصلاة فِي الليلة الظلماء موجبة – يعني: توجب لصاحبها الجنة .

---

(١) انظر: عون المعبود (١/ ٥٨٧).

الحديث الثامن

الصلاة بين الأذان والإقامة

قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ لِمَنْ شَاءَ**)) رواه البخاري ومسلم.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ**))، أي: أذان وإقامة، فَحَمْلُ أحد الاسمين على الآخر شائع سائغ كالقمرين ذكره الزمخشري وتبعه القاضي، فقال: غلب الأذان على الإقامة، وسماها باسم واحد، وقال غيره: لا حاجة لارتكاب التغليب، فإن الإقامة أذان حقيقة؛ لأنها إعلام بحضور الوقت للصلاة، كما أن الأذان إعلام بدخول الوقت، فهو حقيقة لغوية، وتبعه الطيبي، وقال: الاسم لكل منهما حقيقة لغوية؛ إذ الأذان لغة: الإعلام، فالأذان إعلام بحضور الوقت، والإقامة إيذان بفعل الصلاة.[(١)]

((**صَلَاةٌ لِمَنْ شَاءَ**))، أي: صلاة نافلة، ولا يصح حمله على ظاهرة؛ لأن الصلاة بين الأذانين مفروضة، والخبر ناطق بالتخيير؛ لقوله: لمن شاء.[(٢)]

---

(١) انظر: فيض القدير (٤/ ٣٦).

(٢) انظر: فتح الباري (٢/ ١٢١).

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): ((قوله: صلاة، أي: وقت صلاة، أو المراد صلاة نافلة، أو نكرت لكونها تتناول كل عدد نواه المصلي من النافلة، كركعتين، أو أربع، أو أكثر، ويحتمل أن يكون المراد به الحث على المبادرة إلى المسجد عند سماع الأذان لانتظار الإقامة؛ لأن منتظر الصلاة في صلاة، قاله الزين بن المنير)) اهـ.[١]

وفي الرواية عند البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: ((بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ لِمَنْ شَاءَ))، قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): ((وقد تقدم في العلم حديث أنس أنه صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم كان إذا تكلم بكلمة.. أعادها ثلاثا، وكأنه قال بعد الثلاث لمن شاء ليدل على أن التكرار لتأكيد الاستحباب، وقال بن الجوزي: فائدة هذا الحديث أنه يجوز أن يتوهم أن الأذان للصلاة يمنع أن يفعل سوى الصلاة التي أذن لها، فبين أن التطوع بين لأذان والإقامة جائز في حديث أنس، وقد صح ذلك في الإقامة)) اهـ،[٢] وورد في رواية عند الإمام أحمد أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: ((إِذَا أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ.. فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الَّتِي أُقِيمَتْ))، وهذه الرواية

---

(١) فتح الباري (٢/ ١٢٢).

(٢) المرجع السابق.

أخص من رواية الإمام أحمد أيضاً: ((إِذَا أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ.. فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ)).

۞ ركعتي المغرب القبلية:

اختلف أهل العم في استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب فمنهم من قال باستحبابها مستدلاً بهذا الحديث الذي نحن بصدد شرحه، وقال آخرون أنها لا تستحب، قال الإمام النووي في شرحه على (صحيح مسلم): ((بَاب اِسْتِحْبَاب رَكْعَتَيْنِ قَبْل صَلَاة الْمَغْرِب: فِيهِ حَدِيث صَلَاتهمْ رَكْعَتَيْنِ بَعْد الْغُرُوب وَقَبْل صَلَاة الْمَغْرِب، وَفِي رِوَايَة: (أَنَّهُمْ كَانُوا يُصَلُّونَهَا بَعْد الْأَذَان) وَفِي الْحَدِيث الْآخَر: (بَيْن كُلّ أَذَانَيْنِ صَلَاة). الْمُرَاد بِالْأَذَانِ وَالْإِقَامَة. وَفِي هَذِهِ الرِّوَايَات اِسْتِحْبَاب رَكْعَتَيْنِ بَيْن الْمَغْرِب وَصَلَاة الْمَغْرِب. وَفِي الْمَسْأَلَة وَجْهَانِ لِأَصْحَابِنَا أَشْهَرهمَا: لَا يُسْتَحَبّ، وَأَصَحّهمَا عِنْد الْمُحَقِّقِينَ، يُسْتَحَبّ لِهَذِهِ الْأَحَادِيث. وَفِي الْمَسْأَلَة مَذْهَبَانِ لِلسَّلَفِ وَاسْتَحَبَّهُمَا جَمَاعَة مِنْ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ أَحْمَد وَإِسْحَاق، وَلَمْ يَسْتَحِبّهُمَا أَبُو بَكْر وَعُمَر وَعُثْمَان وَعَلِيّ وَآخَرُونَ مِنْ الصَّحَابَة وَمَالِك وَأَكْثَر الْفُقَهَاء. وَقَالَ النَّخَعِيُّ: هِيَ بِدْعَة. وَحُجَّة هَؤُلَاءِ أَنَّ اِسْتِحْبَابهمَا يُؤَدِّي إِلَى تَأْخِير الْمَغْرِب عَنْ أَوَّل وَقْتهَا قَلِيلًا. وَزَعَمَ بَعْضهمْ فِي جَوَاب هَذِهِ الْأَحَادِيث أَنَّهَا مَنْسُوخَة، وَالْمُخْتَار اِسْتِحْبَابهَا لِهَذِهِ الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة الصَّرِيحَة، وَفِي

صَحِيح الْبُخَارِيّ عَنْ رَسُول اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم): (صَلُّوا قَبْل الْمَغْرِب، صَلُّوا قَبْل الْمَغْرِب، صَلُّوا قَبْل الْمَغْرِب، قَالَ فِي الثَّالِثَة: لِمَنْ شَاءَ) وَأَمَّا قَوْلهمْ: يُؤَدِّي إِلَى تَأْخِير الْمَغْرِب فَهَذَا خَيَال مُنَابِذ لِلسُّنَّةِ فَلَا يُلْتَفَت إِلَيْهِ، وَمَعَ هَذَا فَهُوَ زَمَن يَسِير لَا تَتَأَخَّر بِهِ الصَّلَاة عَنْ أَوَّل وَقْتهَا، وَأَمَّا مَنْ زَعَمَ النَّسْخ فَهُوَ مُجَازِف ؛ لِأَنَّ النَّسْخ لَا يُصَار إِلَيْهِ إِلَّا إِذَا عَجَزْنَا عَنْ التَّأْوِيل وَالْجَمْع بَيْن الْأَحَادِيث وَعَلِمْنَا التَّارِيخ، وَلَيْسَ هُنَا شَيْء مِنْ ذَلِكَ)) اهـ.[١]

وقال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) عند الكلام عن حديث أنس رضي الله عنه: ((كَانَ الْمُؤَذِّنُ إِذَا أَذَّنَ قَامَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ حَتَّى يَخْرُجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وَهُمْ كَذَلِكَ يُصَلُّونَ الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ شَيْءٌ)): ((وحمل بعض العلماء حديث الباب على ظاهره فقال دل قوله ولم يكن بينهما شيء على أن عموم قوله: (بين كل أذانين صلاة).. مخصوص بغير المغرب؛ فإنهم لم يكونوا يصلون بينهما؛ بل كانوا يشرعون في الصلاة في أثناء الأذان ويفرغون مع فراغه، قال: ويؤيد ذلك ما رواه البزار من طريق حيان بن عبيد الله عن عبد الله بن بريده عن أبيه مثل

(١) شرح صحيح مسلم (٦/ ٨٥).

الحديث الأول، وزاد في آخره: إلا المغرب. أهـ وفي قوله: (ويفرغون مع فراغه) نظر؛ لأنه ليس في الحديث ما يقتضيه، ولا يلزم من شروعهم في أثناء الأذان ذلك، وأما رواية حَيَّان وهو بفتح المهملة والتحتانية.. فشاذة؛ لأنه وأن كان صدوقاً عند البزار وغيره.. لكنه خالف الحفاظ من أصحاب عبد الله بن بريدة في إسناد الحديث ومتنه، وقد وقع في بعض طرقه عند الإسماعيلي: وكان بريدة يصلي ركعتين قبل صلاة المغرب، فلو كان الاستثناء محفوظاً.. لم يخالف بريدة روايته، وقد نقل بن الجوزي في الموضوعات عن الفلّاس أنه كَذَّبَ حياناً المذكور، وقال القرطبي وغيره: ظاهر حديث أنس أن الركعتين بعد المغرب، وقبل صلاة المغرب كان أمرا أقر النبي صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم أصحابه عليه، وعملوا به، حتى كانوا يستبقون إليه، وهذا يدل على الاستحباب، وكأن أصله قوله صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم : (بين كل أذانين صلاة) وأما كونه صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم لم يصلهما.. فلا ينفى الاستحباب؛ بل يدل على أنهما ليستا من الرواتب، وإلى استحبابهما ذهب أحمد وإسحاق وأصحاب الحديث، وروي عن بن عمر قال: ما رأيت أحدا يصليهما على عهد النبي صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم ، وعن الخلفاء الأربعة وجماعة من الصحابة أنهم كانوا لا يصلونهما، وهو قول مالك والشافعي،

وادَّعى بعض المالكية نسخهما، فقال: إنما كان ذلك في أول الأمر حيث نهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، فبيّن لهم بذلك وقت الجواز، ثم ندب إلى المبادرة إلى المغرب في أول وقتها، فلو استمرت المواظبة على الاشتغال بغيرها.. لكان ذلك ذريعة إلى مخالفة إدراك أول وقتها، وتعقب بأن دعوى النسخ لا دليل عليها، والمنقول عن بن عمر رواه أبو داود من طريق طاؤوس عنه، ورواية أنس المثبتة مقدمة على نفيه، والمنقول عن الخلفاء الأربعة رواه محمد بن نصر وغيره من طريق إبراهيم النخعي عنهم، وهو منقطع، ولو ثبت.. لم يكن فيه دليل على النسخ ولا الكراهة، وسيأتي في أبواب التطوع أن عقبة بن عامر سئل عن الركعتين قبل المغرب، فقال: كنا نفعلهما على عهد النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، قيل له: فما يمنعك الآن؟ قال: الشغل، فلعل غيره أيضا منعه الشغل، وقد روى محمد بن نصر وغيره من طرق قوية عن عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبي بن كعب وأبي الدرداء وأبي موسى وغيرهم أنهم كانوا يواظبون عليهما، وأما قول أبي بكر بن العربي: اختلف فيها الصحابة ولم يفعلها أحد بعدهم.. فمردود بقول محمد بن نصر: وقد روينا عن جماعة من الصحابة والتابعين أنهم كانوا يصلون الركعتين قبل المغرب، ثم أخرج ذلك بأسانيد متعددة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الله بن بريدة ويحيى بن عقيل والأعرج وعامر بن عبد الله بن الزبير وعراك بن مالك، ومن طريق

الحسن البصري أنه سئل عنهما، فقال: حسنتين والله لمن أراد الله بهما، وعن سعيد بن المسيب أنه كان يقول: حق على كل مؤمن إذا أذن المؤذن أن يركع ركعتين، وعن مالك قول آخر باستحبابهما، وعند الشافعية وجه رجحه النووي ومن تبعه، وقال في شرح مسلم: قول من قال إن فعلهما يؤدي إلى تأخير المغرب عن أول وقتها خيال فاسد منابذ للسنة، ومع ذلك فزمنهما زمن يسير لا تتأخر به الصلاة عن أول وقتها، قلت: ومجموع الأدلة يرشد إلى استحباب تخفيفهما كما في ركعتي الفجر، قيل: والحكمة في الندب إليهما.. رجاء إجابة الدعاء؛ لأن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد، وكلما كان الوقت أشرف.. كان ثواب العبادة فيه أكثر)) اهـ.[1]

ولهذا الخالف في هذه السنة كان الإمام الحداد يقول: لا نأمر بها، ولا ننهى عنها.

۞ فوائد الحديث:

١. المحافظة على الرواتب والسنن الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

٢. رفع التوهم بأن لا صلاة بعد الأذان التي أذن لها.

٣. استحباب قبلية المغرب وتخفيفها.

(١) فتح الباري (٢/ ١٢٢-١٢٣).

الحديث التاسع

الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**)) حديث صحيح رواه أحمد.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**الْبَخِيلُ**))، أي: الشحيح الممسك عن البذل بما يقدر عليه.

((**مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ**))، أي: سمع ذكري، فخرج به من ذكر عنده النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ولم يسمع، بدليل قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بعد ذلك: ((**فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**)) واللفظ في مسند أحمد إنما هو: ((ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ))، أي: بعد سماع ذكري واسمي أو شيء من شمائلي، فهذا الذي يوصف بالبخل؛ لأنه سمع اسم النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ثم لم يصلِّ عليه، ومعنى أنه بخيل أي: بخل على نفسه بالأجر والثواب، فلا يتوهم من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم محتاج إلى صلاتنا، بل تارك الصلاة عليه محروم من الاجر ومن القرب منه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فقد قال لنا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((إِنَّ أَوْلَاكُمْ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُكُمْ عَلَيَّ صَلَاةً فِي

الدُّنْيَا)) أخرجه أبو يعلى والبزار، وفي رواية عند البيهقي والديلمي: ((إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّيْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ أَكْثَرُكُمْ عَلَيَّ صَلَاةً فِي الدُّنْيَا)).

فائدة:

هل تجبُ الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم؟

هناك خمسة أقوال ذكرها الإمام الدُّميري في ((النجم الوهّاج)) والشيخ الشربيني في ((المغني)) وهي:

أحدها: تجب في كل صلاة، واختاره الإمام الشافعي في التشهّد الأخير من الصلاة.

ثانيها: لا تجب بعد الإسلام إلا مرة.

ثالثها: كلما ذُكِرَ، واختاره الحليمي من الشافعية واللخمي من المالكية، والصحاوي من الحنفية، وابن بطة من الحنابلة.

رابعها: في كل مجلسٍ.

خامسها: في أوّلِ كُلِّ دعاء وآخره، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرّاكِبِ، اجْعَلُونِي فِي أَوّلِ الدُّعاءِ، وَفِي وَسَطِهِ، وَفِي آخِرِهِ)) أخرجه الطبراني عن سيدنا جابر، والبزار.

فوائد الحديث:

١. الأدب مع النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

٢. استحقاق الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم للصلاة عليه.

٣. أن المنتفع بالصلاة هو المصلي نفسه.



الحديث العاشر

فضل أمانة التاجر

قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ الْمُسْلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)) حديث صحيح رواه الترمذي، والحاكم.

❁ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**التَّاجِرُ**))، وهو الذي يمارس التجارة، وهي: تقليب المال بغرض الربح.

((**الْأَمِينُ**))، أي: الموثوق منه الذي يُركن إليه.

((**الصَّدُوقُ**)) فيما يخبر به مما يتعلق بأحكام البيع من نحو إخباره بما قام عليه، ومن عيب فيه، وغير ذلك.

والأمين لا يكون إلا صدوقاً، لكنه جمع بينهما للتأكيد.

((**الْمُسْلِمُ**))، وهو من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

((**مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))، والشهداء جمع شهيد، وهو من مات في قتال الكفار لتكون كلمة الله هي العليا.

قال ابن العربي: هذا الحديث وإن لم يبلغ درجة المتفق عليه من الصحيح فإن معناه صحيح؛ لأنه جمع الصدق والشهادة بالحق، والنصح للخلق، وامتثال الأمر المتوجه إليه من قبيل الرسول، ولا يناقضه ذم التجار في الخبر المار، لأنه محل لذم أهل الفجور والرياء والحرص بقرينة هذا الخبر، أما مع تحري الأمانة والديانة.. فالإتجار محبوب مطلوب؛ ولهذا كان السلف يقولون: اتجروا، فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم.. كان أول ما يأكل بدينه. اهـ.[١]

وقد وردت الأخبار الدالة على رفع مقام التاجر الصادق في تجارته، فمنها قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ)) أخرجه الترمذي، وقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((التَّاجِرُ الصَّدُوقُ بِمَنْزِلَةِ الشَّهَيْدِ عَنْدَ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) أخرجه ابن أبي شيبة، وقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((أَوْلُ مَنْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ التَّاجِرُ الصَّدُوقُ)) أخرجه ابن أبي شيبة، وقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((التَّاجِرُ الصَّدُوقُ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) أخرجه الديلمي، وقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((التَّاجِرُ الصَّدُوقُ لَا يُحْجَبُ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ)) أخرجه الديلمي.

---

(١) انظر: فيض القدير (٤/ ١٦١).

۞ فوائد الحديث:

١. فضل الأمانة والصدق عند الله تعالى.

٢. أن التاجر الذي يصدق في تجارته ويتعامل بالأمانة يبارك الله في تجارته، ويفوز يوم القيامة بمنازل الشهداء والصديقين.

٣. الحث على الصدق والأمانة في جميع الأمور وفي التجارة بالأخص.



الحديث الحادي عشر

أسباب حجب قبول الصلاة

قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**ثَلَاثَةٌ لَا تُرْفَعُ صَلَاتُهُمْ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ شِبْرًا: رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ، وَأَخَوَانِ مُتَصَارِمَانِ**)) حديث حسن رواه ابن ماجه.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**ثَلَاثَةٌ**)): أراد ذكر هؤلاء الثلاثة أي: الأصناف، ولم يكن مراده الحصر.

((**لَا تُرْفَعُ صَلَاتُهُمْ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ شِبْرًا**))، كناية على عدم قبولها؛ بل تبقى معلقة، والشبر بالكسر من طرف الخنصر إلى طرف الإبهام.

((**رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا**))، أي: صلى بهم إماماً، ((**وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ**))، أي: أكثرهم، ولا يشترط كلهم، وإنما يكون كذلك لو كانت كراهيتهم له لما يذم شرعا كفسق، وبدعة، وتساهل في تحرز عن خبث، وإخلال بهيئة من هيئات الصلاة، وتعاطي حرفة مذمومة، وعشرة نحو فسقة.

((**وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ**))، أي: غاضب؛ لنحو سوء خلقها، أو لتفويتها عليه حقاً من حقوقه المتوجهة عليها شرعاً وجوباً أو ندباً من غير عذر.

((**وَأَخَوَانِ**)) من نسب أو دين ((**مُتَصَارِمَانِ**))، أي: متهاجران متقاطعان، وليس ذلك الهجران من أجل الله ورسوله، أما الهجران من أجل الله ورسوله.. فهو مطلوب، كأن تعدى حد من حدود الله، وأصر على ذلك، فينبغي هجره حتى ينزجر، فقد قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم:((أَوْثَقُ عرُىَ الْإِيمَانِ الْمُوَالَاْةُ فِي الله، وَالْمُعَادَاةُ فِي الله، وَالحُبُّ فِي الله، وَالبُغْضُ فِي الله عَزَّوَجَلَّ)) أخرجه الطبراني، وعند أحمد: ((إِنَّ أَوْسَطَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي الله وَتُبْغِضَ فِي الله)).

قال العلامة المناوي في (فيض القدير): ((قال الطيبي: وأخوان: أعم من جهة النسب أو الدين؛ لما ورد: ((ولا يحل لمسلم أن يصارم مسلما فوق ثلاث))، أي: يهجره ويقطع مكالمته، قال الزين العراقي: وفيه وما قبله أن إغضاب المرأة لزوجها حتى يبيت زوجها ساخطاً عليها من الكبائر؛ لكن إذا كان غضبه عليها بحق)) اهـ.[1]

۞ فوائد الحديث:

١. الحث على الابتعاد عن المعاصي والحرام، وكل ما يُذم شرعاً.

٢. وجوب طاعة الزوجة لزوجها في غير المعصية أما فيها فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وصحبه

(١) فيض القدير (٤/ ٢٣٧).

وسلم: ((السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ.. فَلَا سَمْعَ عَلَيْهِ وَلَا طَاعَةَ)) أخرجه الترمذي.

٣. حرمة التقاطع والتهاجر في غير ذات الله تعالى، ووجوب الأخوة والمحبة بين أهل الإيمان.

٤. أن المعاصي ومخالفة أمر الله تعالى سبب لغضب الله وعدم قبول أعمال أصحابها.



الحديث الثاني عشر

المجالسة والاستفادة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**جَالِسُوْا الكُبَرَاءَ، وَسَائِلُوْا الْعُلَمَاءَ، وَخَالِطُوْا الحُكَمَاءَ**)) حديث صحيح رواه الطبراني.

❁ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**جَالِسُوْا**)): أمر منه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بالمجالسة وهي كثرة الحضور والجلوس مع ((**الكُبَرَاءَ**))، ويحتمل معنين: **الأول**: أن المراد بهم كبار السن وهم الشيوخ الذين لهم التجارب، وقد سكنت حدتهم، وذهبت خفتهم؛ لتتأدبوا بآدابهم، وتتخلقوا بأخلاقهم، **الثاني**: أن المراد بهم من له رتبة في الدين وإن صغر سنه، والأول أقرب.

قال في (فيض القدير): ((وكبير الحال من جمع علم الوراثة إلى علم الدراسة، وعلم الأحكام إلي علم الإلهام، وقال بعضهم: مجالسة الصالحين هي الإكسير للقلوب بيقين؛ لكن لا يشترط ظهور الأثر حالاً، وسيظهر بصحبتهم بعد حين، وحسبك بصحبتهم إضافة التشريف والاختصاص، وفي قواعد زروق: الولي إذا أراد.. أغنى، ومنه قول الناس: خاطري أن أكون على بالك لعل الله ينظر إلي فيما أنا فيه، قال: وأكثرهم في البداية يسرع أثر مقاصدهم في الوجود؛ لاشتغالهم بما يعرض، بخلافه في النهاية؛

لاشتغال قلوبهم بالله تعالى، قال العارف ابن عربي: والمأمور بمجالستهم من الشيوخ هم العارفون بالكتاب والسنة، القائلون بها في ظواهرهم، المتحققون بها في بواطنهم، يراعون حدود الله، ويوفون بعهده، ويقومون بمراسم الشريعة، وهم الذين إذا رؤوا.. ذُكِرَ الله، أما من ليس لهم في الظاهر ذلك التحفظ.. فنسلم لهم أحوالهم، ولا يُصحبون، ولو ظهر عليهم من خرق العوائد ما عسى أن يظهر، فلا يعول عليه مع سوء أدبه مع الشرع، وهل للمريد أن يجالس غير شيخه؟ فيه خلاف، قال بعضهم: نعم؛ إذا ظهر للمريد أن الشيخ الآخر ممن يقتدى به.. فله ذلك، وقال آخرون: لا؛ كما لا يكون المكلف بين رسولين مختلفي الشرائع، والمرأة بين زوجين، وهذا إذا كان مريد تربية، فإن كان يريد صحبة البركة.. فلا مانع من الجمع؛ لأنه ليس تحت حكمهم؛ لكن لا يجيء منه رجل في الطريق)) اهـ.[١]

((**وَسَائِلُوْا**))، أي: استفسروا واستفهموا عن ما يعرض لكم من أمور دينكم ودنياكم.

((**الْعُلَمَاءَ**))، أي: العارفون بالحلال والحرام؛ فإن لفظ العلماء إذا أطلق.. فإنما يراد به العارفون بالحلال والحرام، وهم العلماء العاملون، وليحرص السائل على البحث عن العلماء المخلصون، الذين لا يقولون إلا

(١) فيض القدير (٤/ ٢٦٨).

من أجل الله، وليس لهم طمع في الدنيا، ومن كان بالصفة المقررة فهو من كبراء زمانه وعلماء أوانه فيجب أن يجالس بالتوقير والاحترام ويسائل بالتبجيل والإعظام وذم الجوارح ومراقبة الخواطر.[1]

((**وَخَالِطُوْا**))، أي: اختلطوا بهم فغي كل وقت، حتى تعلمون غالب أفعالهم وأقوالهم.

((**الحُكَمَاءَ**)): وهم العالمون بالأشياء على حقيقتها، فهم المصيبون في أقوالهم، المتقنون لأفعالهم، المحافظون في أحوالهم، ففي مداخلتهم تهذيب للأخلاق.

۞ تنبيه:

في النص على مسائلة العلماء تنبيه على إيجاب تقديم العلم على العمل، ولم يوقت إيذانا بملازمة السؤال إلى الترحال من دار الزوال، فكأنه قال: كن متعلما أبداً.

۞ فائدة:

قال بعض الحكماء: مجالسة العلماء ترغبك في الثواب، ومجالسة الحكماء تقربك من الحمد، وتبعدك عن الذم، ومجالسة الكبراء تزهدك فيما عدا فضل الله الباري تعالى، وقال بعضهم: إذا جالست أهل الدنيا.. فحاضرهم

(١) انظر: فيض القدير (٤/ ٢٦٩).

برفع الهمة عما بأيديهم مع تحقيرها وتعظيم الآخرة، أو أهل الآخرة.. فحاضرهم بوعظ الكتاب والسنة، وتعظيم دار البقاء، وتحقير دار الفناء، أو الملوك.. فبسيرة أهل العدل مع حفظ الأدب والعفاف، أو العلماء.. فبالروايات الصحيحة والأقوال المشهورة مع الإنصاف وعدم الجدال المظهر حب العلو عليهم، أو الصوفية.. فيما يشهد لأحوالهم، ويقيم حجتهم على المنكر عليهم مع أدب الباطن قبل الظاهر، والعارفين.. فيما شئت، فإن لكل شيء عندهم وجه من وجوه المعرفة بشرط عدم المزج، وحفظ الأسرار سيما من الأشرار.

❁ فوائد الحديث:

١. الحث على مجالسة أهل المعرفة من كبار السن الذين مروا بكثير من التجارب في الحياة، فاكتسبوا من خلالها الكثير من الخبرات.

٢. المؤمن حريص على معرفة أحاكم دينه ودنياه ويظهر ذلك بكثرة سؤال أهل العلم، والرجوع إليهم في كل كبيرة وصغيرة؛ لينوروه.

٣. ملازمة الحكماء لاكتساب الحكمة نهم؛ فإنه من جالس جانس.

❁ ❁ ❁

الحديث الثالث عشر

جهاد المشركين

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**)) حديث صحيح رواه أحمد.

❁ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**جَاهِدُوا**))، من المجاهدة، وهي مفاعلة من الجهد فتحا وضما وهو الإبلاغ في الطاقة وتحمل المشقة، وكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيل الله؛ لكنه إذا أطلق عرفاً.. فلا يقع إلا على جهاد الكفار، أي: قتالهم.

((**الْمُشْرِكِينَ**)): والمشرك هو: من اتخذ مع الله إله آخر، والمارد هنا ما يشمل الخارجين عن الإسلام وهم الكفار. وإنما خص أهل الشرك لغلبتهم إذ ذاك.

((**بِأَمْوَالِكُمْ**))، اي: بما يحتاجه المقاتل والمسافر للقتال كالسلاح والدواب والزاد، ولو بالشيء اليسير، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أنه قال: ((**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.. فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ.. فَقَدْ غَزَا**)) أخرجه البخاري ومسلم.

((**وَأَنْفُسِكُمْ**)): بالمشاركة في القتال بذواتكم، وتقديم أرواحكم، إن لم يكونوا معذورين.

((وَأَلْسِنَتِكُمْ))، في معناها ثلاثة احتمالات:

الأول: الهجاء، بأن يهجوهم بالشعر أو النثر، ويؤيد هذا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَمْشِي وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ... وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَفِي حَرَمِ اللهِ تَقُولُ الشِّعْرَ؟! فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ((خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ)) أخرجه الترمذي.

الثاني: أنه يريد به حضَّ الناس على الجهاد، وترغيبهم فيه، وبيان فضائله لهم.

الثالث: بإقامة الحجة عليهم ودعائهم إلى الله تعالى، وبالأصوات عند اللقاء والزجر، ونحوه من كل ما فيه نكاية للعدو.

۞ فوائد الحديث:

١. بيان وجوب جهاد المشركين بالتفصيل الذي بينه الفقهاء، قال الإمام النووي في (المنهاج): ((كَانَ الْجِهَادُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فَرْضَ كِفَايَةٍ، وَقِيلَ عَيْنٍ.

وَأَمَّا بَعْدَهُ.. فَلِلْكُفَّارِ حَالَانِ: أَحَدُهُمَا يَكُونُونَ بِبِلَادِهِمْ فَفَرْضُ كِفَايَةٍ إِذَا فَعَلَهُ مَنْ فِيهِمْ كِفَايَةٌ سَقَطَ الْحَرَجُ عَنْ الْبَاقِينَ)) اهـ، وذكر الحال الثاني فقال: ((الثَّانِي يَدْخُلُونَ بَلْدَةً لَنَا.. فَيَلْزَمُ أَهْلَهَا الدَّفْعُ بِالْمُمْكِنِ، فَإِنْ أَمْكَنَ تَأَهُّبٌ لِقِتَالٍ وَجَبَ الْمُمْكِنُ حَتَّى عَلَى فَقِيرٍ وَوَلَدٍ وَمَدِينٍ وَعَبْدٍ بِلَا إِذْنٍ، وَقِيلَ: إِنْ حَصَلَتْ مُقَاوَمَةٌ بِأَحْرَارٍ اُشْتُرِطَ إِذْنُ سَيِّدِهِ، وَإِلَّا فَمَنْ قُصِدَ دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ بِالْمُمْكِنِ إِنْ عَلِمَ أَنَّهُ إِنْ أَخَذَ قُتِلَ، وَإِنْ جَوَّزَ الْأَسْرَ فَلَهُ أَنْ يَسْتَسْلِمَ.

وَمَنْ هُوَ دُونَ مَسَافَةِ قَصْرٍ مِنْ الْبَلْدَةِ كَأَهْلِهَا، وَمَنْ عَلَى الْمَسَافَةِ يَلْزَمُهُمْ الْمُوَافَقَةُ بِقَدْرِ الْكِفَايَةِ إِنْ لَمْ يَكْفِ أَهْلُهَا وَمَنْ يَلِيهِمْ. قِيلَ: وَإِنْ كَفَوْا)) اهـ.

٢. أن الجهاد لا يقتصر على النفس فقط، بل الجهاد بكل ما يقدر عليه المسلم من نفس ومال ولسان، فهم متنوع ولا ينحصر في شكل واحد.

٣. واجب المسلم أن يجاهد اعداء الإسلام على قدر المستطاع، ولكن وفق الضوابط الشرعية، ولا يتعدى حكم الشرع في الجهاد.

الحديث الرابع عشر

تجديد الإيمان

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ، أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**)) حديث صحيح رواه أحمد.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ**))، ليس المراد الرجوع إلي الإيمان بعد الردة والعياذ بالله تعالى؛ بل المراد أن الإنسان قد تضعف مراقبته لله تعالى بسبب انشغاله بأعمال الدنيا وما يعرض له فيه، فهو يحتاج إلى تجديد تقويتها، كما أنه قد ينقص عنده الإيمان بفعل المعصية، فهو يحتاج إلى تجديد الزيادة التي ضعف بالمعاصي؛ ولأن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كان يخاطب أصحابه بهذا الخطاب، ولا يوجد على ظهر الأرض في ذلك الوقت من هو إيمانه كإيمانهم، فتبين لنا أنه ليس المقصود فقد الإيمان بالكلية؛ إنما النقص.

والإيمان لغة: مطلق التصديق.

وشرعاً: تصديق النبي ﷺ فيما جاء به مما عُلِم من الدين بالضرورة، أي: عَلِم به الخاصة والعامة، ولا حاجة للرجوع إلى النصوص والعلماء في

فهم هذا العلم، كفرض الصلاة والصيام والزكاة والحج، وحرمة الزنا وشرب الخمر.[1]

((**أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**))، لأن المداومة عليها تجدد الإيمان في القلب، وتملأه نوراً، وتزيده يقيناً، وتفتح له أسراراً يدركها أهل البصائر ولا ينكرها إلا كل ملحد جائر، وبتكرارها والإكثار منها يبقى المؤمن في مراقبة ربه ومولاه، ويزيد عنده الإيمان بالطاعة؛ لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي كما أسلفنا.

فوائد الحديث:

١. يجب على المؤمن فعل الطاعات واجتناب المعاصي والمهلكات.

٢. ينبغي للمؤمن أن يكون حريصاً على إيمانه، فلا ينقصه بالمعاصي والبعد عن الله تعالى.

٣. أن يكثر المؤمن من ذكر الله والرجوع إليه، وكلما ضعف ووقع في ذنب.. رجع إلى الله وجدد إيمانه بقول لا إله إلا الله.



(١) انظر: شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (١٢٧) و(٤١٧).

الحديث الخامس عشر

حب الدنيا

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**حُبُّ الدُّنْيَا رأسُ كلِّ خَطِيئَة**)) رواه البيهقي.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**حُبُّ الدُّنْيَا**))، وهي: كل ما أشغل عن الله تعالى، وعرفها بعضهم بأنها الحياة الحاضرة التي تكون قبل البرزخ، وحبها هو ميلان القلب إليها، والرغبة فيها، قال الحكيم: الدنيا هي هذه الدار التي دورت أرضها تدويرا بجبل قاف وأحيط عليها بالجبل وتلك دار أخرى وهي الآخرة وهذه أولى وسميت دنيا لأنها أدنيت إليك. اهـ.[1]

((**رأسُ**))، أي: أساس وسبب.

((**كلِّ خَطِيئَة**))، أي: كل مخالفة لله سبحانه وتعالى، وهذا واضح بالتجربة، فلا يعصي العاصي ربه إلا من أجل الدنيا، فما من معصية في الوجود إلا وسببها حب الدنيا، فالشهوة التي تميل بالكثير إلى المعاصي هي من الدنيا، قال الإمام المناوي: (((حب الدنيا رأس كل خطيئة) بشاهد التجربة والمشاهدة، فإن حبها يدعو إلى كل خطيئة ظاهرة وباطنة، سيما

(١) انظر: فيض القدير(٤/ ٦٤٠).

خطيئة يتوقف تحصيلها عليها، فيسكر عاشقها حبها عن علمه بتلك الخطيئة وقبحها، وعن كراهتها واجتنابها، وحبها يوقع في الشبهات، ثم في المكروه، ثم في المحرم، وطالما أوقع في الكفر؛ بل جميع الأمم المكذبة لأنبيائهم إنما حملهم على كفرهم حب الدنيا، فإن الرسل لما نهوا عن المعاصي التي كانوا يلتمسون بها حب الدنيا.. حملهم على حبها تكذيبهم، فكل خطيئة في العالم أصلها حب الدنيا، ولا تنسى خطيئة الأبوين، فإن سببها حب الخلود في الدنيا، ولا تنسى خطيئة إبليس، فإن سببها حب الرياسة التي هي شر من حب الدنيا، وكفر فرعون وهامان وجنودهما، فحبها هو الذي عمر النار بأهلها، وبغضها هو الذي عمر الجنة بأهلها، ومن ثَمَّ قيل: الدنيا خمر الشيطان، فمن شرب منها.. لم يفق من سكرتها إلا في عسكر الموتى خاسراً نادماً)) اهـ.[١]

❁ تنبيه:

قال الإمام الغزالي في (إحياء علوم الدين): ((قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم " حب الدنيا رأس كل خطيئة " ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم، وبطلت المعايش، وهلكت القلوب والأبدان جميعاً، إلا أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك،

(١) فيض القدير (٤/ ٣١٤).

وأن ذكر كونه مهلكاً لا ينزع الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم، فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر، ولم يترك ذكره خوفاً من أن يترك نفسه بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ {السجدة: ١٣})) اهـ.[١]

۞ فوائد الحديث:

١. لا خير في حب الدنيا مطلقاً، وأن محبتها سبب للوقع في المخالفات.

٢. الزهد في الدنيا هو اساس النجاة فيها ومنها.

٣. أن المؤمن يأخذ من دنياه ما يتزود به لآخرته.

۞ ۞ ۞

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١٠٣).

الحديث السادس عشر

مجاهدة النفس

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**حُفَّتْ الْجُنَّةُ بِالْمُكَارِهِ، وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**)) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**حُفَّتْ الْجُنَّةُ**))، أي: من الحفاف وهو ما يحيط بالشيء حتى لا يتوصل إليه الا بتخطيه، فالجنة لا يتوصل إليها الا بقطع مفاوز المكاره، والنار لا ينجو منها الا بترك الشهوات، وفي لفظ البخاري: ((حُجِبَتْ)) في الحالتين، أي: غطيت.

(**بِالْمُكَارِهِ**)، والمراد بالمكاره هنا ما أُمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلا وتركاً كالإتيان بالعبادات على وجهها، والمحافظة عليها، واجتناب المنهيات قولاً وفعلاً، وأطلق عليها المكاره لمشقتها على العامل وصعوبتها عليه، ومن جملتها الصبر على المصيبة، والتسليم لأمر الله فيها.

(**وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**)، والشهوات هي: ما يستلذ من أمور الدنيا مما منع الشرع من تعاطيه، إما بالأصالة، وإما لكون فعله يستلزم ترك شيء من المأمورات، ويلتحق بذلك الشبهات والاكثار مما أبيح خشية أن يوقع في المحرم.

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): ((فكأنه قال: لا يوصل إلى الجنة الا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكروهات، ولا إلى النار الا بتعاطي الشهوات، وهما محجوبتان، فمن هتك الحجاب.. اقتحم، ويحتمل أن يكون هذا الخبر وإن كان بلفظ الخبر فالمراد به النهي)) اهـ.[(١)]

وفي هذا المعنى يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم:((أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ)) اخرجه الترمذي.

وهذا الحديث الذي نحن بصدده يعد من جوامع الكلم التي أُتيها الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم، إذ فيه بديع بلاغته في ذم الشهوات التي تميل إليها النفوس البشرية وترغب فيها، وذلك بألفاظ بسيطة ذات معاني كثيرة.

وقال الإمام النووي: ((قَالَ الْعُلَمَاء: هَذَا مِنْ بَدِيع الْكَلَام وَفَصِيحه وَجَوَامِعه الَّتِي أُوتِيَهَا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم مِنْ التَّمْثِيل الْحَسَن، وَمَعْنَاهُ: لَا يُوصَل الْجَنَّة إِلَّا بِارْتِكَابِ الْمَكَارِه، وَالنَّار بِالشَّهَوَاتِ، وَكَذَلِكَ هُمَا مَحْجُوبَتَانِ بِهِمَا، فَمَنْ هَتَكَ الْحِجَاب وَصَلَ إِلَى الْمَحْجُوب، فَهَتْك حِجَاب الْجَنَّة بِاقْتِحَامِ الْمَكَارِه، وَهَتْك حِجَاب النَّار بِارْتِكَابِ الشَّهَوَات، فَأَمَّا الْمَكَارِه فَيَدْخُل فِيهَا الِاجْتِهَاد فِي الْعِبَادَات، وَالْمُوَاظَبَة عَلَيْهَا، وَالصَّبْر عَلَى مَشَاقّهَا،

(١) فتح الباري (١١/ ٣٦١).

وَكَظْم الْغَيْظ، وَالْعفْو وَالْحِلْم وَالصَّدَقَة وَالْإِحْسَان إِلَى الْمُسِيء وَالصَّبْر عَنْ الشَّهَوَات، وَنَحْو ذَلِكَ. وَأَمَّا الشَّهَوَات الَّتِي النَّار مَحْفُوفَة بِهَا، فَالظَّاهِر أَنَّهَا الشَّهَوَات الْمُحَرَّمَة كَالْخَمْرِ وَالزِّنَا وَالنَّظَر إِلَى الْأَجْنَبِيَّة وَالْغِيبَة وَاسْتِعْمَال الْمَلَاهِي وَنَحْو ذَلِكَ. وَأَمَّا الشَّهَوَات الْمُبَاحَة فَلَا تَدْخُل فِي هَذِهِ لَكِنْ يُكْرَه الْإِكْثَار مِنْهَا مَخَافَة أَنْ يَجُرّ إِلَى الْمُحَرَّمَة، أَوْ يُقَسِّي الْقَلْب، أَوْ يَشْغَل عَنْ الطَّاعَات أَوْ يُحْوِج إِلَى الِاعْتِنَاء بِتَحْصِيلِ الدُّنْيَا لِلصَّرْفِ فِيهَا وَنَحْو ذَلِكَ)) اهـ. (١)

وقال الإمام القرطبي: ((هو من الكلام البليغ الذي انتهى في البلاغة نهايته، وذلك أنه مثّل المكاره بالحفاف: أي في رواية مسلم الآتية، وبمعناها الحجاب، وهو الدائر بالشيء المحيط به الذي لا يتوصل إلى ذلك الشيء إلا بعد أن يتخطى، وفائدة هذا التمثيل أن الجنة لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره وبالصبر عليها، وأن النار لا ينجي منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها)) اهـ. (٢)

وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم هذا المعنى في حديثة الآخر الذي أخرجه الإمام أحمد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/ ١٠٩).

(٢) انظر: دليل الفالحين (١/ ٢٦٤).

رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((لَمَّا خَلَقَ الله الْجَنَّةَ وَالنَّارَ.. أَرْسَلَ جِبْرِيلَ. قَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَجَاءَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ الله لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُجِبَتْ بِالْمَكَارِهِ. قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا وَإِذَا هِيَ قَدْ حُجِبَتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ: وَعِزَّتِكَ قَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَسْمَعَ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا)).

وقد يكون الفعل البسيط في نظر الشخص هو سبب لدخول الجنة أو لدخول النار، وفي هذا المعنى يقول النبي صلى الله عليه وسلم:((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ الله بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)) أخرجه البخاري وأحمد.

فائدة:

ذهب بعض أهل العلم إلى أن الشهوات جعلت على حفافي النار وهي جوانبها.

وقال آخرون: أن الشهوات على جانب النار من خارج.

وقد ذهب إلى القول الأول ابن عربي، حيث قال: ((معنى الحديث: أن الشهوات جعلت على حفافي النار، وهي جوانبها، وتوهم بعضهم أنها ضرب بها المثل فجعلها في جوانبها من خارج، ولو كان ذلك.. ما كان مثلاً صحيحاً، وإنما هي من داخل، وهذه صورتها:

المكاره	الشهوات

فمن اطلع الحجاب.. فقد واقع ما وراءه، وكل من تصورها من خارج.. فقد ضل عن معنى الحديث))، ثم قال: ((فإن قيل: فقد جاء في البخاري (حجبت النار بالشهوات).. فالجواب: أن المعنى واحد؛ لأن الأعمى عن التقوى الذي قد أَخذت الشهواتُ سمعه وبصره.. يراها ولا يرى النار التي هي فيها؛ وذلك لاستيلاء الجهالة والغفلة على قلبه، فهو كالطائر يرى الحبة في داخل الفخ وهي محجوبة به، ولا يرى الفخ؛ لغلبة شهوة المحبة على قلبه وتعلق باله بها)) اهـ.[(١)]

ولم يقبل الحافظ ابن حجر العسقلاني اعتراضه على الآخرين: فقال كما في (الفتح): ((قلت: بالغ كعادته في تضليل من حمل الحديث على ظاهره، وليس ما قاله غيره ببعيد وأن الشهوات على جانب النار من خارج فمن

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٦١).

واقعها وخرق الحجاب دخل النار كما أن الذي قاله القاضي محتمل، والله اعلم)) اهـ. [1]

۞ فوائد الحديث:

١. أن طريق الجنة محفوف بالمتاعب والمجاهدات والصبر على الطاعة وعن المعصية؛ لأنها غالية لا تُنال بالنوم.

٢. أن اتباع الشهوات والملذات طريق يسوق إلى نار جهنم.

٣. ينبغي للمؤمن أن يجاهد نفسه على فعل الأوامر وإن كرهت النفس ذلك، كما أنه يجاهدها على الابتعاد عن الشهوات وإن رغبت هي فيها.

۞ ۞ ۞

(١) فتح الباري (١١/ ٣٦١).

الحديث السابع عشر

حقوق المسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**خَمْسٌ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ: رَدُّ التَّحِيَّةِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَشُهُودُ الْجِنَازَةِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ إِذَا حَمِدَ اللَّهَ**)) رواه البخاري ومسلم، وابن ماجه واللفظ له.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**خَمْسٌ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ**))، وحق المسلم على المسلم كثيرة، وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم هذه الخمس فقط في هذا الحديث لأنها تتكرر دائماً، وقد لا يخلوا اليوم من وجود واحد منها.

((**رَدُّ التَّحِيَّةِ**))، أي السلام، وهو فرض عين في حق الفرد، وفرض كفاية في حق الجماعة، فلو مرَّ مسلمٌ بجانب مسلم فسلّم عليه، ولم يكن غيره موجوداً.. وجب على المُسَلَّمِ عليه أن يرد السلام، وإلا أثم، أما لو كان المُسَلَّم عليهم جماعة.. فيكفي أن يرد أحدهم، ويسقط الإثم عن الباقين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((يُجْزِئُ عَنْ اَلْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزِئُ عَنْ اَلْجَمَاعَةِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ)) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ.

ولو سلّم على جماعة فرد أحدُهم.. أختص بالثواب دون الباقين مع سقوط الإثم عنهم، فإن ردوا كلهم.. أثيبوا ثواب الفرض أي: فرض الكفاية كالمصلين على الجنازة، وسواء أجابوا مجتمعين أو مرتبين.[١]

قال الإمام الشيخ الدميري: (ولو سلم على إنسان ورضي بأنه لا يرد عليه.. لم يسقط عنه فرض الرد؛ لأنه ليس بحق له وإنما هو حق الله تعالى، قاله المتولي في باب الإقرار)اهـ.[٢]

وقد فصلت أحكام السلام ببيان واضح موسع في كتاب مستقل أسميته: ((**إرشاد الأنام إلى أحكام السلام**))، وهو مطبوع ومتداول.

((**وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ**)) إذا دعاه إلى وليمة، أو ضيافة، قال الإمام النووي: ((قَالَ الْعُلَمَاء مِنْ أَهْل اللُّغَة وَالْفُقَهَاء وَغَيْرهمْ: الْوَلِيمَة الطَّعَام الْمُتَّخَذ لِلْعُرْسِ مُشْتَقَّة مِنْ الْوَلْم وَهُوَ الْجَمْع لِأَنَّ الزَّوْجَيْنِ يَجْتَمِعَانِ. قَالَهُ الْأَزْهَرِيّ وَغَيْره. وَقَالَ الْأَنْبَارِيّ: أَصْلهَا تَمَام الشَّيْء وَاجْتِمَاعه، وَالْفِعْل مِنْهَا (أَوْلَمَ). قَالَ أَصْحَابنَا وَغَيْرهمْ: الضِّيَافَات ثَمَانِيَة أَنْوَاع: الْوَلِيمَة لِلْعُرْسِ، وَالْخُرْس

---

(١) انظر: ترشيح المستفيدين (٣٩٤)، وإعانة الطالبين ـ طبعة دار إحياء التراث العربي ـ ٤(/ ١٨٦)، والنجم الوهاج (٩/ ٣٩٨)، و القول الجامع المتين في أحكام السلام والدعوة والتشميت وعيادة المريض وإتباع الجنائز ونصح المسلمين، والمطبوع مع سبع رسائل للمؤلف ـ طبعة دار الكتب العلمية (١٨١).

(٢) النجم الوهاج (٩/ ٣٠٠).

بِضَمِّ الْخَاء الْمُعْجَمَة، وَيُقَال الْخُرْص أَيْضًا بِالصَّادِ الْمُهْمَلَة لِلْوِلَادَةِ، وَالْإِعْذَار بِكَسْرِ الْهَمْزَة وَبِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَة وَالذَّال الْمُعْجَمَة لِلْخِتَانِ. وَالْوَكِيرَة لِلْبِنَاءِ، وَالنَّقِيعَة لِقُدُومِ الْمُسَافِر مَأْخُوذَة مِنْ النَّقْع وَهُوَ الْغُبَار ثُمَّ قِيلَ: إِنَّ الْمُسَافِر يَصْنَع الطَّعَام، وَقِيلَ: يَصْنَعهُ غَيْره لَهُ، وَالْعَقِيقَة يَوْم سَابِع الْوِلَادَة، وَالْوَضِيمَة بِفَتْحِ الْوَاو وَكَسْر الضَّاد الْمُعْجَمَة الطَّعَام عِنْد الْمُصِيبَة، وَالْمَأْدُبَة بِضَمِّ الدَّال وَفَتْحهَا الطَّعَام الْمُتَّخَذ ضِيَافَة بِلَا سَبَب)) اهـ.(١)

وكل وليمة دعي إليها المسلم من قِبل أخيه المسلم.. سنَّ له التلبية والإجابة، إلا وليمة النكاح فقد قال الجمهور بوجوب إجابتها، واستدلوا على ذلك بقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ.. فَلْيَأْتِهَا)) أخرجه البخاري ومسلم، وقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّعْوَةَ.. فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ)) أخرجه مسلم.

قال الإمام النووي في شرحه على ((صحيح مسلم)): ((قَوْله صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا دُعِيَ أَحَدكُمْ إِلَى وَلِيمَة فَلْيَأْتِهَا).. فِيهِ الْأَمْر بِحُضُورِهَا، وَلَا خِلَاف فِي أَنَّهُ مَأْمُور بِهِ، وَلَكِنْ هَلْ هُوَ أَمْر إِيجَاب أَوْ نَدْب ؟ فِيهِ خِلَاف.

---

(١) شرح صحيح مسلم (٩/ ١٤٥).

الْأَصَحّ فِي مَذْهَبنَا أَنَّهُ فَرْض عَيْن عَلَى كُلّ مَنْ دُعِيَ، لَكِنْ يَسْقُط بِأَعْذَارٍ سَنَذْكُرُهَا إِنْ شَاءَ اللهَّ تَعَالَى .

وَالثَّانِي أَنَّهُ فَرْض كِفَايَة. وَالثَّالِث مَنْدُوب. هَذَا مَذْهَبنَا فِي وَلِيمَة الْعُرْس، وَأَمَّا غَيْرهَا فَفِيهَا وَجْهَانِ لِأَصْحَابِنَا: أَحَدهمَا أَنَّهَا كَوَلِيمَةِ الْعُرْس، وَالثَّانِي أَنَّ الْإِجَابَة إِلَيْهَا نَدْب، وَإِنْ كَانَتْ فِي الْعُرْس وَاجِبَة. وَنَقَلَ الْقَاضِي اِتِّفَاق الْعُلَمَاء عَلَى وُجُوب الْإِجَابَة فِي وَلِيمَةِ الْعُرْس. قَالَ: وَاخْتَلَفُوا فِيمَا سِوَاهَا. فَقَالَ مَالِك وَالْجُمْهُور: لَا تَجِب الْإِجَابَة إِلَيْهَا .

وَقَالَ أَهْل الظَّاهِر: تَجِب الْإِجَابَة إِلَى كُلّ دَعْوَة مِنْ عُرْس وَغَيْره، وَبِهِ قَالَ بَعْض السَّلَف))

ثم ذكر الأعذار التي بها يعذر عن الإجابة ويسقط بها الوجوب، فقال:((وَأَمَّا الْأَعْذَار الَّتِي يَسْقُط بِهَا وُجُوب إِجَابَة الدَّعْوَة أَوْ نَدْبهَا فَمِنْهَا أَنْ يَكُون فِي الطَّعَام شُبْهَة، أَوْ يَخُصّ بِهَا الْأَغْنِيَاء، أَوْ يَكُون هُنَاكَ مَنْ يَتَأَذَّى بِحُضُورِهِ مَعَهُ، أَوْ لَا تَلِيق بِهِ مُجَالَسَته، أَوْ يَدْعُوهُ لِخَوْفِ شَرّه، أَوْ لِطَمَعٍ فِي جَاهه، أَوْ لِيُعَاوِنهُ عَلَى بَاطِل، وَأَنْ لَا يَكُون هُنَاكَ مُنْكَر مِنْ خَمْر أَوْ لَهْو أَوْ فُرُش حَرِير أَوْ صُوَر حَيَوَان غَيْر مَفْرُوشَة أَوْ آنِيَة ذَهَب أَوْ فِضَّة. فَكُلّ هَذِهِ أَعْذَار فِي تَرْك الْإِجَابَة وَمِنْ الْأَعْذَار أَنْ يَعْتَذِر إِلَى الدَّاعِي فَيَتْرُكهُ. وَلَوْ دَعَاهُ

ذِمِّيّ لَمْ تَجِب إِجَابَته عَلَى الْأَصَحّ. وَلَوْ كَانَتْ الدَّعْوَة ثَلَاثَة أَيَّام فَالْأَوَّل تَجِب الْإِجَابَة فِيهِ، وَالثَّانِي تُسْتَحَبّ، وَالثَّالِث تُكْرَه)) اهـ.[١]

هل إذا حضر يلزمه الأكل؟

عندنا الشافعية أن الأكل يستحب ولا يجب، فلو كان المدعو صائما.. فلا يلزمه الفطر، فلذا لم يكن الصوم عذرا لعدم الإجابة، فيمكنه الحضور دون أكل، لكن إن علم أن الداعي يشق عليه إن لم يأكل.. فالأفضل له الإفطار، وهذا في غير الصوم الواجب، أما هو.. فلا يجوز الإفطار عنه، قال الإمام النووي: ((قَوْله: (وَكَانَ عَبْد اللَّهَّ يَعْنِي اِبْن عُمَر يَأْتِي الدَّعْوَة فِي الْعُرْس وَغَيْر الْعُرْس وَيَأْتِيهَا وَهُوَ صَائِم): فِيهِ أَنَّ الصَّوْم لَيْسَ بِعُذْرٍ فِي الْإِجَابَة، وَكَذَا قَالَهُ أَصْحَابنَا قَالُوا: إِذَا دُعِيَ وَهُوَ صَائِم لَزِمَهُ الْإِجَابَة كَمَا يَلْزَم الْمُفْطِر، وَيَحْصُل الْمَقْصُود بِحُضُورِهِ وَإِنْ لَمْ يَأْكُل، فَقَدْ يَتَبَرَّك بِهِ أَهْل الطَّعَام وَالْحَاضِرُونَ، وَقَدْ يَتَجَمَّلُونَ بِهِ، وَقَدْ يَنْتَفِعُونَ بِدُعَائِهِ أَوْ بِإِشَارَتِهِ، أَوْ يَنصَانُون عَمَّا لَا يَنصَانُون عَنْهُ فِي غَيْبَته)) اهـ.[٢]

وقال كذلك: ((قَوْله صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا دُعِيَ أَحَدكُمْ إِلَى طَعَام فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ)

---

(١) شرح صحيح مسلم (٩/ ١٥٧).

(٢) شرح صحيح مسلم (٩/ ١٥٨).

وَفِي الرِّوَايَة الْأُخْرَى: (فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ) اِخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى (فَلْيُصَلِّ) قَالَ الْجُمْهُور: مَعْنَاهُ فَلْيَدْعُ لِأَهْلِ الطَّعَام بِالْمَغْفِرَةِ وَالْبَرَكَة وَنَحْو ذَلِكَ، وَأَصْل الصَّلَاة فِي اللُّغَة الدُّعَاء، وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ {التوبة: ١٠٣}، وَقِيلَ: الْمُرَاد الصَّلَاة الشَّرْعِيَّة بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُود، أَيْ يَشْتَغِل بِالصَّلَاةِ لِيَحْصُل لَهُ فَضْلهَا، وَلِتَبَرُّكِ أَهْل الْمَكَان وَالْحَاضِرِينَ. وَأَمَّا الْمُفْطِر فِي الرِّوَايَة الثَّانِيَة أَمَرَهُ بِالْأَكْلِ، وَفِي الْأُولَى مُخَيَّر وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي ذَلِكَ، وَالْأَصَحّ فِي مَذْهَبنَا أَنَّهُ لَا يَجِب الْأَكْل فِي وَلِيمَة الْعُرْس وَلَا فِي غَيْرهَا، فَمَنْ أَوْجَبَهُ اِعْتَمَدَ الرِّوَايَة الثَّانِيَة، وَتَأَوَّلَ الْأُولَى عَلَى مَنْ كَانَ صَائِمًا. وَمَنْ لَمْ يُوجِبهُ اِعْتَمَدَ التَّصْرِيح بِالتَّخْيِيرِ فِي الرِّوَايَة الْأُولَى، وَحَمَلَ الْأَمْر فِي الثَّانِيَة عَلَى النَّدْب. وَإِذَا قِيلَ بِوُجُوبِ الْأَكْل فَأَقَلّه لُقْمَة، وَلَا تَلْزَمهُ الزِّيَادَة لِأَنَّهُ يُسَمَّى أَكْلًا، وَلِهَذَا لَوْ حَلَفَ لَا يَأْكُل حَنِثَ بِلُقْمَةٍ، وَلِأَنَّهُ قَدْ يَتَخَيَّل صَاحِب الطَّعَام أَنَّ اِمْتِنَاعه لِشُبْهَةٍ يَعْتَقِدهَا فِي الطَّعَام، فَإِذَا أَكَلَ لُقْمَة.. زَالَ ذَلِكَ التَّخَيُّل، هَكَذَا صَرَّحَ بِاللُّقْمَةِ جَمَاعَة مِنْ أَصْحَابنَا. وَأَمَّا الصَّائِم.. فَلَا خِلَاف أَنَّهُ لَا يَجِب عَلَيْهِ الْأَكْل، لَكِنْ إِنْ كَانَ صَوْمه فَرْضًا.. لَمْ يَجُزْ لَهُ الْأَكْل؛ لِأَنَّ الْفَرْض لَا يَجُوز الْخُرُوج مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ

نَفْلًا.. جَازَ الْفِطْر وَتَرْكه. فَإِنْ كَانَ يَشُقّ عَلَى صَاحِب الطَّعَام صَوْمه.. فَالْأَفْضَل الْفِطْر، وَإِلَّا.. فَإِتْمَام الصَّوْم)) اهـ.(١)

وقال في (عمدة القاري) بعد أن ذكر الخالف في وجوب الإجابة: ((والأفضل أن يجيب إذا كانت وليمة يدعى فيها الغني والفقير، وإذا دعيت إلى وليمة وأنت صائم.. فأخبره بذلك، فإن قال لا بد لك من الحضور.. فأجبه، فإذا دخلت المنزل، فإن كان صومك تطوعاً، وتعلم أنه لا يشق عليه ذلك.. لا تفطر، وإن علمت أنه يشق عليه امتناعك من الطعام، فإن شئت.. فأفطر واقض يوماً مكانه، وإن شئت فلا تفطر، والإفطار أفضل؛ لأن فيه إدخال السرور على المؤمن)) اهـ.(٢)

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**وَشُهُودُ الْجِنَازَةِ**))، أي جنازة أخيه المسلم، والجَنازة بالفتح.. اسم للميت في النعش، وبالكسر.. اسم للنعش والميت فيه، وقيل: العكس.

والمعنى: حضور الصلاة عليها، وفعلها، واتباعها إلى الدفن أفضل، فاتباع الجنازة سنة بالإجماع، قال الإمام النووي: ((وَأَمَّا اِتِّبَاع الْجَنَائِز.. فَسُنَّة بِالْإِجْمَاعِ أَيْضًا، وَسَوَاء فِيهِ مَنْ يَعْرِفهُ وَقَرِيبه وَغَيْرهمَا)) اهـ،(٣) ويجب على

(١) شرح صحيح مسلم (٩/ ١٥٧).

(٢) عمدة القاري (١٢/ ١٣٣).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٤/ ١٨١).

الأحياء تجاه الميت أربعة أشياء وهي: تغسيله، وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه، وكل ذلك فرض كفاية إن لم يتعين على الشخص فعل ذلك، وإلا.. صار فرض عين، كأن لم يعلم بها غيره، ولم يكن موجوداً غيره ليقوم بذلك.

((**وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ**))، أي: زيارته، مِن عاد يعود عودا، أي: صار إليه، وعيادة المريض سنة، قال الإمام النووي: ((أَمَّا عِيَادَة الْمَرِيض.. فَسُنَّة بِالْإِجْمَاعِ، وَسَوَاء فِيهِ مَنْ يَعْرِفهُ وَمَنْ لَا يَعْرِفهُ، وَالْقَرِيب وَالْأَجْنَبِيّ، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي الْأَوْكَد وَالْأَفْضَل مِنْهَا)) اهـ،[١] وقال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): ((قال الجمهور: هي في الأصل ندب، وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض دون بعض، وعن الطبري تتأكد في حق من ترجى بركته، وتسن فيمن يراعي حاله وتباح فيما عدا ذلك)) اهـ.[٢]

وقال في (دليل الفالحين): ((واختلف فيها هل هي فرض كفاية أو سنة: فقال الجمهور: هي في الأصل مندوبة، وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض دون بعض، وعن الطبري تتأكد فيمن ترجى بركته، وتسن فيمن يراعى حاله، وتباح فيما عدا ذلك، وفي المشرك خلاف. قال الماوردي: هي مباحة، وقد يقترن بها ما يصيرها قربة كرجاء إسلامه، وقد نقل المصنف – أي: الإمام النووي – الإجماع على عدم وجوب العيادة، أي: عيناً، وعموم

(١) المرجع السابق.

(٢) فتح الباري (١٠/ ١٢٨).

المريض.. يقتضي عيادة كل مرض ولو أُرمد، وحديث: «ثلاثة ليس لهم عيادة: العين والدمل والضرس».. صحح البيهقي وقفه على يحيى ابن كثير. وقد جاء في عيادة الأرمد بخصوصها حديث زيد بن أرقم قال: « **عَادَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم مِنْ وَجَعٍ كَانَ بِعَيْنِي**» أخرجه أبو داود والحاكم وصححه، وهو عند البخاري في «الأدب المفرد». ويؤخذ من إطلاق الحديث أنها لا تتقيد بزمن يمضي من ابتداء المرض، وهو قول الجمهور، وجزم الغزالي في (الإحياء) بأنه لا يعاد إلا بعد ثلاث، ولا بيوم معين)) اهـ.(١)

((**وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ**))، أي الدعاء له بإزالة الشماتة عنه، فيقول له: يرحمك الله، فيجيبه العاطس بقوله: يهديكم الله ويصلح بالكم، وإنما يكون ذلك ((**إِذَا حَمِدَ اللهَّ**))، أما إذا لم يحمد لله تعالى بعد عطاسه.. فلا يشمت، لكن الأفضل أن يذكره إذا عطس بالحمد، فيقول له إذا عطس: الحمد لله، فإن تذكر وحمد لله.. شمته كما تقدم.

۞ حكم تشميت العاطس إذا حمد لله:

اختلف أهل العلم في حكم تشميت العاطس إذا حمد لله، ومعتمد الشافعية الاستحباب، ويجزئ الواحد عن الجماعة، وقد ذكر الحافظ ابن

---

(١) دليل الفالحين (٢/ ٢٥).

حجر هذا الخالف في كتابه (فتح الباري)، فقال: (((قوله: (باب تشميت العاطس إذا حمد الله)، أي: مشروعية التشميت بالشرط المذكور، ولم يعين الحكم، وقد ثبت الأمر بذلك كما في حديث الباب. قال بن دقيق العيد: ظاهر الأمر الوجوب، ويؤيده قوله في حديث أبي هريرة الذي في الباب الذي يليه: ((فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ)) وفي حديث أبي هريرة عند مسلم: ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ))، فذكر فيها: ((وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَّ.. فَشَمِّتْهُ)) وللبخاري من وجه آخر عن أبي هريرة: ((خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ)) فذكر منها التشميت، وهو عند مسلم أيضا، وفي حديث عائشة عند أحمد وأبي يعلى: ((إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ.. فَلْيَقُلْ الْحَمْدُ للهَّ، وَلْيَقُلْ مَنْ عِنْدَهُ: يَرْحَمُكَ الله))، ونحوه عند الطبراني من حديث أبي مالك، وقد أخذ بظاهرها بن مزين من المالكية، وقال به جمهور أهل الظاهر، وقال بن أبي جمرة: قال جماعة من علمائنا إنه فرض عين، وقواه بن القيم في حواشي السنن، فقال: جاء بلفظ الوجوب الصريح، وبلفظ الحق الدال عليه، وبلفظ على الظاهرة فيه، وبصيغة الأمر التي هي حقيقة فيه، وبقول الصحابي: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم ، قال: ولا ريب أن الفقهاء أثبتوا وجوب أشياء كثيرة بدون مجموع هذه الأشياء، وذهب آخرون إلى أنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ورجحه أبو الوليد بن رشد، وأبو بكر بن العربي، وقال به الحنفية وجمهور

الحنابلة، وذهب عبد الوهاب وجماعة من المالكية إلى أنه مستحب، ويجزئ الواحد عن الجماعة، وهو قول الشافعية، والراجح من حيث الدليل القول الثاني، والأحاديث الصحيحة الدالة على الوجوب لا تنافي كونه على الكفاية، فإن الأمر بتشميت العاطس وإن ورد في عموم المكلفين ففرض الكفاية يخاطب به الجميع على الأصح، ويسقط بفعل البعض، وأما من قال إنه فرض على مبهم فإنه ينافي كونه فرض عين)) اهـ.[١]

وقال الإمام النووي: ((وَأَمَّا تَشْمِيت الْعَاطِس.. فَهُوَ أَنْ يَقُول لَهُ: يَرْحَمك اللَّهُ، وَيُقَال بِالسِّينِ الْمُهْمَلَة وَالْمُعْجَمَة، لُغَتَانِ مَشْهُورَتَانِ. قَالَ الْأَزْهَرِيّ: قَالَ اللَّيْث: التَّشْمِيت ذِكْر اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلّ شَيْء، وَمِنْهُ قَوْله لِلْعَاطِسِ: يَرْحَمك اللَّهُ. وَقَالَ ثَعْلَب: يُقَال: سَمَّتَ الْعَاطِس وَشَمَّتَهُ إِذَا دَعَوْت لَهُ بِالْهُدَى، وَقَصَدَ السَّمْت الْمُسْتَقِيم. قَالَ: وَالْأَصْل فِيهِ السِّين الْمُهْمَلَة، فَقُلِبَتْ شِينًا مُعْجَمَة. وَقَالَ صَاحِب الْمُحْكَم: تَسْمِيت الْعَاطِس مَعْنَاهُ هَدَاك اللَّهُ إِلَى السَّمْت. قَالَ: وَذَلِكَ لِمَا فِي الْعَاطِس مِنْ الِانْزِعَاج وَالْقَلِق. قَالَ أَبُو عُبَيْد وَغَيْره: الشِّين الْمُعْجَمَة عَلَى اللُّغَتَيْنِ. قَالَ اِبْن الْأَنْبَارِيّ: يُقَال مِنْهُ شَمَّتَهُ، وَسَمَّتَ عَلَيْهِ إِذَا دَعَوْت لَهُ بِخَيْرٍ، وَكُلّ دَاعٍ بِالْخَيْرِ فَهُوَ مُشَمِّت، وَمُسَمِّت. وَتَسْمِيت الْعَاطِس سُنَّة، وَهُوَ سُنَّة عَلَى

(١) فتح الباري (١٠/ ٦٧٤).

الْكِفَايَة إِذَا فَعَلَ بَعْض الْحَاضِرِينَ سَقَطَ الْأَمْر عَنْ الْبَاقِينَ، وَشَرْطه أَنْ يَسْمَع قَوْل الْعَاطِس: الْحَمْد للهَّ)) اهـ،[١] وقال في موضع آخر بعد أن عرف التشميت: ((اِخْتَلَفُوا فِي إِيجَابه، فَأَوْجَبَهُ أَهْل الظَّاهِر، وَابْن مَرْيَم مِنْ الْمَالِكِيَّة عَلَى كُلّ مَنْ سَمِعَهُ لِظَاهِرِ قَوْله صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَحَقّ عَلَى كُلّ مُسْلِم سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتهُ) قَالَ الْقَاضِي: وَالْمَشْهُور مِنْ مَذْهَب مَالِك أَنَّهُ فَرْض كِفَايَة. قَالَ: وَبِهِ قَالَ جَمَاعَة مِنْ الْعُلَمَاء كَرَدِّ السَّلَام. وَمَذْهَب الشَّافِعِيّ وَأَصْحَابه وَآخَرِينَ أَنَّهُ سُنَّة وَأَدَب، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَيَحْمِلُونَ الْحَدِيث عَنْ النَّدْب وَالْأَدَب كَقَوْلِهِ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " حَقّ عَلَى كُلّ مُسْلِم أَنْ يَغْتَسِل فِي كُلّ سَبْعَة أَيَّام " قَالَ الْقَاضِي: وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي كَيْفِيَّة الْحَمْد وَالرَّدّ، وَاخْتَلَفَتْ فِيهِ الْآثَار، فَقِيلَ: يَقُول: الْحَمْد للهَّ. وَقِيلَ: الْحَمْد للهَّ رَبّ الْعَالَمِينَ، وَقِيلَ: الْحَمْد للهَّ عَلَى كُلّ حَال، وَقَالَ اِبْن جَرِير: هُوَ مُخَيَّر بَيْن هَذَا كُلّه، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيح وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ مَأْمُور بِالْحَمْدِ للهَّ .

وَأَمَّا لَفْظ (التَّشْمِيت) فَقِيلَ: يَقُول: يَرْحَمك اللهَّ، وَقِيلَ، يَقُول: الْحَمْد للهَّ يَرْحَمك اللهَّ، وَقِيلَ: يَقُول: يَرْحَمنَا اللهَّ وَإِيَّاكُمْ. قَالَ: وَاخْتَلَفُوا فِي رَدّ الْعَاطِس عَلَى الْمُشَمِّت، فَقِيلَ: يَقُول: يَهْدِيكُمْ اللهَّ وَيُصْلِح بَالكُمْ، وَقِيلَ: يَقُول: يَغْفِر اللهَّ لَنَا وَلَكُمْ، وَقَالَ مَالِك وَالشَّافِعِيّ: يُخَيَّر بَيْن هَذَيْنِ، وَهَذَا هُوَ

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٤/ ١٨٢).

الصَّوَاب، وَقَدْ صَحَّتْ الْأَحَادِيث بِهِمَا. قَالَ: وَلَوْ تَكَرَّرَ الْعُطَاس قَالَ مَالِك: يُشَمِّتهُ ثَلَاثًا ثُمَّ يَسْكُت)) اهـ.[1]

فوائد الحديث:

١. حرص الشريعة المطهرة على اداء حقوق المسلم.

٢. على المسلم أن يؤدي حقوق أخيه المسلم، وأن لا يهملها.

٣. قوة الصلة والإخوة بين أهل الإسلام.

(١) شرح صحيح مسلم (١٨/ ٢١٢).

الحديث الثامن عشر

حسن الخُلق

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقً**)) رواه البخاري ومسلم.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**خِيَارُكُمْ**))، أي: من خياركم كما جاء في لفظ مسلم واحمد، والمعنى: خيْرُكم، وقال الحافظ ابن حجر: ((يحتمل أن يريد بقوله خياركم.. جمع خير، ويحتمل أن يريد أفعل التفضيل، تقول في الواحد: خير، وأخير،)) اهـ.[1]

((**أَحَاسِنُكُمْ**)): جمع أَحْسَن، ((**أَخْلَاقً**)): جمع خُلُقٍ بضمتين، أو بضم فسكون تخفيفاً خُلْقٍ، ويجمع على خلائق أيضاً، والخلق هو: ملكة يصدر بها عن النفس أفعال ما بسهولة من غير تقدم روية.[2]

قال الإمام النووي: ((قَوْله صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ مِنْ خِيَاركُمْ أَحَاسِنكُمْ أَخْلَاقًا).. فِيهِ الْحَثّ عَلَى حُسْن الْخُلُق، وَبَيَان فَضِيلَة صَاحِبه. وَهُوَ صِفَة أَنْبِيَاء اللهَّ تَعَالَى وَأَوْلِيَائِهِ. قَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ: حَقِيقَة حُسْن الْخُلُق بَذْل الْمَعْرُوف، وَكَفّ الْأَذَى، وَطَلَاقَة الْوَجْه. قَالَ الْقَاضِي عِيَاض:

---

(١) فتح الباري (٦/ ٤٥٠).

(٢) انظر: معارج القدس للإمام الغزالي (١٥٢)

هُوَ مُخَالَطَة النَّاس بِالْجَمِيلِ وَالْبِشْر، وَالتَّوَدُّد لَهُمْ، وَالْإِشْفَاق عَلَيْهِمْ، وَاحْتِمَالهمْ، وَالْحِلْم عَنْهُمْ، وَالصَّبْر عَلَيْهِمْ فِي الْمَكَارِه، وَتَرْك الْكِبْر وَالِاسْتِطَالَة عَلَيْهِمْ. وَمُجَانَبَة الْغِلَظ وَالْغَضَب، وَالْمُؤَاخَذَة. قَالَ: وَحَكَى الطَّبَرِيُّ خِلَافًا لِلسَّلَفِ فِي حُسْن الْخُلُق هَلْ هُوَ غَرِيزَة أَمْ مُكْتَسَب ؟ قَالَ الْقَاضِي: وَالصَّحِيح أَنَّ مِنْهُ مَا هُوَ غَرِيزَة، وَمِنْهُ مَا يُكْتَسَبُ بِالتَّخَلُّقِ وَالِاقْتِدَاء بِغَيْرِهِ)) اهـ.[١]

واختلف السلف في بيان معنى حسن الخلق:

فقال الحسن البصري: حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكفّ الأذى وطلاقة الوجه.

وقال الشعبي: حسن الخلق البذلة والعطية والبِشرُ الحسن، وقد كان الشعبي كذلك.

وقال ابن المبارك: هو بسطُ الوجه، وبذلُ المعروف، وكفُّ الأذى.

وقال الإمامُ أحمد: حُسنُ الخلق أنْ لا تَغضَبَ ولا تحْتدَّ، وعنه أنَّه قال: حُسنُ الخلق أنْ تحتملَ ما يكونُ من الناس .

وقال إسحاق بن راهويه: هو بسطُ الوجهِ، وأنْ لا تغضب، ونحو ذلك قال محمد بن نصر .

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٥/ ٥٤).

وقال بعضُ أهل العلم: حُسنُ الخلق: كظمُ الغيظِ لله، وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر، والعفوُ عن الزَّالين إلا تأديباً أو إقامة حدٍّ وكفُّ الأذى عن كلّ مسلم أو معاهَدٍ إلا تغييرَ منكر أو أخذاً بمظلمةٍ لمظلومٍ من غير تعدٍّ.(١)

قال الباجي: وتحسين الخلق أن يظهر منه لمن يجالسه أو يردّ عليه البِشر والحلم والإشفاق والصبر على التعليم والتودد إلى الصغير والكبير.

۞ هل حسن الخلق غريزي أم مكتسب ؟

اختلف أهل العلم في ذلك، فذهب جماعة إلى أنه غريزي، قال المناوي في (فيض القدير) مستدلاً بحديث: ((إِذَا سَمِعْتُمْ بِجَبَلٍ زَالَ عَنْ مَكَانِهِ.. فَصَدِّقُوا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ بِرَجُلٍ تَغَيَّرَ عَنْ خُلُقِهِ.. فَلَا تُصَدِّقُوا بِهِ، وَإِنَّهُ يَصِيرُ إِلَى مَا جُبِلَ عَلَيْهِ)) أخرجه أحمد، قال: ((وهذا الخبر صريح في أن حسن الخلق لا يمكن اكتسابه؛ لكنه منزل على تعبير القوة نفسها التي هي السجية لا على أساسها)) اهـ.(٢)

وقال في موضع آخر: ((هذا الدين مبني على السخاء وحسن الخلق، ولا يصلح إلا بهما، فكمال إيمان الإنسان ونقصه على قدر ذلك، ولا يناقضه ما سلف أنه جبلي غريزي؛ لأنه وإن كان سجية أصالة لكن يمكن اكتساب

---

(١) انظر: ذلك كله في (جامع العلوم والحكم) (٣٠٠).

(٢) فيض القدير (١/ ٦٢٥).

تحسينه بنحو نظر في أخلاق المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم والحكماء، ثم بتصفية النفس عن ذميم الأوصاف، وقبيح الخصال، ثم برياضتها إلى تحليها بالكمال، ومعالي الأحوال، وحينئذ فيثاب على تلك الأخلاق؛ لكونها من كسبه)) اهـ.[1]

وذهب آخرون إلى أنه مكتسب كما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ((وَإِنَّمَا الحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ)) أخرجه الطبراني والدار قطني.

وقد جمع الحافظ ابن حجر بين القولين، قال في (دليل الفالحين): ((وقد اختلف فيه هل هو مكتسب أو غريزي؟ وجمع بين القولين بأنه غريزي باعتبار أصله، ويقوى وينمو بالكسب. قال الحافظ في «الفتح»: ومحصل ما أجاب العلماء عن الأحاديث المختلف فيها الأجوبة بأن أفضل الأعمال كذا أن اختلاف الجواب لاختلاف حال السائلين بأن أعلم كلا بما يحتاج إليه، أو بما لهم فيه رغبة، أو بما هو اللائق، أو أن اختلافه باختلاف الأوقات بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه في غيره ــ فقد كان الجهاد في ابتداء الإسلام أفضل الأعمال لأنه الوسيلة إلى القيام بها والتمكن منها، وقد تظافرت الأدلة على أن الصلاة أفضل من الصدقة، ومع ذلك ففي وقت مواساة المضطر تكون الصدقة أفضل، أو أن أفضل ليس على بابه

(١) فيض القدير (٢/ ٣٧٨).

بل المراد الفضل المطلق، أو أن المراد من أفضل فحذفت من وهي مرادة كما ورد «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ» ومعلوم أنه لا يصير بذلك خير الناس مطلقاً، فعلى هذا.. فأفضل الأعمال على الإطلاق الإيمان، والباقيات متساوية في كونها من أفضلها، وإن تفاوتت درجاتها بما ورد فيها اهـ. ملخصاً)) اهـ.[1]

۞ فوائد الحديث:

١. الحث على حسن الخلق في جميع الشئون.

٢. أن حسن الخلق هو ميزان التفاضل في الخيرية عند الله ورسوله.

٣. يحسن التسابق في الفضائل فبها يقرب العبد من الله.



(١) دليل الفالحين (٢/ ٩٥).

الحديث التاسع عشر

فضل تعلم القرآن وتعليمه

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**)) رواه البخاري ومسلم.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**خَيْرُكُمْ**))، قد تقدم الكلام عنه في الحديث السابق، وفي رواية عند البخاري أيضاً: ((**إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**)).

((**مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ**))، أي: كله أو بعضه، فاللفظ صالح للأمرين، ويصح إرادة البعض هنا باعتبار أن من وجد منه ما يأتي ولو كان في آية خير ممن لم يكن كذلك.

قال بعض المحققين: والذي يسبق للفهم من تعلم القرآن حفظه وتعلم فقهه، فالخيار من جمعهما.[1]

((**وَعَلَّمَهُ**)) غيره مخلصاً في كلا الأمرين مبتغياً به وجه الله تعالى عاملاً بما فيه من الأخلاق والآداب والأحكام، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أنه قال: ((مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ.. فَكَأَنَّمَا اسْتُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، إِلَّاَ أَنَّهُ لَا يُوْحَى إِلَيْهِ)) أخرجه الحاكم وابن ابي شيبة.

---

(١) انظر: فيض القدير (٤/ ٥٥٠).

وفي لفظ ((أَوْ عَلَّمَهُ))، وهي للتنويع لا للشك، وهذا اللفظ.. يقتضي إثبات الخيرية المذكورة لمن فعل أحد الأمرين، فيلزم أن من تعلم القرآن ولو لم يعلمه غيره أن يكون خيراً ممن عمل بما فيه مثلاً وإن لم يتعلمه.

لكن الأكثرين على أنه بالواو، قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): ((ولا يقال: يلزم على رواية الواو أيضا أن من تعلمه وعلمه غيره.. أن يكون أفضل ممن عمل بما فيه من غير أن يتعلمه ولم يعلمه غيره؛ لأَنَّا نقول: يحتمل أن يكون المراد بالخيرية من جهة حصول التعليم بعد العلم، والذي يعلِّم غيره يحصل له النفع المتعدي، بخلاف من يعمل فقط؛ بل من أشرف العمل تعليم الغير فمعلم غيره يستلزم أن يكون تعلمه وتعليمه لغيره عمل وتحصيل نفع متعد، ولا يقال لو كان المعنى حصول النفع المتعدي.. لاشترك كل من علَّم غيره علماً ما في ذلك؛ لأَنَّا نقول: القرآن أشرف العلوم، فيكون من تعلَّمه وعلَّمه لغيره.. أشرف ممن تعلم غير القرآن وإنْ عَلَّمَهُ، فيثبت المدعي، ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي؛ ولهذا كان أفضل، وهو من جملة من عني سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ {فصلت: ٣٣}، والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع، وعكسه

الكافر المانع لغيره من الإسلام كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ {الأنعام: ١٥٧})) اهـ.[١]

وقال الإمام المناوي في (فيض القدير): (((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، أي: خير المتعلمين والمعلمين من كان تعلمه وتعليمه في القرآن لا في غيره؛ إذ خير الكلام كلام الله، فكذا خير الناس بعد النبيين من اشتغل به: أو المراد: خير المتعلمين من يعلِّم غيره، لا من يقتصر على نفسه، أو المراد: خيرية خاصة من هذه الجهة، أي: جهة حصول التعليم بعد العلم، والذي يعلِّم غيره.. يحصل له النفع المتعدي، بخلاف من يعمل فقط؛ ولذلك استظهروا رواية الواو على أو؛ لاقتضائها إثبات الخيرية لمن فعل أحد الأمرين، ولا شك أن الجامع بينهما مكمل لنفسه ولغيره، فهو الأفضل)) اهـ.[٢]

۞ هل المقرئ أفضل من الفقيه؟

المعتمد أن الفقيه أفضل؛ لأن الفقيه يحسن العبادة لله ويعلم أحكام شرع الله، وقد لا يكون القارئ كذلك، قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) بعد أن تكلم عن هذا الحديث: ((فإن قيل: فيلزم على هذا أن يكون

(١) فتح الباري (٩/ ٨٧).

(٢) فيض القدير (٤/ ٥٥٠).

المقرئ أفضل من الفقيه، قلنا: لا؛ لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء النفوس؛ لأنهم كانوا أهل اللسان، فكانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة أكثر مما يدريها من بعدهم بالاكتساب، فكان الفقه لهم سجية، فمن كان في مثل شأنهم.. شاركهم في ذلك، لا من كان قارئاً أو مُقرئاً محضاً لا يفهم شيئاً من معاني ما يَقرؤه أو يُقْرِئَهُ، فإن قيل: فيلزم أن يكون المقرئ أفضل ممن هو أعظم غناء في الإسلام بالمجاهدة والرباط والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً، قلنا: حرف المسألة يدور على النفع المتعدي، فمن كان حصوله عنده أكثر.. كان أفضل، فلعل (مَنْ) مضمرة في الخبر، ولا بد مع ذلك من مراعاة الإخلاص في كل صنف منهم، ويحتمل أن تكون الخيرية وإن أطلقت لكنها مقيدة بناس مخصوصين خوطبوا بذلك، كان اللائق بحالهم ذلك، أو المراد: خير المتعلمين من يعلم غيره، لا من يقتصر على نفسه، أو المراد مراعاة الحيثية؛ لأن القرآن خير الكلام، فمتعلمه خير من متعلم غيره بالنسبة إلى خيرية القرآن، وكيفما كان فهو مخصوص بمن علم وتعلم بحيث يكون قد علم ما يجب عليه عينا)) اهـ.[١]

وقال في (عمدة القاري): ((فإن قلتَ: إيما أفضل تعلم القرآن أو تعلم الفقه؟ قلتُ: قال ابن الجوزي: تعلم اللازم منهما فرض على الأعيان،

---

(١) فتح الباري (٩/ ٨٧).

وتعلم جميعهما فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين، فإن فرضنا الكلام في التزيد منهما على قدر الواجب في حق الأعيان.. فالمتشاغل بالفقه أفضل، وذلك راجع إلى حاجة الإنسان؛ لأن الفقه أفضل من القراءة، وإنما كان القارئ في زمن النبي هو الأفقه، فلذلك قدم القارئ في الصلاة)) اهـ.[1]

❁ فوائد الحديث:

١. بيان فضل القرآن الكريم، وفضل تعلمه.

٢. ينبغي للمؤمن أن يتعلم القرآن ويعمل به.

٣. عظمة تعليم كتاب الله تعالى بعد تعلمه وتفهّم ما فيه.

(١) عمدة القاري (٢٩/ ١٢٦).

الحديث العشرون

نفع الخلق

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**اَلخَلْقُ كُلُهُمْ عِيَالُ اللهِ، فَأَحَبُّهُمْ إِلىَ اللهِ أَنْفَعَهُمْ لِعِيَالِهِ**)) رواه أبو يعلى.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**اَلخَلْقُ كُلُهُمْ عِيَالُ اللهِ**))، أي: فقراؤه، وهو الذي يعولهم، فهم عالة على الله تعالى في علاه قال العسكري: هذا على المجاز والتوسع، فإنه تعالى لما كان المتضمن لأرزاق العباد الكافل بها كان الخلق كعياله.[١]

((**فَأَحَبُّهُمْ إِلىَ اللهِ أَنْفَعَهُمْ**)) أي: أكثرهم نفعاً ((**لِعِيَالِهِ**))، والضمير يعود على الله تعالى، وأفضل النفع لهم هدايتهم وتقريبهم غلى الله تعالى، وتعليمهم ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم، والرحمة بهم ومساعدتهم بقدر المستطاع.

وقيل أن الضمير في قوله: ((**لِعِيَالِهِ**)) يعود على عيال الإنسان أنفسهم الذين يمونهم وتلزمه نفقتهم، أي: من هو أكثر نفعاً لعيال نفسه، والمعنى الأول هو الأقرب.[٢]

---

(١) انظر: فيض القدير (٤/ ٥٦٢).

(٢) انظر: فيض القدير (١/ ٢٩٠).

قال الشاعر:

الناس كلهم عيال الله تحت ظلالهِ   فأحبهم طُـرَّاً إليه أبرُّهم بعـيالهِ

فوائد الحديث:

١. الخلق كلهم عالة على الله، وهم فقراء إليه، تحت أمره وحكمه وقهره.

٢. الحث على مساعدة الناس وقضاء حوائجهم بقدر المستطاع.

٣. بقدر ما ينفع العبد إخوانه.. يزداد محبة عند الله.

الحديث الحادي والعشرون

ترك الشبهات

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**)) حديث صحيح رواه أحمد، والنسائي، والترمذي.

❁ **شرح الحديث:**

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**دَعْ**))، أي: اترك، والأمر هنا للندب؛ لأن توقي الشبهات مندوب على الأصح. [(١)]

((**مَا يَرِيبُكَ**))، أي الذي يريبك، فما موصولة بمعنى الذي، ويريبك: بفتح الياء التحتية وضمها، وفتحها أفصح وأشهر، من راب وأراب: بمعنى شك. وقيل: راب لما تتيقن فيه الريبة، وأراب لما تتوهم منه، وقيل: رابني إذا رأيت منه ما يريبك وتكرهه، وأراب إذا أتى بريبة.

((**إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**))، أي: إلى ما لا تشك فيه، فالمعنى: اترك ندباً ما تشك في حله، واعدل إلى ما لا تشك في حله. قال في (فيض القدير): (((دع ما يريبك)، أي: اترك ما تشك في كونه حسنا أو قبيحا أو حلالا أو حراما (إلى ما لا يريبك)، أي: واعدل إلى ما لا شك فيه، يعني: ما تيقنت حسنه وحله)) اهـ.[(٢)]

---

(١) انظر: دليل الفالحين (١/ ١٧٢)، وفيض القدير(٤/ ٦٠٢) .

(٢) فيض القدير (٤/ ٦٠٢).

قال في (دليل الفالحين): ((والتقدير: إذا وجدت نفسك ترتاب في الشيء.. فاتركه، فإن نفس المؤمن جبلت على أنها تطمئن إلى الصدق وتنفر من الكذب وإن لم تعلم أن الذي اطمأنت إليه كذلك في نفس الأمر، وإذا جبلت على ذلك.. فعليك أن تأخذ برغبتها ورهبتها إذا جربت منها الإصابة كما هو شأن كثير من النفوس الصافية؛ لأن الله أطلعهم على حقائق الوجود وهم في أماكنهم بإلغاء ما يحبّ. قال بعضهم: لما علم الله أن قلب المؤمن الكامل ذي النفس الزكية المطهرة من رديء أخلاقها يميل ويطمئن إلى كل كمال، ومنه كون القول أو الفعل صدقاً أو حقاً، وينفر من كون أحدهما كذباً أو باطلاً، جعل ميله وطمأنينته علامة واضحة على الحل. وانزعاجه ونفرته علامة على الحرام وأمر في الأول بمباشرة الفعل، وفي الثاني: بالإعراض عنه ما أمكن)) اهـ.[1]

وقال الإمام المناوي: ((قال بعضهم: الورع كله في ترك ما يريب إلى ما لا يريب، وفي هذه الأحاديث عموم يقتضي أن الريبة تقع في العبادات والمعاملات وسائر أبواب الأحكام، وإن ترك الريبة في ذلك كله ورع.

قالوا: وهذه الأحاديث قاعدة من قواعد الدين، وأصل في الورع الذي عليه مدار اليقين، وراحة من ظلم الشكوك والأوهام المانعة لنور اليقين،

(١) دليل الفالحين (١/ ١٧٢).

(تنبيه) قال العسكري: لو تأملت الحذاق هذا الحديث.. لتيقنوا أنه قد استوعب كل ما قيل في تجنب الشبهات)) اهـ.[1]

۞ فوائد الحديث:

١. المؤمن يبتعد عن مواطن الريبة والشك.

٢. المؤمن يتحرى الحلال في جميع الامور.

٣. الحث على الورع الذي هو ترق ما كان يقين حلال مخافة الوقوع في الحرام، وليس الورع ترك الحرام؛ لأن ترك الحرام واجب أصلاً.



(١) فيض القدير (٤/ ٦٠٤).

الحديث الثاني والعشرون

أوقات الإجابة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**الدُّعَاءَ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ مُسْتَجَابٌ فَادْعُوا**)) حديث صحيح رواه أبو يعلى.

۞ شرح الحديث:

ورد عند أحمد وأبي داود وغيرهم بلفظ: ((**إِنَّ الدُّعَاءَ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ فَادْعُوا**)).

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**الدُّعَاءَ**))، وهو: الطلب على سبيل التضرع، وقيل: رفع الحاجات إلى رافع الدرجات.

((**بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ مُسْتَجَابٌ**))، وهو أحد الاوقات التي يستجاب فيها الدعاء، فإن بعض الأوقات يتكون الاستجابة فيها أرجى من غيرها، كجوف الليل، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ {غافر: ٦٠}، وليس معنى هذا أنه لابد من تعجيل الاجابة، فقد يدعوا الإنسان في هذا الوقت المذكور أو في غيره من الأوقات ثم لا يرى أثر الإجابة، وليس معنى عدم رؤية أثر الإجابة عدم حصولها، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أنه قال: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ.. إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ، إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا

أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا))، قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: ((اللهُ أَكْثَرُ)) أخرجه الإمام أحمد.

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي)) أخرجه البخاري ومسلم.

وربما لم تحصل له الاستجابة في الدعاء لعدم توفر شروط الإجابة، فقد ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أنه قال: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:

﴿ ﴾ ﴿٤٩﴾

{المؤمنون: ٥١}، وَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ {البقرة: ١٧٢}، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!)) اخرجه مسلم.

ولاستجابة الدعاء شروط كثيرة، فمنها:

الابتعاد عن الحرام، والابتعاد عن جميع المنكرات والشبهات، وأن يكون المريد طائعاً لله تعالى بحيث يكون مؤهلاً لأن يستجاب لدعائه، أن يبدأ الدعاء بالاستغفار، ثم حمد الله والثناء عليه، ثم الصلاة على الرسول،

ثم طلب المسألة، ثم الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

قال الإمام المناوي في (فيض القدير): (((الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة) قال ابن القيم: هذا مشروط بما إذا كان للداعي نفس فعالة وهمة مؤثرة، فيكون حينئذ من أقوى الأسباب في دفع النوازل والمكاره، وحصول المآرب والمطالب؛ لكن قد يتخلف أثره عنه إما لضعف في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله؛ لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء، فيكون كالقوس الرخو، فإن السهم يخرج منه بضعف، وإما لحصول مانع من الإجابة كأكل حرام وظلم ورين ذنوب، واستيلاء غفلة، وسهو، ولهو، فيبطل قوته أو يضعفها)) اهـ.[١]

((**فَادْعُوا**)) بما شئتم في هذا الوقت خاصة وفي غيره عامة ما لم يكن الدعاء بمحرم كالدعاء بالإثم أو قطيعة الرحم، فقد قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ)) أخرجه مسلم، وفي لفظ عند أحمد: ((مَا أَحَدٌ يَدْعُو بِدُعَاءٍ.. إِلَّا آتَاهُ اللهُ مَا سَأَلَ، أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهُ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ)).

(١) فيض القدير (٤/ ٦٢٥).

قال في (سبل السلام): ((هَذَا وَقَدْ وَرَدَ تَعْيِينُ أَدْعِيَةٍ تُقَالُ بَعْدَ الْأَذَانِ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ: أَنْ يَقُولَ: { رَضِيت بِاَللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إنَّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ }: أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ إجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الْهَدْيِ: أَكْمَلُ مَا يُصَلَّى بِهِ وَيُصَلَّى إلَيْهِ كَمَا عَلَّمَ أُمَّتَهُ أَنْ يُصَلُّوا عَلَيْهِ، فَلَا صَلَاةَ عَلَيْهِ أَكْمَلُ مِنْهَا)) اهـ.[1]

وكذا يسن بعد الأذان طلب الوسيلة للنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فقد قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ.. حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) أخرجه البخاري ومسلم.

۞ فوائد الحديث:

١. بيان فضيلة بعض الأوقات واختصاصه باستجابة الدعاء، ومنها بين الأذان والإقامة.

٢. الحث على دعاء الحق تعالى في علاه والاستمرار في دعاءه.

٣. ترقب الأوقات والأماكن التي تكون فيها الاستجابة أرجى.

---

(١) سبل السلام (١/ ٤٤٩).

الحديث الثالث والعشرون

طعم الإيمان

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولًا**)) رواه مسلم.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**ذَاقَ طَعْمَ**)): والذوق كما قاله الراغب هو: وجود الطعم في الفم، وأصله فيما يقل تناوله، وإذا كثر.. يقال له الأكل، واستعمل في القرآن بمعنى وجود الإصابة إما في الرحمة نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ {هود: ٩}، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ {الشورى: ٤٨}، وإما في العذاب نحو قوله تعالى: ﴿ لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ {النساء: ٥٦}، وقال غيره: الذوق ضُرب مثلاً لما ينالونه عند المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من الخير.[١]

والمراد به في الحديث أمر وجداني لا حسي.

((**الْإِيمَانِ**)): وقد تقدم تعريفه في الحديث الرابع عشر، ولا بأس من ذكره هنا، فهو لغة مطلق التصديق.

---

(١) انظر: فيض القدير (٤/ ٦٥٦).

وشرعاً: تصديق النبي ﷺ فيما جاء به مما عُلِم من الدين بالضرورة، أي: عَلِم به الخاصة والعامة، ولا حاجة للرجوع إلى النصوص والعلماء في فهم هذا العلم، كفرض الصلاة والصيام والزكاة والحج، وحرمة الزنا وشرب الخمر.(١)

((**مَنْ رَضِيَ**))، أي: قنع، قال صاحب التحرير رحمه الله: معنى رضيت بالشيء قنعت به واكتفيت به، ولم أطلب معه غيره.(٢)

((**بِاللهِ رَبًّا**))، أي: مالكاً ومدبراً، والرب يأتي بتسع معاني منظومة في قول الناظم:

قريب محيط مالك	مربٍ كثير الخير والمولى للنعم
وخالقنا المعبود جابر	ومصلحنا والصاحب الثابت
وجامعنا والسيد احفظ	معانٍ أتت للرب فأدع لمن

((**وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا**)): والإسلام لغة: الاستسلام والانقياد.

وشرعاً: الاستسلام، والانقياد للأحكام الشرعية العلمية، أي: التي عُلِم أنها من الشريعة التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

والدين لغة: الطاعة والعبادة.

(١) انظر: شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (١٢٧) و(٤١٧).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ١٨٣).

وشرعاً: ما شرعه الله على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من الاحكام، ويرادفه شرعاً الإسلام.

قال الطيبي: ولا يخلو إما أن يراد بالإسلام الانقياد كما في حديث جبريل أو مجموع ما يعبر بالدين عنه في خبر بني الإسلام على خمس ويؤيد الثاني اقترانه بالدين لأن الدين جامع بالاتفاق وعلى التقديرين هو عطف على قوله بالله ربا عطف عام على خاص. اهـ[١]

((**وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولًا**)): وليس في لفظ مسلم (نبياً)؛ إنما ورد عند أحمد نبياً ورسولا، وعند الترمذي نبياً دون رسولاً، ومحمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم هو علم على رسولنا ونبينا خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث إلى العالمين.

والرسول هو: إنسان ذكر حر سليم من منفِّر طبعاً وعن دناءة أب وعن خناء أم أوحى الله إليه بشرع وأُمر بتبليغه.

والنبي هو: إنسان ذكر حر من بني آدم سليم من منفِّر طبعاً وعن دناءة أب وعن خناء أم أوحى الله إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه.

---

(١) انظر: فيض القدير (٤/ ٦٥٦).

۞ تنبيه:

هذا التعريف للنبي ضعيف؛ لأن كل إنسان مأمور بالتبليغ، وذلك على الأقل بتبليغ رسالة رسول قبله، كما أن كل مؤمن يجب عليه التبليغ، فكيف لا يكون النبي مأمور بالتبليغ!

أما إن قلنا: إن معناه إن معنى النبوة إنما يلتفت إلى كون النبي مبَلَّغا عن ربه بأمور، بغض النظر أُمِرَ بالتبليغ أو لم يؤمر.. فهذا المعنى قوي، وهو ظاهر كلام العز بن عبد السلام في آخر قواعده الكبرى، وحاصله أن النبي اسم للإنسان الذي أوحي إليه بأمور من عند ربه، وأما الرسول فهو بالإضافة إلى ذلك أمر بالتبليغ إلى الناس.

قال الإمام عبد القاهر البغدادي: والفرق بينهما-أي بين النبي والرسول- أن النبي من أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحي، والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله. اهـ، ومال الإمام التفتازاني كما في شرح المقاصد إلى الترادف بين معنى النبي والرسول، فقال: النبي إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه، وكذا الرسول. اهـ وعلى هذا مشى الإمام السنوسي في أم البراهين. وقال الملا أحمد الجندي في حاشيته على شرح العقائد: لكنه خلاف ما عليه الجمهور، وما اختاره القاضي البيضاوي في تفسير قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي)الآية، حيث قال الرسول من بعثه الله بشريعة

متجددة يدعو الناس إليها، والنبي يعمّه ومن بعثه إلى الخلق لتقرير شرع سابق، وقيل: الرسول من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه، والنبي غير الرسول من لا كتاب له، وقيل: الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال لمن يوحى إليه في المنام. اهـ كلام القاضي(١)

قال الإمام النووي: ((مَعْنَى الْحَدِيث: لَمْ يَطْلُب غَيْر اللهَّ تَعَالَى، وَلَمْ يَسْعَ فِي غَيْر طَرِيق الْإِسْلَام، وَلَمْ يَسْلُك إِلَّا مَا يُوَافِق شَرِيعَة مُحَمَّد صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَته فَقَدْ خَلَصَتْ حَلَاوَة الْإِيمَان إِلَى قَلْبه، وَذَاقَ طَعْمه. وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ اللهَّ: مَعْنَى الْحَدِيث صَحَّ إِيمَانه وَاطْمَأَنَّتْ بِهِ نَفْسه وَخَامَرَ بَاطِنه ؛ لِأَنَّ رِضَاهُ بِالْمَذْكُورَاتِ دَلِيل لِثُبُوتِ مَعْرِفَته وَنَفَاذ بَصِيرَته وَمُخَالَطَة بَشَاشَته قَلْبه ؛ لِأَنَّ مَنْ رَضِيَ أَمْرًا سَهُلَ عَلَيْهِ. فَكَذَا الْمُؤْمِن إِذَا دَخَلَ قَلْبه الْإِيمَان سَهُلَ عَلَيْهِ طَاعَات اللهَّ تَعَالَى، وَلَذَّتْ لَهُ)) اهـ.(٢)

۞ فائدة:

قال الإمام النووي في شرحه على (صحيح مسلم): ((وَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَب أَهْل السُّنَّة وَمَا عَلَيْهِ أَهْل الْحَقّ مِنْ السَّلَف وَالْخَلَف أَنَّ مَنْ مَاتَ مُوَحِّدًا دَخَلَ الْجَنَّة قَطْعًا عَلَى كُلّ حَال. فَإِنْ كَانَ سَالِمًا مِنْ الْمَعَاصِي كَالصَّغِيرِ،

---

(١) انظر: تهذيب شرح السنوسية (٩٨).

(٢) شرح صحيح مسلم (٢/ ١٨٣).

وَالْمَجْنُون وَاَلَّذِي اِتَّصَلَ جُنُونه بِالْبُلُوغِ، وَالتَّائِب تَوْبَة صَحِيحَة مِنْ الشِّرْك أَوْ غَيْره مِنْ الْمَعَاصِي إِذَا لَمْ يُحْدِث مَعْصِيَة بَعْد تَوْبَته، وَالْمُوَفَّق الَّذِي لَمْ يُبْتَلَ بِمَعْصِيَةٍ أَصْلًا، فَكُلّ هَذَا الصِّنْف يَدْخُلُونَ الْجَنَّة، وَلَا يَدْخُلُونَ النَّار أَصْلًا، لَكِنَّهُمْ يَرِدُونَهَا عَلَى الْخِلَاف الْمَعْرُوف فِي الْوُرُود. وَالصَّحِيح أَنَّ الْمُرَاد بِهِ الْمُرُور عَلَى الصِّرَاط وَهُوَ مَنْصُوب عَلَى ظَهْرِ جَهَنَّم. أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهَا وَمِنْ سَائِرِ الْمَكْرُوه .

وَأَمَّا مَنْ كَانَتْ لَهُ مَعْصِيَة كَبِيرَة وَمَاتَ مِنْ غَيْر تَوْبَة.. فَهُوَ فِي مَشِيئَة اللهَّ تَعَالَى: فَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّة أَوَّلًا وَجَعَلَهُ كَالْقِسْمِ الْأَوَّل، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ الْقَدْرَ الَّذِي يُرِيدهُ سُبْحَانه وَتَعَالَى، ثُمَّ يُدْخِلهُ الْجَنَّة فَلَا يَخْلُد فِي النَّار أَحَد مَاتَ عَلَى التَّوْحِيد وَلَوْ عَمِلَ مِنْ الْمَعَاصِي مَا عَمِلَ. كَمَا أَنَّهُ لَا يَدْخُل الْجَنَّة أَحَد مَاتَ عَلَى الْكُفْر وَلَوْ عَمِلَ مِنْ أَعْمَال الْبِرّ مَا عَمِلَ .

هَذَا مُخْتَصَر جَامِع لِمَذْهَبِ أَهْل الْحَقّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَة. وَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَدِلَّة الْكِتَاب وَالسُّنَّة وَإِجْمَاع مَنْ يُعْتَدّ بِهِ مِنْ الْأُمَّة عَلَى هَذِهِ الْقَاعِدَة، وَتَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ نُصُوص تَحَصَّلَ الْعِلْم الْقَطْعِيّ. فَإِذَا تَقَرَّرَتْ هَذِهِ الْقَاعِدَة حُمِلَ عَلَيْهَا جَمِيع مَا وَرَدَ مِنْ أَحَادِيث الْبَاب وَغَيْره. فَإِذَا وَرَدَ حَدِيث فِي ظَاهِره مُخَالَفَة

وَجَبَ تَأْوِيله عَلَيْهَا لِيَجْمَع بَيْن نُصُوص الشَّرْع، وَسَنَذْكُرُ مِنْ تَأْوِيل بَعْضهَا مَا يُعْرَف بِهِ تَأَوَّلَ الْبَاقِي إِنْ شَاءَ اللهَّ تَعَالَى)) اهـ.[١]

۞ فوائد الحديث:

١. الرضى بكل ما جاء عن الله تعالى سبب للاطمئنان.

٢. للإيمان حلاوة معنوية يذوقها أهل الرضا.

٣. الرضاء بالله يقتضي الرضا برسول الله وبكل ما جاء به صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

۞ ۞ ۞

(١) شرح صحيح مسلم (١/ ١٥٩).

الحديث الرابع والعشرون

فضل الضعفاء عند الله

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ.. لَأَبَرَّهُ**)) رواه مسلم.

۞ شرح الحديث:

وأخرج الحديث البخاري بلفظ: ((**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**)).

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**رُبَّ**))، قال ابن علّان: ((قال ابن هشام في «المغني»: ليس معناها التقليل دائماً خلافاً لابن درستويه وجماعة؛ بل ترد للتكثير كثيراً، أو للتقليل قليلاً ومن الأول قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ {الحجر: ٢}، وفي الحديث «يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة»)) اهـ.[١]

((**أَشْعَثَ**))، والأشعث هو: الملبَّد الشعر المُغَبَّر غير مدهون وَلَا مُرَجَّل. قال العلقمي في «المصباح»: شعث الشعر شعثاً فهو شعث من باب تعب: تغير وتلبد لقلة تعهده بالدهن أي والترجيل. اهـ.[٢]

---

(١) دليل الفالحين (٢/ ٥٧).

(٢) المصباح المنير (٥/ ٢١).

((**مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ**))، أي: لا قدر له عند الناس، فهم يدفعونه عن أبوابهم، ويطردونه عنهم احتقاراً له؛ لفقره ورثاثة ملبسه، فلا يقبلون خطبته للزواج لو خطب، ولا شفاعته لو تشفع.

قال في (فيض القدير): ((أي: يدفع عند إرادته الدخول على الأعيان، والحضور في المحافل، إما باللسان أو باليد واللسان؛ احتقارا له، فلا يترك أن يلج الباب فضلا أن يقعد معهم، ويجلس بينهم)) اهـ.(١)

((**لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِّ**))، أي: حلف يميناً بحصول أمر طمعاً في كرم الله.

((**لَأَبَرَّهُ**))، أي: لأبر قسمه، بمعنى: لأوجد ذلك المحلوف إكراماً له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى وإن كان حقيراً عند الناس.

وقيل: معنى أقسم دعا، ومعنى أبرّ أجاب دعوته.

قال الإمام النووي: ((قَوْله صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهَّ لَأَبَرَّهُ) مَعْنَاهُ: لَوْ حَلَفَ يَمِينًا طَمَعًا فِي كَرَم اللهَّ تَعَالَى بِإِبْرَارِهِ.. لَأَبَرَّهُ، وَقِيلَ: لَوْ دَعَاهُ.. لَأَجَابَهُ، يُقَال: أَبْرَرْت قَسَمه وَبَرَرْته، وَالْأَوَّل هُوَ الْمُشْهُور)) اهـ.(٢)

---

(١) فيض القدير (٥/ ٣٢).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٧/ ١٢٤).

ومن ذلك ما ورد عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ الرُّبَيِّعَ عَمَّتَهُ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ، فَطَلَبُوا إِلَيْهَا الْعَفْوَ، فَأَبَوْا، فَعَرَضُوا الْأَرْشَ فَأَبَوْا، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبَوْا إِلَّا الْقِصَاصَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بِالْقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ؟ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَا أَنَسُ كِتَابُ اللهِ الْقِصَاصُ))، فَرَضِيَ الْقَوْمُ فَعَفَوْا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ)) أخرجه البخاري ومسلم.

قال المناوي في (فيض القدير): ((إنما قال المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ذلك؛ ليبصرك مراتب الشعث الغبر الأصفياء الأتقياء، ويرغبك في طلب ما طلبوا، وينشطك تقديم ما قدموا، ويثبطك عن الطمع الفارغ، والرجاء الكاذب، ويعلمك أن الزينة إنما هي بلباس التقوى.

(تنبيه) قال في المنن: من الأخفياء الشعث.. من يجاب دعاؤه كلما دعا؛ حتى أن بعض السوقة كان كل من دعا عليه مات لوقته، وأراد جماع زوجته، فقالت: الأولاد متيقظون، فقال: أماتهم الله، فكانوا سبعة، فصلوا

عليهم بكرة النهار، فبلغ البرهان المتولي، فأحضره، وقال: أماتك الله، فمات، وقال: لو بقي.. لأمات خلقاً كثيراً)) اهـ.[1]

فوائد الحديث:

١. أن ميزان الشرع ليس بالملبس ولا بالمظهر؛ بل بالجوهر.

٢. أن من عظم الله عظمه الله.

٣. أن الله قد أودع سره في أضعف خلقه.

(١) فيض القدير (٥/ ٣٢).

الحديث الخامس والعشرون

سنة الفجر

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**)) رواه ومسلم، والترمذي، والنسائي.

❁ **شرح الحديث:**

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**رَكْعَتَا الْفَجْرِ**))، أي: سنة الفجر، وهي المشهورة بهذا الاسم، ويحتمل أن يراد بها فرض الفجر.

((**خَيْرٌ**)): أفعل تفضيل إن قوبلت بما فيه خير كالذكر، وبمعنى أصل الفعل إن قوبلت بما لا خير فيه من أعراض الدنيا وزهرتها.

((**مِنْ الدُّنْيَا**))، وهي كل ما سوى الله تعالى، ولا يرتبط بالله، ولا يقرب من الله.

((**وَمَا فِيهَا**)): من متاع، قال الإمام السيوطي: ((أَيْ: خَيْر مِنْ أَنْ يُعْطَى تَمَامَ الدُّنْيَا فِي سَبِيلِ اللَّهَ تَعَالَى، أَوْ هُوَ عَلَى اِعْتِقَادهمْ أَنَّ فِي الدُّنْيَا خَيْرًا، وَإِلَّا فَذَرَّةٌ مِنْ الْآخِرَةِ لَا يُسَاوِيهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)) اهـ.(١)

وقال الطيبي: إن حُمل الدنيا على أعراضها وزهرتها.. فالخير إما مجري على زعم من يرى فيها خيراً، أو يكون من باب: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾

(١) شرح السنن (٣/ ١٢٧).

{مريم: ٧٣}، وإن حُمل على الانفاق في سبيل الله.. فتكون هاتان الركعتان أكثر ثواباً منها.

وقال الشاه ولي الله الدهلوي في (حجة الله البالغة): إنما كانتا خيراً منها لأن الدنيا فانية، ونعيمها لا يخلو عن كدر النصب والتعب، وثوابهما باق غير كدر. اهـ.[١]

فوائد الحديث:

١. فضل سنة الفجر القبلية، وأنها أعظم من الدنيا وما فيها.
٢. الحث على العبادة والطاعة، وعدم تركها من أجل الدنيا.
٣. أن الدنيا وما فيها فانية، والعمل الصالح باق أجره عنده الله.

(١) انظر: تحفة الأحوذي (٢/ ١٥٢).

الحديث السادس والعشرون

فضل السواك

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**رَكْعَتَانِ بِسِوَاْكٍ خَيْرٌ مِنْ سَبْعِيْنَ رَكْعَةٍ بِدُوْنِ سِوَاْكٍ**)). رواه الدارقطني.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**رَكْعَتَانِ بِسِوَاْكٍ**)): والسواك لغة: الدلك وآلته.

وشرعا: دلك الأسنان وما حواليها بشيء خشن، والأفضل عود الأراك، ثم عود النخل، ثم عود الزيتون، ثم ذو الرائحة الطيبة غير الريحان، ثم كل خشن وفي معناه الخرقة.

ومراتب السواك من حيث الأفضلية على الترتيب التالي:

١) أراك مندّى بالماء.

٢) المندى بماء الورد.

٣) المندى بالريق.

٤) الرطب.

٥) اليابس

قال الإمام الكردي نظما لذلك:

أَرَاكٌ جَرِيدُ النَّخْلِ، زَيْتُونُ فَطِيبٌ رِيحَ بَاقِي الْأَعْوَادِ كَمُلَا

وَكُلُّ مُنَدًّى المَا فَمَا الْوَرْدِ فَذُو الْيَبْسِ رَطْبٌ فِي السِّوَاكِ

ولا يجزئ الاستياك بأصبعه الخشنة المتصلة؛ لأنه لا يسمى استياكاً، ولا المنفصلة عند الشيخ الرملي، وقال الشيخ ابن حجر والشيخ الخطيب أنها تجزئ إن قلنا بطهارتها وهو الأصح، وإن قلنا بنجاستها لم يجز الاستياك بها كسائر النجاسات، وبحث الإسنوي إجزائها وإن قلنا بنجاستها، ويلزمه غسل الفم فوراً لعصيانه، والأصح -كما أشرنا- أنها ليست بنجسة، ودفنها مستحب لا واجب، كما في المغني وحاشية الشرواني.[1]

أما إصبع غيره الخشنة.. فتجزئ سواء كانت متصلة أو منفصلة.

طريقة الاستياك: والسنّة أن يستاك بيمينه، ويبدأ بالجانب الأيمن من فمه إلى نصفه ويثني بالجانب الأيسر إلى نصفه أيضاً من داخل الأسنان وخارجها،[2] ويمرره على سقف حلقه بعد إمراره على كرسي أظراسه طولاً وعرضاً، وعلى بقية أسنانه عرضاً ولسانه طولاً .[3] ويسن أن يأتي بهذا الدعاء عند الاستياك وهو: ((اللهمَّ بيِّضْ به أسناني، وشدَّ به لَثَاثِي، وثبِّت به لَهَاتِي، وبارك لي فيه، وأثِبْنِي عليه يا أرحم الراحمين)).

والسواك تعتريه أحكام أربعة، وهي:

١) يكون حراماً؛ إذا كان مغصوباً .

---

(١) انظر: مغني المحتاج (١/ ٨١)، وحاشية الشرواني (١/ ٢٢٩).

(٢) انظر: حاشية الشرواني (١/ ٢٣٤).

(٣) انظر: نهاية الزين (١٩).

٢) يكون مندوباً؛ عند كل أمر ذي بال.

٣) يكون مكروهاً؛ بعد الزوال للصائم، واختار الإمام النووي عدم الكراهة.

٤) يكون واجباً؛ إذا نذره. قال في بغية المسترشدين: (((فائدة): قال ع ش: لو نذر السواك.. حمل على المتعارف من دلك الأسنان وما حولها اهـ، وأفتى الزمزمي بأنه لا بد لأصل السنة من استيعاب الأسنان وما حولها أي ظاهراً وباطناً، وقال أبو مخرمة: لا شك أن سقف الحلق من أكمله)) اهـ.

ولا يكون مباحا؛ لأن ما أصله الندب لا تعتريه الإباحة، وقال بعضهم: يكون خلاف الأولى وهو: إذا أخذ سواك صالحٍ للتبرك به.

ويكون السواك آكد في مواضع، منها:

١ـ عند الصلاة.

٢ـ عند الوضوء.

٣ـ عند الاستيقاظ من النوم .

٤ـ عند تغير الفم.

ويكره السواك بعد الزوال للصائم؛ لأنه يذهب الخلوف، ولو واصل شخص الصيام.. فإن السواك في حقه يكره من فجر اليوم الثاني؛ لأن الخلوف يكون موجوداً من اليوم الأول. واختار الإمام النووي عدم الكراهة مطلقاً كما تقدم.

قال صاحب الزبد:

يُسَنُّ لا بَعد زوالِ الصائِم   وأَكَّدُوهُ لانتباهِ النَّائِم

وُسُــنَّ بــالْيُمْنَى الأَرَاكُ ولِتَغَــيُّرِ الفَــم وللصــلاهْ

((خَيْرٌ مِنْ سَبْعِيْنَ رَكْعَةٍ بِدُوْنِ سِوَاْكٍ))، أي: من غير الجماعة؛ إذ لا دليل فيه على أفضليته على الجماعة التي هي بسبع وعشرين درجة؛ إذ لم يتحد الجزاء في الخبرين، فدرجة من هذه قد تعدل بدرجات من تلك السبعين ركعة.(١)

قال في (التنقية): دلَّ على أن السواك للصلاة أفضل من الجماعة، ورده السمهودي بأن أدلة مشروعية الجماعة مقتضية لمزيد اعتناء الشارع بها، وأنها أرجح في نظره، ولا يلزم من ثبوت المضاعفة لشيء تفضيله على ما لم يثبت له ذلك؛ لأن المضاعفة من جملة المزايا، فلا تمنع وجود مزايا غيرها في الأجر يترجح بها، كيف وصلاة النفل في بيت بالمدينة أفضل منها بمسجدها مع اختصاص المضاعفة. اهـ.(٢)

فوائد الحديث:

١. الحث على استعمال السواك وخصوصاً عند الصلاة.
٢. فضل السواك وعظيم أجره عند الله.
٣. الحث على النظافة في سائر الأحوال، وعند الصلاة على وجه الخصوص.

---

(١) انظر: فيض القدير (٥/ ٦٩).

(٢) انظر: المرجع السابق.

الحديث السابع والعشرون

فضل الرحمة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**)) حديث صحيح رواه أحمد.

۞ شرح الحديث:

لفظ الإمام أحمد في الحديث: ((**ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ**))، وإنما لفظ: ((**يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**)) ورد عند أبي داؤد والترمذي وغيرهما.

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**الرَّاحِمُونَ**)): جمع راحم، فيدخل كل من فيه أدنى رحمة،(١) وهي في حق الخلق رقة طبيعية وميل جبلي.

((**يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**)): والرحمن هو اللفظ الدال على جلائل النعم، قال الشيخ ابن حجر في (تحفة المحتاج): ((هُوَ صِفَةٌ فِي الْأَصْلِ بِمَعْنَى كَثِيرِ الرَّحْمَةِ جِدًّا ثُمَّ غَلَبَ عَلَى الْبَالِغِ فِي الرَّحْمَةِ وَالْإِنْعَامِ بِحَيْثُ لَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُهُ تَعَالَى وَغَلَبَةُ عَلَمِيَّتِهِ الْمُقْتَضِيَةِ لِإِعْرَابِهِ بَدَلًا هُنَا لَا تَمْنَعُ اعْتِبَارَ وَصْفِيَّتِهِ فَيَجُوزُ كَوْنُهُ نَعْتًا بِاعْتِبَارِهَا لِوُقُوعِهِ صِفَةً وَلِكَوْنِهِ بِإِزَاءِ الْمَعْنَى

---

(١) انظر: فتح الباري (٣/ ١٧٦).

وَمَجِيئِهِ غَيْرَ تَابِعٍ لِلْعَلَمِ بِحَذْفِ مَوْصُوفِهِ، وَيَجُوزُ صَرْفُهُ وَعَدَمُهُ لِتَعَارُضِ سَبَبَيْهِمَا)) اهـ.(١)

((ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ)): والأرض هي الكوكب الذي يعيش عليه البشر، وتطلق الكلمة على القسم منه سواء كان كبيراً او صغيراً.

والامر هنا يشمل الرحمة بالبشر مؤمنهم وكافرهم، وبالبهائم وسائر المخلوقات، فينبغي للمؤمن أن يمتلئ قلبه بالرحمة عليها جميعاً كما يظهر في هذا الحديث وفي نظرائه من الأحاديث الصحيحة، قال ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري: ((في هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها، وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفى كل حيوان، فلم يخلقه الله عبثًا، وكل أحد مسئول عما استرعيه وملكه من إنسان أو بهيمة لا تقدر على النطق وتبيين ما بها من الضر، وكذلك ينبغي أن يرحم كل بهيمة وإن كانت في غير ملكه، ألا ترى أن الذى سقى الكلب الذى وجده بالفلاة لم يكن له ملكًا فغفر الله له بتكلفة النزول في البئر وإخراجه الماء في خفه وسقيه إياه، وكذلك كل ما في معنى السقي من الإطعام، الا ترى قوله عليه

---

(١) تحفة المحتاج (١/ ٢٧).

السلام: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ غَرَسَ غَرْسًا فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ.. إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ))،[١] مما يدخل في معنى سقي البهائم وإطعامها التخفيف عنها في أحمالها وتكليفها ما تطيق حمله، فذلك من رحمتها والإحسان اليها، ومن ذلك ترك التعدي في ضربها وأذاها وتسخيرها في الليل وفى غير أوقات السخرة، وقد نهينا في العبيد أن نكلفهم الخدمة في الليل فإن لهم الليل ولمواليهم النهار، والدواب وجميع البهائم داخلون في هذا المعنى.

وفى قوله عليه السلام: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ غَرَسَ غَرْسًا فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ.. إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)) دليل على أن ما ذهب من مال المسلم بغير علمه أنه يؤجر عليه)) اهـ.[٢]

وقد روى أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ: ((بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ)). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟! قَالَ: ((فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)) أخرجه البخاري ومسلم.

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) شرح ابن بطال (١٧/ ٢٦٦).

((**يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**)): والسماء في اللغة كل ما علا، والمعنى: من في السماء ملكه، أو أهل السماء وهم الملائكة كما يدل على ذلك الروايات الأخرى المتقدمة، ولا يجوز ان نعتقد أن الله تعالى في السماء، فإن هذا اعتقاد باطل. قَالَ الْقَاضِي عِيَاض: لَا خِلَاف بَيْن الْمُسْلِمِينَ قَاطِبَة فَقِيههمْ وَمُحَدِّثهمْ وَمُتَكَلِّمهمْ وَنُظَّارهمْ وَمُقَلِّدهمْ أَنَّ الظَّوَاهِر الْوَارِدَة بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فِي السَّمَاء كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ {الملك: ١٦} وَنَحْوه لَيْسَتْ عَلَى ظَاهِرهَا، بَلْ مُتَأَوَّلَة عِنْد جَمِيعهمْ، فَمَنْ قَالَ بِإِثْبَاتِ جِهَة فَوْق مِنْ غَيْر تَحْدِيد وَلَا تَكْيِيف مِنْ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاء وَالْمُتَكَلِّمِينَ تَأَوَّلَ: فِي السَّمَاء، أَيْ: عَلَى السَّمَاء، وَمَنْ قَالَ مِنْ دَهْمَاء النُّظَّار وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَأَصْحَاب التَّنْزِيه بِنَفْيِ الْحَدّ وَاسْتِحَالَة الْجِهَة فِي حَقّه سُبْحَانه وَتَعَالَى تَأَوَّلُوهَا تَأْوِيلَات بِحَسَبِ مُقْتَضَاهَا، وَذَكَرَ نَحْو مَا سَبَقَ. قَالَ: وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي جَمَعَ أَهْل السُّنَّة وَالْحَقّ كُلّهمْ عَلَى وُجُوب الْإِمْسَاك عَنْ الْفِكْر فِي الذَّات كَمَا أُمِرُوا، وَسَكَتُوا لِحِيرَةِ الْعَقْل، وَاتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيم التَّكْيِيف وَالتَّشْكِيل، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ وُقُوفهمْ وَإِمْسَاكهمْ غَيْر شَاكّ فِي الْوُجُود وَالْمَوْجُودَة، وَغَيْر قَادِح فِي التَّوْحِيد، بَلْ هُوَ حَقِيقَته، ثُمَّ تَسَامَحَ بَعْضهمْ بِإِثْبَاتِ الْجِهَة خَاشِيًا مِنْ مِثْل هَذَا التَّسَامُح، وَهَلْ بَيْن التَّكْيِيف وَإِثْبَات الْجِهَات فَرْق ؟ لَكِنْ إِطْلَاق مَا أَطْلَقَهُ الشَّرْع مِنْ أَنَّهُ الْقَاهِر فَوْق عِبَاده، وَأَنَّهُ اِسْتَوَى عَلَى الْعَرْش، مَعَ

التَّمَسُّك بِالْآيَةِ الْجَامِعَة لِلتَّنْزِيهِ الْكُلِّيّ الَّذِي لَا يَصِحّ فِي الْمَعْقُول غَيْره، وَهُوَ قَوْله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ {الشورى: ١١} عِصْمَة لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى، وَهَذَا كَلَام الْقَاضِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى) اهـ.

وربما استدل من يعتقد هذا الاعتقاد الباطل ببعض الآيات التي لم يفهما، كقوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ {الملك: ١٦}، كما تقدم في كلام الإمام النووي، ولبيان ذلك نورد ما ذكره أهل التفسير المتخصصين في هذا الفن من شرح للآية ليتبين المعنى الصحيح وتنجلي سحابة الوهم:

قال الشيخ الشربيني في تفسيره (السراج المنير) عند ذكر الآية: وقوله تعالى: ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ {الملك: ١٦} فيه وجوه:

أحدها: من ملكوته في السماء لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ، ومنها ينزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه.

والثاني: أن ذلك على حذف مضاف، أي: أأمنتم خالق من في السماء.

والثالث: أن في بمعنى على، أي: على السماء، كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ {طه: ٧١} أي: على جذوع النخل وإنما احتاج القائل بهذين الوجهين إلى ذلك لأنه اعتقد أن من واقعة على الباري تعالى شأنه وهو الظاهر وثبت بالدليل القطعي أنه ليس بمتحيز لئلا يلزم التجسيم، ولا

حاجة إلى ذلك، فإن من هنا المراد بها الملائكة سكان السماء وهم الذين يتولون الرحمة والنقمة.

والرابع: أنهم خوطبوا بذلك على اعتقادهم فإن القوم كانوا مجسمة مشبهة وأنه في السماء، وأن الرحمة والعذاب نازلان منه، وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم: ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: من تزعمون أنه في السماء. قال الرازي: هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها بإجماع المسلمين، لأنّ ذلك يقتضي إحاطة السماء به من جميع الجوانب فيكون أصغر منها والعرش أكبر من السماء بكثير فيكون حقيراً بالنسبة إلى العرش وهو باطل بالاتفاق؛ ولأنه تعالى قال: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ {الأنعام: ١٢} فلو كان فيها لكان مالكاً لنفسه، فالمعنى: أما من في السماء عذابه، وإما إن ذلك بحسب ما كانت العرب تعتقده، وأما من في السماء سلطانه وملكه وقدرته كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ {الأنعام: ٣} فإن الشيء الواحد لا يكون دفعة في مكانين، والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله سبحانه وتعظيم قدرته، والمراد الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل عليه السلام) اهـ.

وقال الإمام المفسِّر الفخر الرازي في تفسيره (مفاتح الغيب) أو (التفسير الكبير) عند ذكر الآية: (واعلم أن المشبهة احتجوا على إثبات

المكان لله تعالى بقوله: ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾، والجواب عنه أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين، لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطاً به من جميع الجوانب، فيكون أصغر من السماء، والسماء أصغر من العرش بكثير، فيلزم أن يكون الله تعالى شيئاً حقيراً بالنسبة إلى العرش، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال، ولأنه تعالى قال: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِ ﴾ {الأنعام: ١٢}، فلو كان الله في السماء لوجب أن يكون مالكاً لنفسه وهذا محال، فعلمنا أن هذه الآية يجب صرفها عن ظاهرها إلى التأويل، ثم فيه وجوه :

أحدها: لم لا يجوز أن يكون تقدير الآية: أأمنتم من في السماء عذابه، وذلك لأن عادة الله تعالى جارية، بأنه إنما ينزل البلاء على من يكفر بالله ويعصيه من السماء، فالسماء موضع عذابه تعالى، كما أنه موضع نزول رحمته ونعمته.

وثانيها: قال أبو مسلم: كانت العرب مقرين بوجود الإله، لكنهم كانوا يعتقدون أنه في السماء على وفق قول المشبهة، فكأنه تعالى قال لهم: أتأمنون من قد أقررتم بأنه في السماء، واعترفتم له بالقدرة على ما يشاء أن يخسف بكم الأرض.

وثالثها: تقدير الآية: من في السماء سلطانه وملكه وقدرته، والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته، كما قال: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ {الأنعام: ٣}، فإن الشيء الواحد لا يكون دفعة واحدة في مكانين، فوجب أن يكون المراد من كونه في السموات وفي الأرض نفاذ أمره وقدرته، وجريان مشيئته في السموات وفي الأرض، فكذا ههنا.

ورابعها: لم لا يجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الملك الموكل بالعذاب، وهو جبريل عليه السلام، والمعنى أن يخسف بهم الأرض بأمر الله وإذنه) اهـ.

وقال الإمام العارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحَسَني في تفسيره (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) عند ذكر الآية:(﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ من ملكوته وأسرار ذاته، وعبّر بها؛ لأنها منزل قضاياه، وتدبيراته ووحيه، ومسكن ملائكته وأوامره ونواهيه، فكل ما يظهر في الأرض إنما يقضي به في السماء، وحينئذ يبرز، فكأنه قال: أأمِنتم خالق السموات؟ وقال اللجائي: كل شيء علا فهو سماء، وسماء البيت: سقفه، وليس المقصود في الآية سماء الدنيا؛ ولا غيرها من السبع الطباق، وإنما المعنى: أأمِنتم مَن في

العلو، وهو علو الجلال، وليس كون الله في سماء الحوادث من صفات الكمال، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً) اهـ.[١]

فتبين من كل ذلك بطلان هذه العقيدة الفاسدة، وأن الله تعالى لا يحل في مكان ولا يحويه المكان ولا الزمان، ولا يوصف بالجهة إلا من باب التعظيم كوصفه بالعلو المعنوي، قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): ((لا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محال على الله أن لا يوصف بالعلو؛ لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى، والمستحيل كون ذلك من جهة الحس)) اهـ.[٢]

وقال الشيخ المناوي في (فيض القدير): (((يرحمك من في السماء) اختلف بالمراد بمن في السماء، فقيل: هو الله، أي: ارحموا من في الأرض شفقة، يرحمكم الله تفضلاً، **والتقدير**: يرحمكم من أمره نافذ في السماء، أو من فيها ملكه وقدرته وسلطانه، أو الذي في العلو والجلال والرفعة؛ لأنه تعالى لا يحل في مكان، فكيف يكون فيه محيطاً، فهو من قبيل رضاه من السوداء بأن تقول في جواب أين الله؟ فأشارت إلى السماء معبرة عن الجلال والعظمة لا عن المكان، وإنما ينسب إلى السماء لأنها أعظم وأوسع من الأرض، أو لعلوها وارتفاعها، أو لأنها قبلة الدعاء ومكان الأرواح

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٦/ ٢٦٤).

(٢) فتح الباري (٦/ ١٤٦).

الطاهرة القدسية، وقيل: المراد منه الملائكة، أي: تحفظكم الملائكة من الأعداء والمؤذيات بأمر الله، ويستغفر لكم، ويطلبوا الرحمة من الله الكريم، قال الطيبي: ويمكن الجمع بأن يقال: يرحمك بأمره الملائكة أن تحفظك، قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ {الرعد: ١١} ،وأخرج الروياني في مسنده عن ابن عمر يرفعه: إن العبد ليقف بين يدي الله تعالى، فيطول وقوفه حتى يصيبه من ذلك كرب شديد، فيقول: يا رب ارحمني اليوم، فيقول له: هل رحمت شيئا من خلقي من أجلي فأرحمك)) اهـ.[١]

ومعنى رحمة الله: أن تناله مغفرة الله ورضاه، وتصله نعمه، وهي مغايرة للرحمة التي في الإنسان؛ إذ الحق سبحانه وتعالى لا يماثله شيء، قال الله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ {الشورى: ١١}، قال في (دليل الفالحين): ((قال العاقولي: الرحمة بمعنى التعطف والرقة، فهي من الخلق بالمعنى، ومن الله بالمعنى الغائي، وهو الرضى عنه وإيصال النعم إليه.

قال الدماميني في (مصابيح الجامع الصحيح): اعلم أنه يجوز عند المتكلمين في تأويل ما لا يسوغ نسبته إلى الله تعالى على حقيقته اللغوية

---

(١) فيض القدير (٢/ ٦١).

وجهان: أحدهما الحمل على الإرادة، فيكون من صفات الذات، والآخر الحمل على فعل الإكرام، فيكون من صفات الأفعال كالرحمة، فإنها في اللغة مشتقة من الرحم، وحاصلها رقة طبيعية وميل جبلي، وهذا مستحيل في حق الباري، فمنهم من يحملها على إرادة الخير، ومنهم من يحملها على فعله، ثم بعد ذلك يتعين أحد التأويلين في بعض السياقات لمانع يمنع الآخر كحديث «خلق الله الرحمة يوم خلقها»، فيتعين تأويل الرحمة بفعل الخير؛ لتكون صفة فعل، فتكون حادثة عند الأشعري، فيتسلط عليها الخلق، ولا يصح تأويلها فيه بالإرادة؛ لأنها إذ ذاك من صفات الذات، فتكون قديمة، فيمتنع تعلق الخلق بها، ويتعين تأويلها بالإرادة في قوله تعالى: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ {هود: ٤٣}؛ لأنك لو حملتها على الفعل.. لكان العصمة بعينها، فيكون استثناء الشيء من نفسه، وكأنك قلت: لا عاصم إلا العاصم، فتكون الرحمة الإرادة، والعصمة على بابها لفعل المنع من المكروهات، كأنه قال: لا يمنع المحذور إلا من أراد له السلامة، فتأمل)) اهـ.[١]

قال في (فيض القدير): ((قال الطيبي: الرحمة الثانية حقيقة، والأولى مجازية؛ إذ الرحمة من الخلق العطف والرأفة، وهو لا يجوز على الله، ومن الله

(١) دليل الفالحين (٢/ ١١).

الرضا عمن رحمه؛ لأن من رق له القلب.. فقد عرض له الإنعام، أو إرادته، والجزاء من جنس العمل، فمن رحم خلق الله رحمه الله)) اهـ.[١]

وقال أيضاً: ((والرحمة في حقنا رحمة وحنو يقتضي الإحسان، وذلك تغير يوجب للمتصف به الحدوث، والله تقدس عن ذلك وعن نقيضه الذي هو القسوة والغلطة، فهو راجع في حقه إلى ثمرة تلك الرقة وفائدتها، وهو اللطف بالمبتلى والضعيف، وكشف ضره، والإحسان إليه، ذكره القرطبي وغيره، وقال ابن عطاء الله: من اطلع على أسرار العباد، ولم يتخلق بالرحمة الإلهية.. فاطلاعه فتنة عليه، وسبب لجر الوبال إليه، وإليه أشار ابن الفارض بقوله:

وإياك والإعراض عن كل صورة ... مموهة أو حالة مستحيلة

فمن تخلق بالرحمة الإلهية، وهي العامة لجميع الخلق، الطائع والعاصي ،بواسطة شهادة فعل الله.. عَذَرَ الخلق، ورحمهم؛ لكونه لم يشهد لهم فعلاً؛ بل يشهد أفعال الحق تتصرف فيهم، وتجري مجرى القدر، وهم محجوبون عن ذلك بواسطة أفعال النفس وظلمتها، فيرحمهم الله من غير اعتراض عليه، ويعذرهم من غير أن يقف مع شيء من ذلك)) اهـ.[٢]

---

(١) فيض القدير (٨/ ٢٩٤).

(٢) فيض القدير (٢/ ٦١).

۞ فوائد الحديث:

١. الحض والحرص على التراحم.

٢. أن الرحمة في الدنيا موجبة للرحمة في الآخرة، ومن تركها في الدنيا لم يستحقها في الآخرة.

٣. المؤمن يرحم جميع المخلوقات لينال الرحمة من الله.



الحديث الثامن والعشرون

زيارة القبور

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**زُورُوا الْقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ**)) رواه ابن ماجه.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**زُورُوا**))، والزيارة: هي السلام.

((**الْقُبُورَ**)): جمع قبر وهو الموضع الذي يدفن به الميت، وهو مما أكرم به بنو آدم، وأول من سنه الغراب حين قتل قابيل أخاه هابيل، وقد قيل: إن بني إسرائيل أول من أقبر، وليس بشيء.[1]

۞ حكم زيارة القبور للرجال:

زيارة القبور سنة للرجال بدليل هذا الحديث، وقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((إِنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً)) أخرجه أحمد، وفي لفظ عنده ايضاً: ((إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ))، وعند ابي داود: ((فَإِنَّ فِي زِيَارَتِهَا تَذْكِرَةً))، وغيرها من الروايات.

---

(١) انظر: دليل الفالحين (٣/ ١٨).

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): (((قوله (باب زيارة القبور)، أي: مشروعيتها، وكأنه لم يصرح بالحكم؛ لما فيه من الخلاف كما سيأتي، وكأن المصنف لم يثبت على شرطه الأحاديث المصرحة بالجواز، وقد أخرجه مسلم من حديث بريدة وفيه نسخ النهي عن ذلك ولفظه: ((كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا))، وزاد أبو داود والنسائي من حديث أنس: ((فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ))، وللحاكم من حديثه فيه: ((وَتُرِقُّ القَلْبَ، وَتُدْمِعُ العَيْنَ، فَلَا تَقُولُوا هُجْرًا))، أي: كلاما فاحشا، وهو بضم الهاء وسكون الجيم، وله من حديث بن مسعود: ((فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا))، ولمسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا: ((زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمُوْتَ))، قال النووي تبعا للعبدري والحازمي وغيرهما: اتفقوا على أن زيارة القبور للرجال جائزة، كذا اطلقوا، وفيه نظر؛ لأن بن أبي شيبة وغيره روى عن بن سيرين وإبراهيم النخعي والشعبي الكراهة مطلقاً، حتى قال الشعبي: لولا نهي النبي صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم .. لزرت قبر ابنتي، فلعل من أطلق أراد بالاتفاق ما استقر عليه الأمر بعد هؤلاء، وكأن هؤلاء لم يبلغهم الناسخ، والله أعلم، ومقابل هذا قول بن حزم أن زيارة القبور واجبة ولو مرة واحدة في العمر؛ لورود الأمر به)) اهـ.[١]

---

(١) فتح الباري (٣/ ١٦٥).

وقال القسطلاني في (إرشاد الساري): ((وبالجملة: فتستحب زيارة قبور المسلمين للرجال، لحديث مسلم: ((كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ)).

وسئل مالك عن زيارة القبور فقال: قد كان نهى عنه، ثم أذن فيه، فلو فعل ذلك إنسان ولم يقل إلا خيرًا لم أبي بذلك بأسًا.

وعن طاؤوس: كانوا يستحبون أن لا يتفرقوا عن الميت سبعة أيام، لأنهم يفتنون ويحاسبون في قبورهم، سبعة أيام)) اهـ.(١)

۞ حكم زيارة القبور للنساء:

اختلف أهل العلم في حكم زيارة القبور للنساء على ثلاثة أقوال ذكرها الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم حيث قال عند ذكر حديث السلام على أهل القبور: ((وَفِيهِ: دَلِيل لِمَنْ جَوَّزَ لِلنِّسَاءِ زِيَارَة الْقُبُور، وَفِيهَا خِلَاف لِلْعُلَمَاءِ وَهِيَ ثَلَاثَة أَوْجُه لِأَصْحَابِنَا :

أَحَدهَا: تَحْرِيمهَا عَلَيْهِنَّ لِحَدِيثِ: " لَعَنَ اللَّهُ زَوَّارَات الْقُبُور "

وَالثَّانِي: يُكْرَه. وَالثَّالِث: يُبَاح، وَيُسْتَدَلّ لَهُ بِهَذَا الْحَدِيث وَبِحَدِيثِ " كُنْت نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَة الْقُبُور فَزُورُوهَا " وَيُجَاب عَنْ هَذَا بِأَنْ نَهَيْتُكُمْ ضَمِير

---

(١) إرشاد الساري (٢/ ٣٩٩).

ذُكُور فَلَا يَدْخُل فِيهِ النِّسَاء عَلَى الْمَذْهَب الصَّحِيح الْمُخْتَار فِي الْأُصُول))اهـ.[1]

وقد فصل الحافظ ابن حجر في ذلك، فقال: ((واختلف في النساء، فقيل: دخلن في عموم الإذن، وهو قول الأكثر، ومحله ما إذا أمنت الفتنة، ويؤيد الجواز حديث الباب[2] وموضع الدلالة منه أنه صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر، وتقريره حجة، وممن حمل الإذن على عمومه للرجال والنساء عائشة، فروى الحاكم من طريق بن أبي مليكة أنه رآها زارت قبر أخيها عبد الرحمن فقيل لها أليس قد نهى النبي صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم عن ذلك قالت نعم كان نهى ثم أمر بزيارتها وقيل الإذن خاص بالرجال ولا يجوز للنساء زيارة القبور وبه جزم الشيخ أبو إسحاق في المهذب واستدل له بحديث عبد الله بن عمرو الذي تقدمت الإشارة إليه في باب أتباع النساء الجنائز وبحديث لعن الله زوارات القبور أخرجه الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة وله شاهد من

(١) شرح صحيح مسلم (٨/ ٣٢).

(٢) وهو: مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: ((اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي))، قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: ((إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى)). أخرجه البخاري ومسلم.

حديث بن عباس ومن حديث حسان بن ثابت واختلف من قال بالكراهة في حقهن هل هي كراهة تحريم أو تنزيه قال القرطبي هذا اللعن إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصفة من المبالغة ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ منهن من الصياح ونحو ذلك فقد يقال إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء)) اهـ.(١)

وقال القسطلاني: ((وتكره للنساء لجزعهن، وأما حديث أبي هريرة المروي عند الترمذي، وقال حسن صحيح: "لعن الله زوّارات القبور"، فمحمول على ما إذا كانت زيارتهن للتعديد والبكاء والنوح على ما جرت به عادتهن، قال القرطبي: وحمل بعضهم حديث الترمذي في المنع على من تكثر الزيارة لأن زوارات للمبالغة)) اهـ.(٢)

فالخلاص: أن من منع الزيارة عليهن أو كرهها إنما هي لمن ترفع صوتها بالبكاء أو تخرج متبرجة، أو عند خوف الفتنة.

۞ تنبيه:

هذا الخلاف في زيارة النساء للقبور هو في غير قبر سيدنا وحبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، أما هو.. فتسن لهن زيارته

---

(١) فتح الباري (٣/ ١٦٥).

(٢) إرشاد الساري (٢/ ٣٩٩).

صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، قال الإمام القسطلاني: ((ولا يكره لهن زيارة قبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، بل تندب وينبغي كما قال ابن الرفعة، والقمولي، أن تكون قبور سائر الأنبياء والأولياء كذلك)) اهـ.(١)

وقال الشيخ ابن حجر في (تحفة المحتاج): ((نَعَمْ تُسَنُّ لَهُنَّ زِيَارَتُهُ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ بَعْضُهُمْ وَكَذَا سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ .

قَالَ الْأَذْرَعِيُّ إنْ صَحَّ فَأَقَارِبُهَا أَوْلَى بِالصِّلَةِ مِنْ الصَّالِحِينَ ا هـ وَظَاهِرُهُ أَنَّهُ لَا يَرْتَضِيهِ لَكِنْ ارْتَضَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ بَلْ جَزَمُوا بِهِ وَالْحَقُّ فِي ذَلِكَ أَنْ يَفْصِلَ بَيْنَ أَنْ تَذْهَبَ لِمَشْهَدٍ كَذَهَابِهَا لِلْمَسْجِدِ فَيُشْتَرَطُ هُنَا مَا مَرَّ ثُمَّ مِنْ كَوْنِهَا عَجُوزًا لَيْسَتْ مُتَزَيِّنَةً بِطِيبٍ وَلَا حُلِيٍّ وَلَا ثَوْبِ زِينَةٍ كَمَا فِي الْجَمَاعَةِ بَلْ أَوْلَى وَأَنْ تَذْهَبَ فِي نَحْوِ هَوْدَجٍ مِمَّا يَسْتُرُ شَخْصَهَا عَنْ الْأَجَانِبِ فَيُسَنُّ لَهَا وَلَوْ شَابَّةً إذْ لَا خَشْيَةَ فِتْنَةٍ هُنَا وَيُفَرَّقُ بَيْنَ نَحْوِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَقَارِبِ بِأَنَّ الْقَصْدَ إظْهَارُ تَعْظِيمِ نَحْوِ الْعُلَمَاءِ بِإِحْيَاءِ مَشَاهِدِهِمْ وَأَيْضًا فَزُوَّارُهُمْ يَعُودُ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ مَدَدٌ أُخْرَوِيٌّ لَا يُنْكِرُهُ إلَّا الْمَحْرُومُونَ بِخِلَافِ الْأَقَارِبِ فَانْدَفَعَ قَوْلُ الْأَذْرَعِيِّ إنْ صَحَّ إلَى آخِرِهِ)) اهـ.(٢)

(١) المرجع السابق.

(٢) تحفة المحتاج (١١/ ٤-٥).

((فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ))، لما فيها من عظة وعبر، وهذا هو المقصود من زيارة القبور، قال الشيخ المناوي: ((ليس للقلوب سيما القاسية أنفع من زيارة القبور فزيارتها وذكر الموت يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب وزيارة القبور تبلغ في دفع رين القلب واستحكام دواعي الذنب ما لا يبلغه غيرها فإنه وإن كان مشاهدة المحتضر تزعج أكثر لكنه غير ممكن في كل وقت وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في كل أسبوع بخلاف الزيارة)) اهـ.(١)

والآخرة: هي ضد الأولى، وتطلق على الحياة البرزخية وما بعدها.

فوائد الحديث:

١. سنية زيارة القبور.

٢. من أقوى الأسباب على تذكر الآخرة وترقيق القلوب هي زيارة القبور.

٣. على المؤمن أن لا يغفل عن تذكر الآخرة والموت لما في ذلك من قوة الرغبة إلى الطاعة والبعد عن المعصية.

(١) فيض القدير (٥/ ١٢٤).

الحديث التاسع والعشرون

الاعتناء بتلاوة القرآن

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ**)) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**زَيِّنُوا**))، أي: حسنوا، وقال الإمام المناوي: ((زينوا: من التزيين بما منه الزينة وهي بهجة العين أو غيرها من الحواس التي لا تخلص إلى باطن المزين، ذكره الحرالي)) اهـ.(١)

((**الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ**)): اختلف أهل العلم في معنى الحديث، فقال بعضهم كيف يزين الصوت القرآن، أليس القرآن بذاته حسن، فقالوا أن الحديث مقلوب، والصحيح زينوا أصواتكم بالقرآن، واستدلوا على ذلك بما ورد عند الحكم بهذا اللفظ: ((زَيِّنُوا أَصْوَاتكُمْ بِالْقُرْآنِ))، قال العيني في شرحه على (سنن أبي داود): ((قوله: " زينوا القرآن بأصْواتكم " قيل: معناه: زينوا أصواتكم بالقرآن هكذا فسّره غير واحد من أئمة الحديث وقالوا: إنه من باب المقلوب كما قالوا: عرضت الناقة على الحوض، وكقولهم: استوى العُود على الجِرباء أي: استوى الجرباء على العود. وفي بعض طرُقه: " زينوا أصواتكم بالقرآن " والمعنى: اشغلوا أصواتكم

---

(١) فيض القدير (٥/ ١٢٥).

بالقرآن، والهجوا بقراءته، واتخذوه شِعارا وزينةً ، وليس ذلك على تطريب القول)) اهـ.[1]

وقال الحافظ السيوطي: ((قَوْله (زَيِّنُوا الْقُرْآن بِأَصْوَاتِكُمْ)، أَيْ: بِتَحْسِينِ أَصْوَاتكُمْ عِنْد الْقِرَاءَة، فَإِنَّ الْكَلَام الْحَسَن يَزِيد حُسْنًا وَزِينَة بِالصَّوْتِ الْحَسَن، وَهَذَا مُشَاهَد، وَلَمَّا رَأَى بَعْضهمْ أَنَّ الْقُرْآن أَعْظَم مِنْ أَنْ يَحْسُن بِالصَّوْتِ بَلْ الصَّوْت أَحَقّ بِأَنْ يَحْسُن بِالْقُرْآنِ.. قَالَ: مَعْنَاهُ زَيِّنُوا أَصْوَاتكُمْ بِالْقُرْآنِ، هَكَذَا فَسَّرَهُ غَيْر وَاحِد مِنْ أَئِمَّة الْحَدِيث، وَزَعَمُوا أَنَّهُ مِنْ بَاب الْقَلْب، وَقَالَ شُعْبَة: نَهَانِي أَيُّوب أَنْ أُحَدِّث (زَيِّنُوا الْقُرْآن بِأَصْوَاتِكُمْ) وَرَوَاهُ مَعْمَر عَنْ مَنْصُور عَنْ طَلْحَة: (زَيِّنُوا أَصْوَاتكُمْ بِالْقُرْآنِ)، وَهُوَ الصَّحِيح، وَالْمَعْنَى: اِشْتَغِلُوا بِالْقُرْآنِ وَاِتَّخِذُوهُ شِعَارًا وَزِينَة)) اهـ.[2]

وقال في (عون المعبود): ((قَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَاهُ زَيِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ، هَكَذَا فَسَّرَهُ غَيْر وَاحِد مِنْ أَئِمَّة الْحَدِيث، وَزَعَمُوا أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْمَقْلُوبِ كَمَا يُقَالُ عَرَضْت الْحَوْضَ عَلَى النَّاقَةِ قَالَ وَرَوَاهُ مَعْمَرٌ عَنْ مَنْصُور عَنْ طَلْحَةَ فَقَدَّمَ الْأَصْوَات عَلَى الْقُرْآن وَهُوَ الصَّحِيح، ثُمَّ أَسْنَدَ مِنْ طَرِيق عَبْد الرَّازِق حَدَّثَنَا مَعْمَر عَنْ مَنْصُور عَنْ طَلْحَة عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْسَجَة عَنْ الْبَرَاء

---

(١) شرح السنن للعيني (٥/ ٣٨٣).

(٢) شرح السنن للسيوطي (٢/ ٢٢٣).

بْن عَازِب أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ قَالَ: " **زَيِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ** " وَالْمَعْنَى اِشْغَلُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ وَالْهَجُوا بِقِرَاءَتِهِ وَاِتَّخِذُوهُ شِعَارًا وَزِينَة. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ مِنْ طَرِيقٍ مَنْصُورٍ أَنَّ الْمَسْمُوعَ مِنْ قِرَاءَةِ الْقَارِئِ هُوَ الْقُرْآنُ وَلَيْسَ بِحِكَايَةٍ لِلْقُرْآنِ)) اهـ.(١)

وقال في (فيض القدير): ((أي: زينوا أصواتكم به كما يدل عليه الحديث الآتي عقبه، فالزينة للصوت لا للقرآن، فهو على القلب كعرضت الإبل على الحوض، وأدخلت القلنسوة في رأسي ذكره البيضاوي، يعني: زينوا أصواتكم بالخشية لله حال القرآن، يرشد إلى ذلك قول السائل: من أحسن الناس صوتا بالقرآن يا رسول الله قال: من إذا سمعته رأيت أنه يخشى الله)) اهـ.(٢)

ولم يرتضِ آخرون هذا التفسير قال ابن بطال: ((وقوله: « زينوا القرآن بأصواتكم » تفسير قوله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم -: « ليس منا من لم يتغن بالقرآن ».. لأن تزيينه بالصوت لا يكون إلا بصوت يطرب سامعيه ويلتذون بسماعه وهو التغني الذى أشار إليه النبي، وهو الجهر الذى قيل في الحديث، يجهر به بتحسين الصوت الملين للقلوب من القسوة

---

(١) عون المعبود (٣/ ٦١).

(٢) فيض القدير (٥/ ١٢٥).

إلى الخشوع، وهذا التزيين الذى أمر به - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - أمته.

وإلى هذا أشار أبو عبيد فقال: مجمل الأحاديث التي جاءت في حسن الصوت بالقرآن، إنما هو من طريق التخزين والتخويف والتشويق، وقال: إنما نهى أيوب شعبة أن يحدث بقوله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - : « زينوا القرآن بأصواتكم » لئلا يتأول الناس فيه الرخصة من رسول الله في هذه الألحان المبتدعة)) اهـ.[١]

ثم رد ابن بطال كلام الخطابي الذي قال بالقلب، فقال: ((والقول الأول هو الذى عليه الفقهاء، وعليه تدل الآثار، وما اعتل به الخطابي من أن كلام الله لا يجوز أن يزينه صوت مخلوق، فقد نقضه بقوله: « وليس التزيين في وسع كل أحد، لعل من الناس من يريد التزيين فيقع في التهجين » فقد نفى عنه التزيين وأثبت له التهجين، وهذا خلف من القول.

ولو كان المعنى زينوا أصواتكم بالقرآن كما زعم هذا القائل؛ لدخل في الخطاب من كان قبيح الصوت وحسنه، ولم يكن للحسن الصوت فضل على غيره؛ ولا عرف للحديث معنى، ولما ثبت أن النبي - صلى الله عليه

(١) شرح ابن بطال على صحيح مسلم (١٠/ ٢٢٥).

وآله وصحبه وسلم - قال لأبى موسى الأشعري، حين سمع قراءته وحسن صوته: «لقد أوتى هذا مزمارًا من مزامير آل داود »)) اهـ.[(١)]

وقال العيني: ((وقال آخرون: لا حاجة إلى القلب؛ وإنما معناه: الحث على الترسل الذي أمر به في قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ {المزمل: ٤}، فكأن الزينة للمرتل لا للقرآن، كما يُقال: وَيْل للشِّعْر من رُوَاة السُّوء، فهو راجع إلى الراوي لا إلى الشعر ، فهو حثّ على ما يزين من الترتيل، والتدبر ومراعاة الإعراب، وقيل: أراد بالقرآن القراءة أي: زينوا قراءتكم بأصْواتكم)) اهـ.[(٢)]

وقال في (فيض القدير): ((وقيل: بل هو حث على ترتيله، ورعاية إعرابه، وتحسين الصوت به: وتنبيه على التحرز من اللحن والتصحيف، فإنه إذا قرئ كذلك.. كان أوقع في القلب، وأشد تأثيراً، وأرق لسامعه، وسماه تزيينا لأنه تزيين للفظ والمعنى)) اهـ.[(٣)]

قال في (عمدة القاري): ((ومعنى زينوا القرآن بأصواتكم: يعني بالمد والترتيل، وليس بالتطريف الفاحش الذي يخرج إلى حد الغناء)) اهـ.[(٤)]

---

(١) المرجع السابق.

(٢) شرح العيني لسنن أبي داود (٥/ ٣٨٤).

(٣) فيض القدير (٥/ ١٢٦).

(٤) عمدة القاري (٣٦/ ٢٤٤).

۞ فوائد الحديث:

١. حسن تلاوة القرآن بتحسين الصوت ورعية إعرابه.

٢. التحرز من اللحن والتصحيف.

٣. تحسين التلاوة للقرآن سبب لحصول التأثر به، وأوقع في قلب سامعه.

الحديث الثلاثون

فضل سورة تبارك

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**سُوْرَةُ تَبَارَكَ هِيَّ المَانِعَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**)) حديث صحيح رواه ابن مردويه.

❁ **شرح الحديث:**

ورد الحديث عند الترمذي والبيهقي بلفظ: ((**هِيَ الْمَانِعَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**))، وفي رواية عند أحمد الترمذي والطبراني: ((**إِنَّ سُورَةً مِنْ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**)).

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**سُوْرَةُ**))، والسورة في كلام العرب الإبانة لها من سورة أخرى وانفصالها عنها، وسميت بذلك لأنه يرتفع فيها من منزلة.

قال النابغة:

ألم تر أنَّ الله أعطاكَ سورَةً   تَرَى كُلَّ مُلْكٍ دُونها يَتَذَبْذَبُ

أي: مَنْزِلَة شرف ارتفعت إليها عن منزل الملوك، فكأن القارئ يتنقل بها من منزلة إلى منزلة.

وقيل: سميت بذلك لشرفها وارتفاعها كما يقال لما ارتفع من الأرض سورٌ.

وقيل: سميت بذلك لأن قارئها يشرف على ما لم يكن عنده، كسور البنا بغير همزة.

وقيل: سميت سُورَة لكونها قِطْعةً من القرآن وجزئاً منه، مأخوذ من أسآر الإناء وهو البقية، وجاء أسآر الناس أي بقاياهم، وعلى هذا فيكون أصلها سؤرة بالهمزة، وإنما خففت فأبدلت الهمزة واواً لانضمام ما قبلها. وقيل: لتمامها وكمالها لأن العرب يسمون الناقة التامة سُورَةً.

وقيل: سميت بذلك لتمامها وكمالها من قول العرب للناقة التامة: سورة، وجمع سورة: سُوَرٌ بفتح الواو.

وقال الشاعر:

سود المحاجر لا يقرأن بالسور

ويجوز أن يجمع على سُورَاتٍ وسُوْرَات

((**تَبَارَكَ**))، أي: ذو بركة، قال الشيخ الخطيب الشربيني في تفسيره (السراج المنير) في أول سورة الفرقان: (({تبارك} قال الزجاج: تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته، ومنه تبارك الله، وفيه معنيان: تزايد خيره وتكاثر، أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله، وعن ابن عباس كأن معناه جاءنا بكل بركة وخير، وقال الضحاك: تبارك تعاظم، ولا يستعمل إلا لله تعالى ولا يتصرف فيه)) اهـ.

((**هِيَ الْمَانِعَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**))، أي: الكافة له عن قارئها إذا مات ووضع في قبره، والعذاب هو: كل ما آلم النفس وشق عليها.

فوائد الحديث:

١. فضل سورة الملك والحث على قراءتها كل ليلة قبل النوم.

٢. أن القرآن كله نفع وفوائد، غير أن الله تعالى خص بعض آيات وسور بمزايا.

٣. استحباب قراءتها عند زيارة القبور للتخفيف عنهم، قال الشيخ المناوي في (فيض القدير): ((لو أنها إذا قرئت على قبر ميت.. منعت عنه العذاب، ويؤخذ منه – أي: من الحديث - ندب ما اعتيد من قراءة خصوص السورة للزوار على القبور)) اهـ.[١]

❁ ❁ ❁

---

(١) فيض القدير (٥/ ٢١٢).

الحديث الحادي والثلاثون

الشفاعة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**)) حديث حسن رواه أحمد.

شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلمك ((**شَفَاعَتِي**))، والشفاعة لغة: الوسيلة والطلب، وعرفاً: سؤال الخير للغير، والمعنى هنا أطلب لهم المفو والمغفرة يوم القيامة، ولنبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم شفاعات كثيرة يوم القيامة عدَّها بعض أهل العلم إلى ثمان شفاعات، دلّت عليها الأحاديث الشريف، وهي:

الأولى: الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود المقصود في قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ {الإسراء: ٧٩}، وهي شفاعته لكل الخلائق لإراحتهم من طول الموقف يوم القيامة، فيشفع في نقلهم من أرض المحشر ليبدأ حسابهم.

الثانية: شفاعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في إدخال قوم الجنة بغير حساب، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في الحديث الطويل إلى أن قال:((فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ

عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى)) أخرجه البخاري ومسلم.

الثالثة: شفاعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في بعض من استحق دخول النار بذنوبه أن لا يدخلها.

وقد أنكر المعتزلة هذه الشفاعة، وحجتهم حديث (لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي)، وهو حديث موضوع باتفاق،[١] وعلى تقدير صحته.. فإنه يحمل على من ارتد منهم، وقد ورد ما يدل على عكسه وهو الحديث الذي نحن بصدد شرحه الآن.

الرابعة: شفاعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في إخراج الْمُوَحِدين من النار، فعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:((يَدْخُلُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ القِبْلَةِ النَّارَ مَنْ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَا اللهَ بِمَا عَصُوا اللهَ وَاجْتَرَءوا عَلى مَعْصِيَتِهِ وَخَالَفُوا طَاعَتَهُ، فَيُؤْذَنُ لِي فِي الشَّفَاعَةِ، فَأُثْنِي عَلَى الله سَاجِداً كَمَا أُثْنِي عَلَيْهِ قَائِماً، فَيُقَالُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ)) أخرجه الطبراني.

---

(١) انظر: البيجوري (٤٣١).

الخامسة: شفاعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في زيادة الدرجات لبعض أهل الجنة.

السادسة: شفاعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في جماعة من صلحاء أمته؛ ليتجاوز الله تعالى عنهم في تقصيرهم في الطاعات.

السابعة: شفاعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في بعض من خلِّد في النار من الكفار أن يُخفف عنهم العذاب في أوقات مخصوصة كأبي لهب، فقد جاء في البخاري: (فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ، قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ) والحيبة: الحال، أي بشر حال، قال في فتح الباري:(قوله بعض أهله بالرفع على أنه النائب عن الفاعل، وذكر السهيلي أن العباس قال: لما مات أبو لهب رأيته في منامي بعد حول في شر حال، فقال: ما لقيت بعدكم راحة إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين، قال وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم ولد يوم الاثنين، وكانت ثويبة بشرت أبا لهب بمولده فاعتقها)اهـ.[1]

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ١٦٤).

الثامنة: شفاعته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في أطفال المشركين أن لا يعذبوا، وهذا عند من قال أنهم في النار، وإلا فالصحيح أنهم في الجنة.(١)

((**لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**))، أي: لأصحاب الكبائر، والكبائر: جمع كبيرة، وهي الموجبة للحد، كالزنى والسرقة وشرب الخمر، وقيل: ما يلحق الوعيد بصاحبه بنص كتاب أو سنة، قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): ((هذا أكثر ما يوجد للأصحاب، وهم إلى ترجيح الأول أميل – أي: الموجبة للحد – لكن الثاني أوفق؛ لما ذكروه عند تفصيل الكبائر، وقد أقره في الروضة، وهو يشعر بأنه لا يوجد عن أحد من الشافعية الجمع بين التعريفين، وليس كذلك، فقد قال الماوردي في الحاوي: هي ما يوجب الحد أو توجه إليها الوعيد، وأو في كلامه للتنويع لا للشك)) اهـ.(٢)

وأمه النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: هم من بعثه الله إليهم، وتنقسم الأمة إلى قسمين:

أمة الإجابة، وهم المسلمون الذين استجابوا لدعوته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

---

(١) انظر: البيجوري (٤١٦).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٢٠٥).

وأمة الدعوة، وهم بقية المخاطبون بالدعوة إلى الإسلام من أهل الأرض منذ عصره صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إلى قيام الساعة.

۞ تنبيه:

قد يفهم البعض من الحديث فهماً خاطئاً، فيرتكب الكبائر بحجة أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم سيشفع له، وهذا خطأ، واستدلال باطل، فليس في الحديث ما يدعوه إلى المعاصي، إنما المعنى: أني اذخرت شفاعتي ودعوتي التي أعطانيها ربي إلى يوم القيامة لمن وقع في الكبائر من أمتي ممن استوجبوا دخول النار.

۞ فوائد الحديث:

١. عظيم رحمة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بأمته.

٢. عظيم مقام النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عند الله تعالى حيث أعطاه المقام المحمود.

٣. أن الشفاعة درجات يوم القيامة وأرفعها واعلاها الشفاعة العظمى التي لا تكون لأحد من الأنبياء إلا لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

۞ ۞ ۞

الحديث الثاني والثلاثون

فضل صدقة السر

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**صَدَقَةُ السِّرِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**)) حديث حسن رواه الطبراني.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**صَدَقَةُ السِّرِ**)): والصدقة هي: العطية التي يراد بها الثواب من الله، قال في (فتح الباري) نقلا عن أبي جمرة: ((والمراد بالصدقة الثواب، فَإِنْ قَارَنَتْهُ النِّيَّةُ.. أُجِرَ صَاحِبُهُ جَزْماً، وَإِلَّا.. فَفِيهِ احْتِمَالٌ)) اهـ.[١]

قال في (سبل السلام): ((وَالصَّدَقَةُ هِيَ: مَا يُعْطِيهِ الْمُتَصَدِّقُ للهَّ تَعَالَى، فَيَشْمَلُ الْوَاجِبَةَ وَالْمَنْدُوبَةَ، وَالْإِخْبَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ صَدَقَةٌ مِنْ بَابِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ، وَهُوَ إخْبَارٌ بِأَنَّ لَهُ حُكْمُ الصَّدَقَةِ فِي الثَّوَابِ)) اهـ.[٢]

قال في (فيض القدير): ((وسميت صدقة؛ لأنها من تصديق الوعد بنفع الطاعة عاجلاً، وثوابها آجلاً)) اهـ.[٣]

والسر: هو ما يكتمه الإنسان في نفسه فلا يعلم به أحد غير صاحبه،

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٥٠٤).

(٢) سبل السلام (٤/ ٢٧٨).

(٣) فيض القدير (٦/ ٢٩١).

ويظهر معنى صدقة السر جلياً في قول النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ)) أخرجه البخاري ومسلم، يقول الله تعالى ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ {البقرة: ٢٧١}، وفائدة الإخفاء: الخلوص من آفة الرياء والسمعة، وقد بالغ في قصد الإخفاء جمع حتى اجتهد أن لا يعرف القابض من المعطي؛ توسلا إلى إطفاء غضب الرب.

((تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ))، أي: تمنع من إنزال المكروه في الدنيا ووخامة العاقبة في العقبى، وهي من قبيل إطلاق السبب على المسبب، كأنه نفى الغضب وأراد الحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء الحسن في العقبى.[1] قال ابن بطال: ((ألا ترى أن من غضبَ الله عليه قد تعرض لعقابه، فإذا زال ذلك الغضب بالصدقة.. زال العقاب)) اهـ.[2]

۞ هل صدقة السر أفضل أم العلانية؟

لو كانت الصدقة واجبة.. فالعلانية أفضل؛ لضعف العجب هنا، إذ كل الناس يخرجونها، بخلاف صدقة التطوع، فليس الكل يخرجها، فمن هنا تكون صدقة السر في التطوع خير من العلانية، قال ابن بطال: ((وَقَالَ الرسول، - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم -: « وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ » .

---

(١) انظر: فيض القدير (٥/ ٣٥٦).

(٢) شرح ابن بطال على صحيح مسلم (١٩/ ١٤٤).

وَقَوْلِهِ: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ {البقرة: ٢٧١}الآيَةَ.. عند كافة العلماء أن صدقة السر في التطوع أفضل من العلانية، وتأولوا قوله، - صلى الله عليه وآله وصحبه سلم -: «فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ».. أن المراد بذلك صدقة التطوع، وروى عن ابن عباس فى قوله: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ {البقرة: ٢٧١}الآيَةَ، قال: جعل الله تعالى صدقة التطوع في السرِّ تفضل علانيتها بسبعين ضعفًا، وجعل صدقة الفرض علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفًا، وكذلك جميع الفرائض، والنوافل في الأشياء كلها، وقال سفيان: ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ {البقرة: ٢٧١}، قال: سوى الزكاة، وهذا قول كالإجماع)) اهـ.[١]

۞ فوائد الحديث:

١. الحث على صدقة السر.
٢. أن صدقة السر في التطوع خير من العلانية.
٣. حرص المؤمن على طلب رضا الله تعالى، والخوف من غضبه.

---

(١) شرح ابن بطال على صحيح مسلم (٥/ ٤٦٧).

الحديث الثالث والثلاثون

فضل صلاة الجماعة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**)) رواه البخاري ومسلم.

❁ رشرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ**))، والصلاة لغة: مطلق الدعاء، وقيل الدعاء بخير.

وشرعاً: أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم غالباً، وقالوا غالباً؛ لأنّ هناك صلاة أقوال دون أفعال وهي صلاة المربوط، وصلاة أفعال دون أقوال وهي صلاة الأخرس، وصلاة لا أقوال ولا أفعال وهي صلاة الأخرس المربوط.

والجماعة لغةً: الطائفة.

وشرعاً: ربط صلاة المأموم بصلاة الإمام، ولفظها يصلح لكل من الإمام والمأموم ويتعين لأحدهما بالقرينة، وهي من خصائص أمة الحبيب صلى الله عليه وسلم، وهي سنة مؤكدة عند الإمام الرافعي والماوردي، وعند الإمام النووي وغيره في غير الجمعة.. فرض كفاية لرجال أحرار مقيمين غير عراة في أداء مكتوبة، وهو المعتمد.

والمراد هنا الصلاة في الجماعة كما ورد في رواية أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: ((صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا)) أخرجه البخاري.

((**تَفْضُلُ**))، أي: تزيد في الثواب.

((**صَلَاةِ الْفَذِّ**))، أي: صلاة المنفرد، يقال: فذ الرجل من أصحابه إذا بقي منفردا وحده.

((**بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**))، وفي رواية عند البخاري وأحمد ((بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً))،ومعنى الدرجة أو الجزء: حصول مقدار صلاة المنفرد بالعدد المذكور للمجمع، ويؤيد ذلك ما أخرجه مسلم: ((صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَعْدِلُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ))، وفي رواية أخرى عنده أيضاً وعند احمد: ((صَلَاةٌ مَعَ الْإِمَامِ أَفْضَلُ مِنْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ صَلَاةً يُصَلِّيهَا وَحْدَهُ))، وفي لفظ عند أحمد: ((صَلَاةُ الْجَمِيعِ تَفْضُلُ عَلَى صَلَاةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ ضِعْفًا كُلُّهَا مِثْلُ صَلَاتِهِ)).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري) الجمع بين رواية السبع والعشرين ورواية الخمس والعشرين، فقال: ((وقد جُمع بين روايتي الخمس والسبع بوجوه منها: أن ذكر القليل لا ينفى الكثير، وهذا قول من لا يعتبر مفهوم العدد؛ لكن قد قال به جماعة من أصحاب الشافعي وحكي عن نصه، وعلى هذا.. فقيل – وهو الوجه الثاني – لعله صلى الله

عليه وآله وصحبه وسلم أخبر بالخمس ثم أعلمه الله بزيادة الفضل فأخبر بالسبع، وتُعُقِّبَ بأنه يحتاج إلى التاريخ، وبأن دخول النسخ في الفضائل مختلف فيه؛ لكن إذا فرعنا على المنع.. تعين تقدم الخمس على السبع من جهة أن الفضل من الله يقبل الزيادة لا النقص. ثالثها: أن اختلاف العددين باختلاف مميزهما، وعلى هذا.. فقيل الدرجة أصغر من الجزء، وتُعُقِّبَ بأن الذي روى عنه الجزء روى عنه الدرجة، وقال بعضهم: الجزء في الدنيا، والدرجة في الآخرة، وهو مبنى على التغاير. رابعها: الفرق بقرب المسجد وبعده. خامسها: الفرق بحال المصلي، كأن يكون أعلم، أو أخشع. سادسها: الفرق بإيقاعها في المسجد أو في غيره. سابعها: الفرق بالمنتظر للصلاة وغيره. ثامنها: الفرق بادراك كلها أو بعضها. تاسعها: الفرق بكثرة الجماعة وقلتهم. عاشرها: السبع مختصة بالفجر والعشاء، وقيل: بالفجر والعصر، والخمس بما عدا ذلك. حادي عشرها: السبع مختصة بالجهرية، والخمس بالسرية، وهذا الوجه عندي أوجهها لما سأبينه، ثم إن الحكمة في هذا العدد الخاص غير محققة المعنى، ونقل الطيبي عن التوربشتي ما حاصله: إن ذلك لا يدرك بالرأي؛ بل مرجعه إلى علم النبوة التي قصرت علوم الألباء عن إدراك حقيقتها كلها)) اهـ.[1]

---

(١) فتح الباري (٢/ ١٥٠).

قال الإمام النووي: ((وَالْجَمْع بَيْنهَا مِنْ ثَلَاثَة أَوْجُه: أَحَدهَا: أَنَّهُ لَا مُنَافَاة بَيْنهَا فَذِكْر الْقَلِيل لَا يَنْفِي الْكَثِير، وَمَفْهُوم الْعَدَد بَاطِل عِنْد جُمْهُور الْأُصُولِيِّينَ. وَالثَّانِي: أَنْ يَكُون أَخْبَرَ أَوَّلًا بِالْقَلِيلِ، ثُمَّ أَعْلَمَهُ اللهَّ تَعَالَى بِزِيَادَةِ الْفَضْل فَأَخْبَرَ بِهَا. الثَّالِث: أَنَّهُ يَخْتَلِف بِاخْتِلَافِ أَحْوَال الْمُصَلِّينَ وَالصَّلَاة، فَيَكُون لِبَعْضِهِمْ خَمْس وَعِشْرُونَ وَلِبَعْضِهِمْ سَبْع وَعِشْرُونَ، بِحَسَبِ كَمَالِ الصَّلَاة وَمُحَافَظَته عَلَى هَيْئَاتِهَا وَخُشُوعهَا، وَكَثْرَة جَمَاعَتهَا وَفَضْلهمْ، وَشَرَف الْبُقْعَة وَنَحْو ذَلِكَ، فَهَذِهِ هِيَ الْأَجْوِبَة الْمُعْتَمَدَة. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الدَّرَجَة غَيْر الْجُزْء، وَهَذَا غَفْلَة مِنْ قَائِله ؛ فَإِنَّ فِي الصَّحِيحَيْنِ سَبْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَة وَخَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَة، فَاخْتَلَفَ الْقَدْر مَعَ اِتِّحَاد لَفْظ الدَّرَجَة)) اهـ.[١]

۞ الأسباب المقتضية لفضل الجماعة:

جمع الحافظ ابن حجر هذه الأسباب ونقحها في كتابه (فتح الباري)، فقال: ((وقد نقحت ما وقفت عليه من ذلك، وحذفت ما لا يختص بصلاة الجماعة، فأولها: إجابة المؤذن بنية الصلاة في الجماعة، والتبكير إليها في أول الوقت، والمشي إلى المسجد بالسكينة، ودخول المسجد داعياً، وصلاة التحية عند دخوله، كل ذلك بنية الصلاة في الجماعة. سادسها: انتظار الجماعة. سابعها: صلاة الملائكة عليه، واستغفارهم له. ثامنها: شهادتهم له. تاسعها:

(١) شرح صحيح مسلم (٦/ ١٠٣).

إجابة الإقامة. عاشرها: السلامة من الشيطان حين يفر عند الإقامة. حادي عاشرها: الوقوف منتظراً إحرام الإمام، أو الدخول معه في أي هيئة وجده عليها. ثاني عشرها: إدراك تكبيرة الإحرام كذلك. ثالث عشرها: تسوية الصفوف، وسد فرجها. رابع عشرها: جواب الإمام عند قوله سمع الله لمن حمده. خامس عشرها: الأمن من السهو غالبا، وتنبيه الإمام إذا سها بالتسبيح أو الفتح عليه. سادس عشرها: حصول الخشوع والسلامة عما يلهى غالبا. سابع عشرها: تحسين الهيئة غالباً. ثامن عشرها: احتفاف الملائكة به. تاسع عشرها: التدرب على تجويد القراءة، وتعلم الأركان والأبعاض. العشرون: إظهار شعائر الإسلام. الحادي والعشرون: إرغام الشيطان بالاجتماع على العبادة، والتعاون على الطاعة: ونشاط المتكاسل. الثاني والعشرون: السلامة من صفة النفاق، ومن إساءة غيره الظن بأنه ترك الصلاة رأساً. الثالث والعشرون: رد السلام على الإمام. الرابع والعشرون: الانتفاع باجتماعهم على الدعاء والذكر ،وعود بركة الكامل على الناقص. الخامس والعشرون: قيام نظام الألفة بين الجيران، وحصول تعاهدهم في أوقات الصلوات، فهذه خمس وعشرون خصلة ورد في كل منها أمر أو ترغيب يخصه، وبقي منها أمران يختصان بالجهرية ،وهما: الانصات عند

قراءة الإمام والاستماع لها، والتأمين عند تأمينه ليوافق تأمين الملائكة، وبهذا يترجح أن السبع تختص بالجهرية، والله أعلم)) اهـ.[1]

❁ فائدة:

قال السبكي الكبير في ((الحلبيات)): من كانت عادته أن يصلي جماعة، فتعذر فانفرد.. كتب له ثواب الجماعة، ومن لم تكن له عادة؛ لكن أراد الجماعة، فتعذر فانفرد.. يكتب له ثواب قصده لا ثواب الجماعة؛ لأنه وأن كان قصده الجماعة لكنه قصدٌ مجرد، ولو كان يتنزل منزلة من صلى جماعة كان دون من جمع والأُولى سبقها فعل)) اهـ.[2]

ويدل على الأول وهو أن من كانت عادته أن يصلي جماعة، فتعذر فانفرد.. كتب له ثواب الجماعة.. قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ.. كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيماً صَحِيحاً)) أخرجه البخاري.

ويدل على الثاني وهو أن من لم تكن له عادة؛ لكن أراد الجماعة، فتعذر فانفرد.. يكتب له ثواب قصده لا ثواب الجماعة.. أن أجر الفعل يضاعف وأجر القصد لا يضاعف بدليل من هم بحسنة كتبت له حسنة واحدة.

---

(١) فتح الباري (٢/ ١٥١).

(٢) انظر: فتح الباري (٦/ ١٤٧).

وقال السبكي: ويمكن أن يقال: أن الذي صلى منفردا ولو كتب له أجر صلاة الجماعة لكونه اعتادها، فيكتب له ثواب صلاة منفرد بالأصالة، وثواب مجمع بالفضل. اهـ.[1]

۞ فوائد الحديث:

١. الحث على المداومة على صلاة الجماعة.

٢. فضل صلاة الجماعة على صلاة المنفرد.

٣. أن صلاة الجماعة أقرب إلى سرعة القبول عند الله.

(١) انظر: فتح الباري (٦/ ١٤٨).

الحديث الرابع والثلاثون

فضل الموساة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**طَعَامُ الِاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ**)) رواه البخاري ومسلم.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**طَعَامُ الِاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ**))، والطعام: كل ما يؤكل غالباً ويكون به قوام البدن، واختلف أهل العلم في معنى الحديث على أقوال، وهي:

الأول: أن الطعام الذي يشبع الواحد.. يكفي قوت الاثنين، ويشبع الاثنين قوت الأربعة، وهو قول جرير.

الثاني: المراد بهذه الحديث وغيره.. الحض على المكارم والتقنع بالكفاية، يعني: وليس المراد الحصر في مقدار الكفاية، وإنما المراد المواساة، وأنه ينبغي للاثنين إدخال ثالث لطعامهما، وإدخال رابع أيضا بحسب من يحضر، وهو قول المهلب،[1] وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في حديث اهل الصفة: ((مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ)) أخرجه البخاري، وورد

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ٦٠٦).

عند الطبراني ما يبين العلة في ذلك وهو: ((كلوا جميعاً ولا تفرقوا، فإن طعام الواحد يكفي الاثنين)).

وقال في (المنتقى) شرح الموطأ: ((قَوْلُهُ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم طَعَامُ الِاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةَ يُرِيدُ - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ مَا اتَّخَذَهُ الِاثْنَانِ لِقُوتِهِمْ الْمُعْتَادِ يَكْفِي الثَّلَاثَةَ ؛ لِأَنَّ الِاقْتِصَارَ عَلَيْهِ عَلَى وَجْهِ الْمُوَاسَاةِ، وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ -: الْحَضُّ عَلَى الْمُوَاسَاةِ وَتَخْفِيفُ أَمْرِهَا وَأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا إتْلَافُ مَالٍ وَلَا كَبِيرُ مَشَقَّةٍ قَالَ عِيسَى بْنُ دِينَارٍ فِي الْمُزَنِيَّةِ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ إذَا اجْتَمَعَتْ الْأَيْدِي وَكَانَتْ الْمُوَاسَاةُ وَأَكَلَ النَّاسُ عَظُمَتِ الْبَرَكَةُ)) اهـ.[١]

فيؤخذ من الحديث أن الكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع، وأن الجمع كلما زاد زادت البركة.

الثالث: أنه خبر بمعنى الأمر أي أطعموا طعام الاثنين للثلاثة أو هو تنبيه على أنه يقوت الأربعة وأخبرنا بذلك لئلا نجزع.

الرابع: أن معناه طعام الاثنين إذا أكلا متفرقين كاف لثلاثة اجتمعوا.[٢]

---

(١) المنقى شرح الموطأ (٤/ ٣٣٢).

(٢) انظر: فيض القدير (٥/ ٤٨٤).

فائدة:

قال ابن العربي: لم يقل أن طعام الاثنين يشبع الثلاثة، إنما قال يكفي، وهو غير الشبع. اهـ.[1]

وقال في (تحفة الأحوذي): ((أي: يكفيهم على وجه القناعة، ويقويهم على الطاعة، ويزيل الضعف عنهم، لا أنه يشبعهم، والغرض منه أن الرجل ينبغي أن يقنع بدون الشبع، ويصرف الزائد إلى محتاج آخر)) اهـ.[2]

فوائد الحديث:

١. الحث على المواساة في الطعام، وأنه وإن كان قليلاً.. حصلت منه الكفاية المقصودة، ووقعت فيه بركة تعمّ الحاضرين عليه.

٢. استحباب الاجتماع على الطعام، وألا يأكل المرء وحده.

٣. الحث على مكارم الأخلاق والقناعة بالكفاية.



(١) انظر: عمدة القاري (٨/ ٥٦).

(٢) تحفة الأحوذي (٤/ ٤٤٤).

الحديث الخامس والثلاثون

وجوب طلب الحلال

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**طَلَبُ الحَلَالِ وَاْجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**)) حديث حسن رواه الديلمي.

۞ شرح الحديث:

وأخرج الحديث الطبراني كذلك في (المعجم الأوسط).

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**طَلَبُ الحَلَالِ**)): والطلب: هو محاولة الحصول على الشيء.

والحلال: هو الجائز شرعاً، وهو ضد الحرام، فيدخل فيه الواجب والمسنون والمباح.

((**وَاْجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**))، يحتمل الحديث معنين، وهما:

الأول: أن المراد طلب معرفة الحلال من الحرام والتمييز بينهما في الأحكام وهو علم الفقه.

الثاني: أن المراد طلب الكسب الحلال للقيام بمؤونة من تلزمه مؤونته، والاجتهاد في المباعدة عن الحرام، والقنع بالحلال.

وهذا أمر ليس بالصعب، قال الإمام الغزالي في (بداية الهداية): ((فإذا قنعت في السنة بقميص خشن، وفي اليوم والليلة برغيفين من الخشكار،[١]

(١) الخُشكارُ بالضم: هو الخبز الأسمر غير النقي، و هي أعجمية فارسية.

وتركت التلذذ بأطيب الأُدم، لم يعوزك من الحلال ما يكفيك، والحلال كثير.

وليس بعليك أن تتيقن بواطن الأمور، بل عليك أن تحترز مما تعلم أنه حرام أو تظن أنه حرام ظنا حصل من علامة ناجزة مقدرة بالمال)) اهـ.(١)

۞ لا تعارض بين التوكل وإقامة الأسباب:

في الحديث ما يحث على إقامة الأسباب التي تعبدنا الله بها، وليس كما يفهم بعض الجهلة من أن معنى التوكل على الله هو ترك إقامة الأسباب، وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي: ((لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً، وَتَرُوحُ بِطَانًا))، فقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((تَغْدُو)) فيه دلالة على إقامة الأسباب، قال في (دليل الفالحين)، ومثله في (شعب الإيمان) للبيهقي عند ذكر هذا الحديث: ((ليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب؛ بل فيه ما يدل على طلب الرزق؛ لأن الطير إذا غدت فإنها تغدو لطلب الرزق، وإنما أراد - والله أعلم -: لو توكلوا على الله تعالى في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم، ورأوا أن الخير بيده ومن عنده.. لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين، كالطير تغدو خماصاً

(١) بداية الهداية (١٦).

وتعود بطاناً؛ لكنهم يعتمدون على قوتهم وجَلَدِهِم، ويغشُّون ويكذبون ولا ينصحون، وهذا خلاف التوكل)) اهـ.[1]

وقال المناوي عند ذكر الحديث هذا أيضاً:((أي تغدو بكرة وهي جياع، وتروح عشاء وهي ممتلئة الأجواف، فالكسب ليس برازق؛ بل الرازق هو الله تعالى، فأشار بذلك إلى أن التوكل ليس التبطّل والتعطّل؛ بل لا بد فيه من التوصّل بنوع من السبب؛ لأن الطير تُرْزَقُ بالسعي والطلب؛ ولهذا قال أحمد: ليس في الحديث ما يدل على ترك الكسب؛ بل فيه ما يدل على طلب الرزق، وإنما أراد لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم، وعلموا أن الخير بيده.. لم ينصرفوا إلا غانمين سالمين كالطير؛ لكن اعتمدوا على قوتهم وكسبهم وذلك ينافي التوكل)) اهـ.[2]

وقال الإمام الغزالي: ((وقد يُظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة، أو كلحم على وضم، وهذا ظن الجهال، فإن ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين، فكيف ينال مقاماً من مقامات الدين محظور من محظورات الدين؛ بل نكشف عن الحق فيه، فنقول: إنما يظهر تأثير التوكل

---

(١) دليل الفالحين (١/ ٢٢٩).

(٢) انظر: تحفة الأحوذي (٥/ ٣٥٠).

في حركة العبد وسعيه بعمله إلى مقاصده)) اهـ. [(١)]

وقال الإمام الغزالي كذلك: ((وليس معنى التوكل التباعد عن الأسباب بالكلية، ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع الماء من البئر، ولوجب أن يصبر ليسخر الله له ملكاً أو شخصاً آخر حتى يصب الماء في فيه، فإن كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح فيه، وستأتي حقيقة التوكل في موضعها فإنه يلتبس إلا على المحققين من علماء الدين)) اهـ. [(٢)]

وقال الامام أبو القاسم القشيري:((اعلم أن التوكل محله القلب، وأما الحركة بالظاهر.. فلا تنافي التوكل بالقلب بعد ما يحقق العبد أن الرزق من قِبل الله تعالى، فإن تعسر شيء.. فبتقديره، وإن تيسر شيء.. فبتيسيره))اهـ. [(٣)]

۞ فوائد الحديث:

١. على المؤمن أن يتحرى الأكل من الحلال، فلا يأكل إلا حلالاً، ولا يقدم لأهله وأولاده إلا حلالاً صرفاً.

٢. تجنب أكل ما تيقنا حرمته، أو حتى ظننا ذلك.

٣. التوكل على الله لا يعني ترك إقامة الأسباب، فلا تعارض بين التوكل وإقامتها.

---

(١) إحياء علوم الدين (٨/ ٢٦٦).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٧٣).

(٣) انظر: تحفة الأحوذي (٥/ ٣٥١).

الحديث السادس والثلاثون

الجهاد في سبيل الله

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**)) رواه البخاري ومسلم.

❁ **شرح الحديث:**

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ**)): والغدوة: هي السير أول النهار إلى وقت الزوال.

وفي سبيل الله: أي: طريق التقرب إليه بكل عمل خالص، وأعلى أنواع التقربات الجهاد.

((**أَوْ رَوْحَةٌ**)): والرواح: هو السير آخر النهار من الزوال إلى الليل، قال في (عمدة القاري): ((وفي (الصحاح) الغدوة ما بين صلاة الغداة وبين طلوع الشمس، والغدو نقيض الرواح، وزعم ابن قرقول أنه قد استعمل الغدوة والرواح في جميع النهار، وفي (المحكم) الرواح العشي، وقيل: من لدن زوال الشمس إلى الليل، ورحنا رواحا وتروحنا سرنا في ذلك الوقت، أو عملنا، وفي (الصحاح) الرواح نقيض الصباح، وهو اسم للوقت، ويقال: الغدو السير في أول النهار إلى زوال الشمس، والرواح من الزوال

إلى آخر النهار، ويقال: غدا خرج مبكراً، وراح رجع، وقد يستعملان في الخروج والرجوع مطلقا توسعاً)) اهـ.[1]

((**خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**))، أي: أن ثواب هذا الزمن القليل في الجنة خير من الدنيا كلها، قاله المهلب، وقال غيره: معنى خير من الدنيا.. ثواب ذلك في الجنة خير من الدنيا، وقيل: خير من أن يتصدق بها في الدنيا إذا ملكها، وقيل: إذا ملك ما في الدنيا وأنفقها في وجوه البر والطاعة غير الجهاد،[2] قال القرطبي: هذا نحو قوله تعالى ﴿ **قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ** ﴾ {النساء: ٧٧}، وهذا بالنسبة إلى ذاتها، وأما بالنسبة إلى الآخرة.. فلا قدر لها ولا خطر، وانما أورد ذلك على سبيل التمثيل والتقريب، والا.. فلا نسبة بين المتناهي وبين ما لا يتناهى. اهـ.[3]

۞ فوائد الحديث:

١. أن الدنيا وما فيها لا تساوي لحظة في الجنة.

٢. ما يناله المجاهد في سبيل الله مقابل جهاد ساعة من ليل أو نهار من نعيم أبدي لا يساويه ملك الدنيا.

---

(١) عمدة القاري (٨/ ٢٨٠).

(٢) انظر: عمدة القاري (٢١/ ١٨٨).

(٣) انظر: فتح الباري (١١/ ٢٥٩).

الحديث السابع والثلاثون

فضل مجالس الذكر

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ الْجَنَّةُ**)) رواه أحمد.

۞ سبب الحديث:

أن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: يَا رَسُولَ اللهِ مَا غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ الْجَنَّةُ)).

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**غَنِيمَةُ**))، والغنيمة: هي المال المأخوذ من الكفار بالقتال وإيجاف الخيل والركاب، والفيء: ما أخذ منهم بغير ذلك كالأموال التي يصالحون عليها أو يتوفون عنها ولا وارث لهم.(١)

والمراد هنا ما يحوزه الإنسان من مجالس الذكر.

((**مَجَالِسِ الذِّكْرِ**))، والمجالس جمع مجلس، وهو موضع الجلوس، والذكر: هو الثناء على الله تعالى، وترديد اسمه على سبيل العبادة، ويطلق

---

(١) انظر: عمدة القاري (٢٢/ ٢٤٨)، والتنبيه للشيرازي (١/ ٢٤٦).

اسم مجلس الذكر كذلك على مجالس القرآن لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ {الحجر: ٩}، وكذا مجالس العلم؛ لكونها لا تخلوا عن ذكر الله تعالى وذكر نبيه محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

((**الْجَنَّةُ**)): وهي في اللغة البستان، والمراد بها هنا دار الثواب يوم القيامة، وقد أعدها الله للمؤمنين وجعل فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وما ورد من بعض الألفاظ عن بعض نعيم الجنة كالعنب وغيره.. فهو من حيث تشابه الأسماء للتقريب إلى فهم عقول البشر.

واختُلِف في الجنة هل هي واحدة أو أكثر إلى **ثلاثة أقوال**:[١]

الأول: وهو قول ابن عباس، أنها سبع جنان متجاورات، أفضلها وأوسطها الفردوس، وهي أعلاها، والمجاورة لا تنافي العلو، إذ كم من مجاور هو أعلى من مجاوره، وسقف الجميع عرش الرحمن، ومنها تنفجر أنهار الجنة، وضعف نور الشمس بنسبة لنور العرش في الجنان كضعف نور النجوم بالنسبة لنور الشمس في الدنيا، ثم تليها جنة المأوى، فجنة الخلد، فجنة النعيم، فجنة عدن، فدرا السلام، فدار الجلال، وكلها متصلة بمقام الوسيلة لتنعيم أهل الجنة بمشاهدته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

(١) انظر: إتحاف المريد (٣٠٤).

لظهوره لهم منها؛ لأنها تشرف على أهل الجنة كما أن الشمس تشرق على أهل الدنيا.(١)

الثاني: أنها أربع جنان، وقد رجحه جماعة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ {الرحمن: ٤٦}، ثم قال: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ {الرحمن: ٦٢}، فالأوليان: جنة النعيم، وجنة المأوى.

والأخريات: جنة عدن، وجنة الفردوس.

الثالث: أنها جنة واحدة، وإلى هذا ذهب الجمهور،(٢) وإنما التعدد في الاسم لشرفها؛ لأن كثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى، ولتحقق معاني تلك الأسماء فيها، إذ يصدق على الجميع جنة عدن، - فالعدن الإقامة - والمأوى لأنها مأوى المؤمنين، وجنة الخلد، ودار السلام؛ لأن جميعها للخلود والسلامة من كل خوف وحزن، وجنة النعيم؛ لأنها كلها مشحونة بأصناف النعيم، فَعَنْ سَهْلٍ بت سَعْدٍ ﵁ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ:((إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرَفَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ)) أخرجه البخاري ومسلم.

---

(١) انظر: البيجوري (٤١٤).

(٢) هكذا في البيجوري (٤١٤)، وفي إتحاف المريد (٣٠٥) أن الذي ذهب إليه الجمهور هو القول الثاني من أنها أربع جنان.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قَالَ:((إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنْ الْأُفُقِ مِنْ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ الله تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِالله وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ)) أخرجه البخاري ومسلم.

وتراب الجنة المسك، ففي حديث الإسراء والمعرج أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال فيه:((ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ)) أخرجه البخاري ومسلم.

وأبواب الجنة الكبار ثمانية، **وهي**:

باب الشهادة، وباب الصلاة، وباب الصيام، وباب الزكاة، وباب الحج، وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وباب الصلة، وباب الجهاد في سبيل الله.

ومن داخلها عشرة أبواب صغار.

۞ فوائد الحديث:

١. اغتنام الأوقات بذكر الله تعالى.

٢. الترغيب والحث على حضور مجالس العلم.

٣. أن الغنيمة التي يحوزها المؤمن بحضوره في مجالس العلم والذكر هي الجنة.

الحديث الثامن والثلاثون

مكانة السيدة فاطمة رضي الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **((فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يَقْبِضُنِيْ مَا يَقْبِضُهَا، وَيُبْسِطُنِيْ مَا يُبْسِطُهَا، وَإِنَّ الأَنْسَابَ تَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَّامَةِ غَيْرَ نَسَبِيْ وَسَبَبِيْ وَصِهْرِيْ))** رواه الحاكم.

۞ شرح الحديث:

وروى البخاري لفظ: ((فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي))، وعند البخاري ومسلم: ((فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا)).

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**فَاطِمَةُ**)) هي ابنته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، البتول الزهراء، سيدة نساء العالمين، وقد زوَّجها أبوها صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال:((إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِي)) أخرجه الطبراني، وكان سنُّ سيدنا علي كرم الله وجهه حين تزوجها إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، وهي ابنة خمسة عشر سنة، وكان ذلك عقب رجوعهم من بدر، وولدت له ستة، ثلاثة بنون وثلاث إناث، فالبنون هم: الحسن والحسين ومحسن الذي مات صغيراً.

وأما البنات فهن: زينب، وأم كلثوم، زوجة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورقية وقد ماتت قبل البلوغ.

وفاطمة الزهراء هي أصغر أولاده صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وقد دافعت عن أبيها في مكة حيث كانت ترفع الأذى الذي يضعونه على رأسه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وقد مرضت في الشعب وتحمّلت مع أبيها عليها رضوان الله، ونالت المنزلة العالية، فقد أخرج البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال لفاطمة:((أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ))، وقال صلى الله عليه وسلم:((فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)) أخرجه الإمام أحمد.

مكثت رضي الله عنها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ستة أشهر ثم توفيت يوم الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة أحدى عشرة من الهجرة وهي بنت ثمان وعشرين سنة، ودفنت بالبقيع ليلاً، وصلى عليها سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقيل: العباس، ونزل في قبرها هو، أي: سيدنا العباس، وسيدنا علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس عليهم رضوان الله.

((بَضْعَةٌ مِنِّي))، والْبَضْعَة فَبِفَتْحِ الْبَاء لا يجوز غيره، وهي: قطعة اللحم، أي: جزء مني كما أن القطعة من اللحم.

((**يَقْبِضُنِيْ مَا يَقْبِضُهَا**))، أي: يغضبني ما يغضبها كما في لفظ البخاري المتقدم.

((**وَيُبْسِطُنِيْ مَا يُبْسِطُهَا**))، أي: يسرني ويفرحني ما يسرها ويفرحها، فهو صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يفرح لفرح فاطمة ويحزن لحزنها، ويحب ما تحبه فاطمة، ويكره ما تركه عليها رضوان الله.

((**وَإِنَّ الأَنْسَابَ تَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَّامَةِ**))، والنسب هو: القرابة الوارثين، فكل من يرثه بعد موته داخل في نسبه.

((**غَيْرَ نَسَبِيْ**))، وهو ما يكون بالولادة.

((**وَسَبَبِيْ**))، وهو ما يكون بالزواج أصله من السبب وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء، ثم استعير لكل ما يوصل لأي شيء.

((**وَصِهْرِيْ**)): والفرق بينه وبين النسب أن النسب راجع لولادة قريبة لجهة الآباء، والصهر من خلطة تشبه القرابة يحدثها التزويج.(١)

۞ فائدة:

قال الشريف السمهودي: ومعلوم أن أولادها بضعة منها، فيكونون بواسطتها بضعة منه، ومن ثَمَّ لما رأت أم الفضل في النوم أن بضعة منه وضعت في حجرها.. أولها رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

(١) انظر: فيض القدير (٦/ ٩).

بأن تلد فاطمة غلاماً فيوضع في حجرها، فولدت الحسن فوضع في حجرها، فكل من يشاهد الآن من ذريتها بضعة من تلك البضعة وإن تعددت الوسائط، ومن تأمل ذلك انبعث من قلبه داعي الإجلال لهم وتجنب بغضهم على أي حال كانوا عليه. اهـ [١]

فوائد الحديث:

١. بيان فضل سيدتنا فاطمة رضي الله عنها، ومنزلتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وأنه لا يضاهيها منزلة قط.

٢. تحريم أذى من يتأذّى النبي صلى الله عليه وآله صحبه وسلم بتأذيه؛ لأن أذى النبي صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم حرام اتفاقاً قليله وكثيره، وقد جزم بأنه يؤذيه ما يؤذي فاطمة رضي الله عنها، فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذت به.. فهو يؤذي النبي صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم بشهادة هذا الخبر الصحيح، ولا شيء أعظم في إدخال الأذى عليها من قتل ولديها، ولهذا عرف بالاستقراء معاجلة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد.

٣. كل العلائق يوم القيامة تنقطع وتزول، إلا ما كان منها متصلاً بالنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

---

(١) المرجع السابق.

الحديث التاسع والثلاثون

سنية العمامة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**فَرْقُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ الْعَمَائِمُ عَلَى الْقَلَانِسِ**)) رواه أبو داود.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**فَرْقُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ**))، أي: الفارق فيما بيننا معشر المسلمين وبين المشركين.

((**الْعَمَائِمُ**)): جمع عمامة، وهي ما يلف ويدوّر على الرأس، وسميت عمامة لكونه تعم معظم الرأس.

((**عَلَى الْقَلَانِسِ**))، والقلانس: جمع قلنسوة، وهي ما توضع على الرأس نفسه، وتعرف اليوم باسم الطاقية أو الكوفية.

فالمشركون يكتفون بلبس العمامة دون قلنسوة، فلبس العمامة دون قلنسوة خلاف الأولى، وهو غير لائق؛ لأنها تنحل لاسيما عند الوضوء وبالقلنسوة تشد الرأس وتحسن هيئة العمامة.(١)

وأما لبس القلنسوة دون العمامة.. فقد اختلف في حكمه العلماء:

قال العزيزي: هي زي المشركين وهي خاصة بهم، وكذا نقل الْجَزَرِيُّ عن بعض العلماء، وبه صرح القاضي أبوبكر في شرح الترمذي.(٢)

---

(١) انظر: فيض القدير (٦/ ٢١).

(٢) انظر: تحفة الأحوذي (٤/ ٣٩٩).

وقال آخرون بأن ذلك ليس خاص بالمشركين، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يلبسها، قال في (عون المعبود): ((قَالَ الْحَافِظ اِبْن الْقَيِّم فِي زَاد الْمَعَاد: وَكَانَ يَلْبَسهَا يَعْنِي الْعِمَامَة وَيَلْبَس تَحْتهَا الْقَلَنْسُوَة، وَكَانَ يَلْبَس الْقَلَنْسُوَة بِغَيْرِ عِمَامَة وَيَلْبَس الْعِمَامَة بِغَيْرِ قَلَنْسُوَة اِنْتَهَى. وَفِي الْجَامِع الصَّغِير بِرِوَايَةِ الطَّبَرَانِيِّ عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ كَانَ يَلْبَس قَلَنْسُوَة بَيْضَاء .

قَالَ الْعَزِيزِيّ إِسْنَاده حَسَن. وَفِيهِ بِرِوَايَةِ الرُّويَانِيّ وَابْن عَسَاكِر عَنْ اِبْن عَبَّاس كَانَ يَلْبَس الْقَلَانِس تَحْت الْعَمَائِم وَبِغَيْرِ الْعَمَائِم وَيَلْبَس الْعَمَائِم بِغَيْرِ الْقَلَانِس، وَكَانَ يَلْبَس الْقَلَانِس الْيَمَانِيَّة وَهُنَّ الْبِيض الْمُضَرَّبَة وَيَلْبَس الْقَلَانِس ذَوَات الْآذَان فِي الْحَرْب، وَكَانَ رُبَّمَا نَزَعَ قَلَنْسُوَة فَجَعَلَهَا سُتْرَة بَيْن يَدَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي الْحَدِيث)) اهـ.(١)

❁ فوائد الحديث:

١. ينبغي للمؤمن الحرص على متابعة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في كل ما يقدر عليه.

٢. حرص المؤمن على مخالفة المشركين، وعدم التشبه بهم.

٣. بيان أن العمامة على القلنسوة سنة المرسلين وعادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) عون المعبود (٦/ ٤٨٧).

الحديث الأربعون

الظن بالله

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**)) حديث صحيح رواه أحمد، والحاكم.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**))، وَالظَّنُّ: تغليب أحد الْمُجَوَّزَيْنِ بسبب يقتضي التغليب، فلو خلا عن السبب الْمُغَلِّبِ.. لم يكن ظناً بل غِرَّةً وَتَمَنِّياً.

وفي معنى الحديث احتمالات، وهي:

الأول: ما قال القاضي عياض: مَعْنَاهُ بِالْغُفْرَانِ لَهُ إِذَا اِسْتَغْفَرَ، وَالْقَبُول إِذَا تَابَ، وَالْإِجَابَة إِذَا دَعَا، وَالْكِفَايَة إِذَا طَلَبَ الْكِفَايَة.

الثاني: أَنَّ الْمُرَاد بِهِ: الرَّجَاء وَتَأْمِيل الْعَفْو، قال الإمام النووي أن هذا هو أصح من الأول.(١)

الثالث: أن يكون تحذيراً مما يجري في نفس العبد مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ {البقرة: ٢٨٤}، وبه قال الْقَابِسِيُّ.

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٣).

الرابع: قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ قِيلَ مَعْنَاهُ ظَنُّ الْإِجَابَةِ عِنْدَ الدُّعَاءِ وَظَنُّ الْقَبُولِ عِنْدَ التَّوْبَةِ وَظَنُّ الْمَغْفِرَةِ عِنْدَ الِاسْتِغْفَارِ وَظَنُّ قَبُولِ الْأَعْمَالِ عِنْدَ فِعْلِهَا عَلَى شُرُوطِهَا تَمَسُّكًا بِصَادِقِ وَعْدِهِ وَجَزِيلِ فَضْلِهِ.[١]

وقال الحافظ ابن حجر: ((أي: قادر على أن اعمل به ما ظن أني عامل به)) اهـ.[٢]

فائدة:

قال في (دليل الفالحين): (((فائدة): الظن في الشرع ينقسم إلى واجب كحسن الظن بالله تعالى، وإلى حرام كسوء الظن به تعالى، قال تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ ﴾ {فصلت: ٢٣}، وبكل من ظاهره العدالة، ومندوب وهو حسن الظن بمن ظاهره العدالة من المسلمين، وجائز كظن السوء بمن وقف مواقف التهم)) اهـ.[٣]

فوائد الحديث:

١. ينبغي للمؤمن أن يحسن الظن بالله في كل أحواله.

٢. تغليب جانب الرجاء على الخوف عند الموت، ومسواتهما في حياته، قال الشافعية: ينبغي للعبد أن يساوي في حياته بين الخوف والرجاء،

---

(١) انظر: طرح التثريب (٧/ ٢٢٨٣).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٤٣٢).

(٣) دليل الفالحين (٢/ ٣٢٠).

فلا يزيد أحدهما على الآخر؛ لأن الخوف إذا زاد.. أوصل صاحبه إلى القنوط من رحمة الله، والرجاء إذا زاد.. أوصل صاحبه إلى الأمن من مكر الله، أما عند احتضار الميت.. فينبغي زيادة الرجاء على الخوف، حتى يموت العبد وهو محسن الظن بالله، فقد ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ((أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ بِي خَيْراً فَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ شَرّاً فَلَهُ)) أخرجه الإمام أحمد، وقال صلى الله وآله وصحبه وسلم: ((لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بالله الظَّنَّ)) أخرجه مسلم. قال الإمام النووي عند ذكر هذا الحديث: ((قَالَ الْعُلَمَاء: هَذَا تَحْذِير مِنْ الْقُنُوط، وَحَثّ عَلَى الرَّجَاء عِنْد الْخَاتِمَة، وَقَدْ سَبَقَ فِي الْحَدِيث الْآخَر قَوْله سُبْحَانه وَتَعَالَى: (أَنَا عِنْد ظَنّ عَبْدِي بِي)، قَالَ الْعُلَمَاء: مَعْنَى (حُسْن الظَّنّ بالله تَعَالَى) أَنْ يَظُنّ أَنَّهُ يَرْحَمهُ وَيَعْفُو عَنْهُ، قَالُوا: وَفِي حَالَة الصِّحَّة يَكُون خَائِفاً رَاجِيًا، وَيَكُونَانِ سَوَاء، وَقِيلَ: يَكُون الْخَوْف أَرْجَح، فَإِذَا دَنَتْ أَمَارَات الْمَوْت غَلَبَ الرَّجَاء أَوْ مَحْضه؛ لِأَنَّ مَقْصُود الْخَوْف: الِانْكِفَاف عَنْ الْمَعَاصِي وَالْقَبَائِح، وَالْحِرْص عَلَى الْإِكْثَار مِنْ الطَّاعَات وَالْأَعْمَال، وَقَدْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ أَوْ مُعْظَمه فِي هَذَا الْحَال، فَاسْتُحِبَّ إِحْسَان الظَّنّ الْمُتَضَمِّن لِلِافْتِقَارِ إِلَى الله تَعَالَى، وَالْإِذْعَان لَهُ، وَيُؤَيِّدهُ الْحَدِيث الْمَذْكُور بَعْده (يُبْعَث كُلّ عَبْد عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ)، وَلِهَذَا

عَقَّبَهُ مُسْلِم لِلْحَدِيثِ الْأَوَّل. قَالَ الْعُلَمَاء: مَعْنَاهُ: يُبْعَث عَلَى الْحَالَة الَّتِي مَاتَ عَلَيْهَا، وَمِثْله الْحَدِيث الْآخَر بَعْده (ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى نِيَّاتهمْ)) اهـ. (١)

٣. عظمة رحمة الحق تعالى في علاه بخلقه.

❁ ❁ ❁

(١) شرح مسلم للنووي (١٧/ ١٣٧).

الحديث الحادي والأربعون

فضل سورة الإخلاص

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**)) رواه البخاري ومسلم.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**))، أي: سورة الإخلاص، فاكتفى بذكر أول آية منها عن ذكر اسمها.

((**تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**))، وقد اختلف العلماء في فهم هذا الحديث على أقوال، وهي:

الأول: حمله على ظاهره، فقالوا أصحاب هذا القول: هي ثلث باعتبار معاني القرآن؛ لأنه أحكام، وأخبار، وتوحيد، وقد اشتملت هي على القسم الثالث، فكانت ثلثا بهذا الاعتبار، واستأنسوا لقولهم هذا بما أخرجه مسلم وأحمد وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أنه قال: ((إِنَّ اللهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ)).[1]

---

(١) انظر: فتح الباري (٩/ ٧٠).

الثاني: أن المراد: مَن عَمِلَ بما تضمنته من الإخلاص والتوحيد.. كان كمن قرأ ثلث القرآن.[1]

الثالث: قالوا: أن معنى الحديث: أن ثواب قراءتها بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف، أي: لا تحصل له المضاعفة التي تحصل لمن قراء ثلث القرآن إنما يعطى أجر الثلث دون مضاعفة، قال الإمام النووي: ((قَوْله صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِل ثُلُث الْقُرْآن)، وَفِي الرِّوَايَة الْأُخْرَى: (إِنَّ اللهَّ جَزَّأَ الْقُرْآن ثَلَاثَة أَجْزَاء فَجَعَلَ قُلْ هُوَ اللهَّ أَحَد جُزْءًا مِنْ أَجْزَاء الْقُرْآن) قَالَ الْقَاضِي: قَالَ الْمَازِرِيُّ: قِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْقُرْآن عَلَى ثَلَاثَة أَنْحَاء قَصَص وَأَحْكَام وَصِفَات للهَّ تَعَالَى، وَ { قُلْ هُوَ اللهَّ أَحَد } مُتَضَمِّنَة لِلصِّفَاتِ. فَهِيَ ثُلُث، وَجُزْء مِنْ ثَلَاثَة أَجْزَاء، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ ثَوَاب قِرَاءَتهَا يُضَاعَف بِقَدْرِ ثَوَاب قِرَاءَة ثُلُث الْقُرْآن بِغَيْرِ تَضْعِيف)) اهـ.[2]

ولم يرتضي بعضهم نفي التضعيف، قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): ((ومنهم من حمل المثلية على تحصيل الثواب، فقال معنى كونها ثلث القرآن أن ثواب قراءتها يحصل للقارئ مثل ثواب من قرأ ثلث القرآن، وقيل: مثله بغير تضعيف، وهي دعوى بغير دليل، ويؤيد الإطلاق ما أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء، فذكر نحو حديث أبي سعيد الأخير،

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) شرح صحيح مسلم (٦/ ٦٦).

وقال فيه: ((قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن))، ولمسلم أيضاً من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((احشدوا فسأقرأ عليكم ثلث القرآن))، فخرج فقرأ: ((قل هو الله أحد))، ثم قال: ((ألا إنها تعدل ثلث القرآن)) ولأبي عبيد من حديث أبي بن كعب: من قرأ قل هو الله أحد.. فكأنما قرأ ثلث القرآن)) اهـ.[١]

الرابع: يحتمل أن يريد بذلك لمن لا يحسن غيرها، ومنعه من تعلمها عُذْرٌ.

الخامس: يحتمل أن الأجر عليها لذلك القارئ، أو لقارئ على صفة مَا من الخشوع والتفكر وَالتَّدَبُّرِ، وإحضار الفهم، وتجديد الإيمان مثل أجر من قرأ ثلث القرآن على غير هذه الصِّفة.[٢]

مسألة:

لو حُمِلَ معنى الحديث على ظاهره.. فهل ذلك لثلث من القرآن معين، أو لأي ثلث فُرِضَ منه؟

فيه نظر، ويلزم على الثاني: أن من قرأها ثلاثاً.. كان كمن قرأ ختمة كاملة، قاله الحافظ ابن حجر.[٣]

---

(١) فتح الباري (٩/ ٧٠).

(٢) انظر: المنتقى شرح الموطأ (١/ ٤٧٨).

(٣) انظر: فتح الباري (٩/ ٧٠).

۞ فائدة:

قال الإمام القرطبي: ((اشتملت هذه السورة على اسمين من أسماء الله تعالى يتضمنان جميع أصناف الكمال لم يوجدا في غيرها من السور، وهما: الأحد الصمد؛ لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال، وبيان ذلك: أن الأحد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره، والصمد يشعر بجميع أوصاف الكمال؛ لأنه الذي انتهى إليه سؤدده، فكان مرجع الطلب منه وإليه، ولا يتم ذلك على وجه التحقيق إلا لمن حاز جميع خصال الكمال، وذلك لا يصلح إلا لله تعالى، فلما اشتملت هذه السورة على معرفة الذات المقدسة.. كانت بالنسبة إلى تمام المعرفة بصفات الذات وصفات الفعل ثناءً)) اهـ.(١)

وقال الإمام الغزالي: ((وأما قولُه عليه السلام "قُلْ هُو اللهُ أحد تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن".. فما أراكَ أن تفهمَ وجهَ ذلك؛ فتارةً تقول: هذا ذَكَرَهُ للترغيب في التلاوة وليس المعنى به التقدير، وحاشا منصِب النُبُوَّةِ عن ذلك؛ وتارةً تقول: هذا بعيدٌ عن الفهم والتأويل، وأن آياتِ القرآن تزيد على ستة آلاف آية، فهذا القدرُ كيف يكون ثُلُثُهَا؟ وهذا لِقلَّةِ معرفَتِكَ بحقائق القرآن، ونَظَرِك إلى ظاهر ألفاظه، فتظن أنها تَكْثُرُ وتَعْظُم بطول

---

(١) انظر: المرجع السابق.

الألفاظ وتَقصُرُ بقِصَرها، وذلك كَظَنِّ من يُؤثِرُ الدراهم الكثيرة على الجَوْهَرِ الواحد، نظراً إلى كَثْرَتِها، فاعلم أنَّ سورة الإخلاص تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن قطعاً، وارجع إلى الأقسام الثلاثة التي ذكرناها في مهمَّات القرآن، إذْ هي: معرفة الله تعالى، ومعرفةُ الآخرة، ومعرفةُ الصراط المستقيم، فهذه المعارف الثلاثة هي المهمة والباقي تَوابع؛ وسورة الإخلاص تشتمل على واحد من الثلاث، وهو معرفة الله وتوحيدُه وتقديسُهُ عن مُشَارِكٍ في الجنس والنَّوع، وهو المرادُ بِنَفي الأصل والفرع والكُفْؤ، وَوَصفُهُ بالصَّمَد يُشعِر بأنه الصَّمَدُ الذي لا مَقصِدَ في الوجودِ للحوائجِ سواه، نعم ليس فيها حديثُ الآخرةِ والصِّراطِ المُستَقيم، وقد ذكرنا أن أصولَ مهمَّاتِ القرآن معرفةٌ الله تعالى ومعرفةُ الآخرة ومعرفةُ الصراط المستقيم، فلذلك تَعدِلُ ثُلُثَ القرآن، أي ثُلث الأصولِ من القرآن كما قال عليه السلام "الحَجُّ عَرَفَة"، أي: هو الأصل والباقي تَوابع)) اهـ.(١)

فوائد الحديث:

١. بيان فضل سورة الإخلاص.

٢. الحث على الإكثار من قراءة سورة الإخلاص.

٣. بيان سعة فضل الله سبحانه وتعالى على عباده.

---

(١) جواهر القرآن (١/ ٥١).

الحديث الثاني والاربعون

النهي عن التحدث بكل ما يسمع

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**)) رواه مسلم.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**كَفَى بِالْمَرْءِ**))، أي: يكفيه للوقوع في المحذور.

((**كَذِبًا**))، والكذب هو: الإخبار بغير الواقع، ولا يشترط التعمد في ذلك حتى يسمى كذباً، إنما التعمد شرط لحصول للإثم.

((**أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**))، أي: ما لم يتثبت من صدق ما سمع، فإن الإنسان في العادة يسمع الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع.. فقد كذب؛ لإخباره بما لم يكن، فعليه أن يبحث ولا يتحدث إلا بما ظن صدقه، فإن ظن كذبه.. حرم، وإن شك، وقد أسنده لقائله، وبين حاله.. برئ من عهدته، وإلا.. امتنع أيضاً، ومحل ذلك ما إذا لم يترتب عليه لحوق ضرر، وإلا.. حرم وإن كان صدقاً؛ بل إن تعين الكذب طريقاً لدفع ذلك.. وجب.

۞ فوائد الحديث:

١. وجوب التثبت في الاخبار، وعدم تصديق كل ما يقال له.
٢. أن يتحرى المؤمن الصدق في كل ما يقول.
٣. أن لا يكثر من نقل الأخبار حتى لا يقع في الكذب أو الضرر لغيره.

الحديث الثالث والاربعون

فضل التسبيح

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**)) رواه البخاري ومسلم.

شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**كَلِمَتَانِ**))، أي: كلامان، والكلمة تطلق على الكلام، كما يقال: كلمة الشهادة.(١)

وقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((كلمتان)) فيه ترغيب وتخفيف.

((**خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ**)): قال الطيبي: الخفة مستعارة للسهولة، شبه سهولة جريان هذا الكلام على اللسان بما يخف على الحامل من بعض المحمولات ولا يشق عليه، فذكر المشبه وأراد المشبه به.(٢)

وقوله: (كلمتان) فيه ترغيب وتخفيف.

((**ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ**))، والميزان هو: عبارة عن قصبة وعمود وكفتان، كل منهما أوسع من أطباق السماوات والأرض، وجبريل آخذ بعموده،

---

(١) انظر: إرشاد الساري (١٠/ ٤٨٢).

(٢) انظر: عمدة القاري (٣٣/ ١٦١).

ناظرٌ إلى لسانه، وميكائيل أمين عليه، قال في (عمدة القاري): ((وفي كيفيته – أي: الميزان – أقوال والأصح أنه جسم محسوس ذو لسان وكفتين)) اهـ.(١)

وهو ميزان واحد على الراجح، وقيل: لكل عامل موازين يوزن بكل منها صنف من عمله، قال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ {الأعراف: ٨}، وقال أيضاً: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ {الأنبياء: ٤٧}، وقال أيضاً: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم ﴾ {الأعراف: ٨ – ٩}، والجمع ها في قوله ﴿ ٱلْمَوَٰزِينَ ﴾ إنما هو للتعظيم على المشهور من أنه ميزان واحد لجميع الأمم، ولجميع الأعمال.

وقد أُختلِف في المراد بالثقل والخفة على قولين:

الأول: أنه على صورته في الدنيا، أي: أن الثقيل ينزل، والخفيف يصعد.

الثاني: أنه على عكس صورته في الدنيا، فالثقيل يصعد والخفيف ينزل.(٢)

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: البيجوري (٤٠٠).

۞ كيفية الوزن:

وأما كيفية الوزن.. ففيه قولان:

الأول: أن صحف الأعمال الصالحة توضع في كفه، وصحف الأعمال السيئة توضع في كفة أخرى، فأيهما رجحت.. فهي الغالبة، بناءً على أن الحسنات مميزة بكتاب، والسيئات بآخر.

ويشهد لهذا حديث البطاقة، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:((إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ، فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أ(َشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ)، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)) أخرجه الإمام أحمد.

الثاني: أن الموزون هو أعيان الأعمال، حيث تجسَّم أي: الأعمال وتصوَّر، فتصوّر الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية، ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى، فتثقل بفضل الله.

وتصوّر الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية، ثم تطرح في كفة الظلمة وهي الشمال، فتخف، وهذا في المؤمن، أما الكافر.. فتخف حسناته وتثقل سيئاته بعدل الله تعالى.(١)

قال الحافظ ابن حجر: ((واما الثقل.. فعلى حقيقته؛ لأن الأعمال تتجسم عند الميزان)) اهـ.(٢)

قال صاحب الجوهرة:

ومثل هذا الوزنُ والميزانُ ... فتوزن الكتبُ أو الأعيانُ

وقيل: يُوزن الشخص نفسه؛ لأنه ورد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم أمر بن مسعود أن يصعد شجرة فيأتيه بشيء منها، فنظر أصحابه إلى حموشة ساقيه – أي: دقة ساقيه - فضحكوا منها فقال النبي صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم:((مَاْ يُضْحِكُكُمْ؟! لَرِجْلُ عَبْدِ اللهِ فِي المِيْزَاْنِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ)) أخرجه ابن أبي شيبة.

---

(١) انظر: المختصر المفيد (١٨٩)، والبيجوري (٤٠٣-٤٠٤).

(٢) فتح الباري (١١/ ٢٣٢).

وفي لفظ:((مَاْ تَضْحَكُوْنَ؟ لَرِجْلُ عَبْدُ اللهِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَاْمَةِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ)) أخرجه أبو يعلى.

وفي لفظ:((وَالَّذَيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَعُبْدُ اللهِ فِيْ المَوَاْزِيْنِ يَوْمَ القِيَاْمَةِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ)) أخرجه الطبراني، والبزار، واللفظ للطبراني.

وفي رواية: عن ابن مسعود قال: لما قتلت أبا جهل أنا وابنا عفراء تغامز أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – لقوة أبى جهل وضعف قوة ابن مسعود ودقة ساقيه فلحظ إليهم رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – ولحق كلامهم ثم قال:((وَالَّذَيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَسَاقَا عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ يَوْمَ القِيَاْمَةِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ))، وفى لفظ: ((أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ وَحِرَاءٍ)) أخرجه الدارقطني في الأفراد، وابن عساكر.

فدلَّ كل ذلك على أن الإنسان يُوزن.

قال الحافظ ابن حجر: ((وفيه – أي: قوله (خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان – إشارة إلى أن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة، وهذه سهلة عليها مع أنها تثقل الميزان كثقل الشاق من التكاليف، وقد سئل بعض السلف عن سبب ثقل الحسنة وخفة السيئة، فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها؛ فثقلت، فلا يحملنك ثقلها على

تركها، والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها؛ فلذلك خفت، فلا يحملنك خفتها على ارتكابها)) اهـ.[١]

وصفهما صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بالخفة والثقل لبيان قلة العمل وكثرة الثواب.

((**حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ**))، تثنية حبيبة بمعنى محبوبة، أي: محبوبتان، يقال: حبيب فلان إلى هذا الشيء، أي: جعله محبوبا، والمعنى: محبوب قائلهما، قال العلماء: محبة الله لعبده ارادته الخير له، وهدايته إليه، وإنعامه عليه، وكراهته له على الضد من ذلك.

وقال القرطبي: محبة الله لعبده تقريبه له، واكرامه، وليست بميل ولا غرض كما هي من العبد، وليست محبة العبد لربه نفس الإرادة؛ بل هي شيء زائد عليها، فإن المرء يجد من نفسه أنه يحب ما لا يقدر على اكتسابه ولا على تحصيله.[٢]

وخص الرحمن من الأسماء الحسنى لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده، حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل، ولما فيها من التنزيه والتحميد والتعظيم.

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٦٠١).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٤٠١).

((**سُبْحَانَ اللهِ**))، والتسبيح يعني: تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل، ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر، ويطلق ويراد به صلاة النافلة.

((**وَبِحَمْدِهِ**)): وفي معناه احتمالات ذكرها الحافظ ابن حجر في (فتح الباري)، فقال: ((قوله: (وبحمده).. قيل: الواو للحال، والتقدير: أسبح الله متلبساً بحمدي له من أجل توفيقه، وقيل: عاطفة، والتقدير: أسبح الله وأتلبس بحمده، ويحتمل أن يكون الحمد مضافاً للفاعل، والمراد من الحمد لازمه، أو ما يوجب الحمد من التوفيق ونحوه، ويحتمل أن تكون الباء متعلقة بمحذوف متقدم، والتقدير: واثنى عليه بحمده، فيكون سبحان الله جملة مستقلة، وبحمده جملة أخرى، وقال الخطابي في حديث سبحانك اللهم ربنا وبحمدك: أي بقوتك التي هي نعمة توجب عليَّ حمدك سبحتك، لا بحولي وبقوتي، كأنه يريد أن ذلك مما أقيم فيه السبب مقام المسبب)) اهـ.[1]

((**سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**))، أي: ذو العظمة والكبرياء.

❁ فائدة:

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): ((قال الكرماني: صفات الله

(١) فتح الباري (١٣/ ٦٠١).

وجودية كالعلم والقدرة، وهي صفات الاكرام، وعدمية كلا شريك له ولا مثل له، وهي صفات الجلال، فالتسبيح إشارة إلى صفات الجلال، والتحميد إشارة إلى صفات الاكرام، وترك التقييد مشعر بالتعميم، والمعنى: أنزهه عن جميع النقائص، وأحمده بجميع الكمالات، قال: والنظم الطبيعي يقتضي تقديم التحلية على التخلية، فقدم التسبيح الدال على التخلي على التحميد الدال على التحلي، وقدم لفظ الله لأنه اسم الذات المقدسة الجامع لجميع الصفات والأسماء الحسنى، ووصفه بالعظيم لأنه الشامل لسلب ما لا يليق به واثبات ما يليق به؛ إذ العظمة الكاملة مستلزمة لعدم النظير والمثيل ونحو ذلك، وكذا العلم بجميع المعلومات، والقدرة على جميع المقدورات ونحو ذلك، وذكر التسبيح متلبساً بالحمد؛ ليعلم ثبوت الكمال له نفياً واثباتاً، وكرره تأكيداً؛ ولأن الاعتناء بشأن التنزيه أكثر من جهة كثرة المخالفين، ولهذا جاء في القرآن بعبارات مختلفة، نحو: سبحان، وسبِّح بلفظ الأمر، وسبَّح بلفظ الماضي، ويسبِّح بلفظ المضارع، ولأن التنزيهات تدرك بالعقل، بخلاف الكمالات، فإنها تقصر عن إدراك حقائقها، كما قال بعض المحققين: الحقائق الإلهية لا تعرف الا بطريق

السلب، كما في العلم لا يدرك منه إلا أنه ليس بجاهل، وأما معرفة حقيقة علمه.. فلا سبيل إليه)) اهـ.[1]

۞ فوائد الحديث:

١. الحث على ذكر الله تعالى بالعموم، وبلفظ: (سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) بالخصوص.

٢. بيان سعة الله تعالى ورحمته لعباده

٣. تخصيص هذه الأمة بمزيد عطاء وفضل.

٤. أن لا يكسل المؤمن عن العمل، ولو كان قليلاً إلا أن أجره عند الله عظيم.

٥. جواز السجع في الدعاء إذا وقع بغير كلفة.



(١) فتح الباري (١٣/ ٦٠٢).

الحديث الرابع والأربعون

فضل تكبيرة الإحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**لِكُلِّ شَيْءٍ صَفْوَةٌ، وَصَفْوَةُ الصَّلَاةِ التَّكْبِيْرَةُ الأَوْلَى**)) حديث حسن رواه البيهقي.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**لِكُلِّ شَيْءٍ صَفْوَةٌ**))، وصفوة الشيء خياره وخلاصته.

((**وَصَفْوَةُ الصَّلَاةِ**))، أي: خيارها وخلاصتها.

((**التَّكْبِيْرَةُ الأَوْلَى**))، أي: تكبيرة الإحرام، فإذا صلحت وحضر القلب فيها.. صلحت جميع الصلاة، فالحضور فيها يعين على الحضور في بقية الصلاة، ويحتمل أن يكون المعنى: التكبيرة الأولى عقب الإمام، بحيث لا يشتغل بعد تكبيرة الإمام إلا بالصلاة كالنية وتسوية الصفوف والسواك ونحو ذلك.

وسميت بتكبيرة الإحرام لأنها تحرم ما كان حلالاً قبلها، وفي إدراك فضيلة تكبيرة الإحرام مع الإمام أقوال خمسة، كما في النجم الوهاج للإمام الدميري:

أولها: وهو المعتمد أنها تحصل بالاشتغال بالتحرم عقب تحرم الإمام.

قال صاحب الزبد:

والفَضْـلُ في تكبـيرَةِ الإِحـرامِ بِالاشـتِغَالِ عَقِـبَ الإمـامِ

ثانيها: بإدراك بعض القيام؛ لأنه محل التكبيرة الأولى.

ثالثها: بإدراك أول الركوع؛ لأن حكمه حكم قيامها، بدليل إدراك الركعة بإدراكه مع الإمام؛ ولأنه معظمها، واختاره القفّال.

وهذان الوجهان الثاني والثالث إنما يكونان فيمن لم يحضر إحرام الإمام، أما من حضر وأخّر.. فقد فاتته فضيلة التكبيرة وإن أدرك الركعة.

رابعها: أنه يدركها ما لم يشرع الإمام في الفاتحة.

خامسها: أنه إن انشغل بأمر دنيوي.. لم يدرك بالركوع، أو بعذر أو سبب الصلاة كالطهارة.. أدرك الفضيلة بإدراك الركوع.

۞ فوائد الحديث:

١. ينبغي للمؤمن ا، يكون حريصاً على حضور القلب في أول صلاته، وعند بداية دخوله إلى حضرة ربه؛ لتكون صلاته كلها بحضور قلبه مع الله.

٢. الحرص على متابعة الإمام، وعدم الاشتغال بعد تكبيرة الإمام بشيء آخر غير الصلاة.

۞ ۞ ۞

الحديث الخامس والأربعون

هوان الدنيا

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ.. مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**)) حديث صحيح رواه الترمذي.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا**))، والدنيا:

((**تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ**))، أي: تزن أو تساوي.

((**جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**)): مَثَلٌ لغاية القلة والحقارة، والبعوضة فعولية من البعض، وهو القطع كالبضع غلب على هذا النوع.

((**مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**))، أي: لو كان لها عنده تعالى أدنى قدر ما تمتع فيها كافر أدنى تمتع؛ لهوانه عليه وسقوطه، ولهذا ذكر صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم شربة الماء لكونها أدنى ما يتمتع به الإنسان في الدنيا، فإن الكافر عدو الله، والعدو لا يعطي شيئا مما له قدر عند المعطي، فمن حقارتها عنده لا يعطيها لأوليائه، وهذا أوضح دليل وأعدل شاهد على حقارة الدنيا.

۞ فوائد الحديث:

١. بيان حقيقة الدنيا وحقارتها.
٢. بيان هوان الكافر على الله وسقوطه.
٣. لم يعطي الله الدنيا لأنبيائه لأنها لا قيمة ولا قدر لها عنده.

الحديث السادس والأربعون

فضل طلب العلم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**)) رواه البخاري ومسلم.

❁ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**مَنْ سَلَكَ**))، أي: دخل أو مشى.

((**طَرِيقًا**)): سواء كانت حسية كمشية إلى مجالس العلم، أو معنوية، ونكّر صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لفظ الطريق هنا ليتناول أنواع الطريق الموصلة إلى تحصيل أنواع العلوم الدينية.

((**يَلْتَمِسُ**)): إما حال، أو صفة، أي: يطلب، كما في رواية عند احمد وأبي داود، وفي لفظ عند الترمذي: ((يَبْتَغِي فِيهِ))، فاستعار له اللمس.

((**فِيهِ**))، أي: في ذلك الطريق، أو في ذلك المسلك، أو في سلوكه، أو في غايته أو سببه، وإرادة الحقيقة في غاية البعد، وذلك للندرة.

((**عِلْمًا**)): وجعله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم نكرة ليشمل كل علم من علوم الدين وآلته، قليله وكثيره، وكذا كل علم فيه نفع للناس وتقتضيه حاجة المسلمين.

قال الطيبي: وإنما أطلق الطريق والعلم ليشملا في جنسهما أي طريق كان من مفارقة الأوطان، والضرب في البلدان إلى غير ذلك، وأي علم كان من علوم الدين قليلاً أو كثيراً، رفيعاً أو غير رفيع. اهـ.[١]

((**سَهَّلَ اللهُ لَهُ**)) بسببه، أي: بسبب سلوكه لطريق العلم، أو بسبب العلم، كما جاء في رواية عند الترمذي: ((سَلَكَ اللهُ بِهِ))، قال الطيبي: الضمير في (به) عائد إلى من، والباء للتعدية، أي: يوفقه أن يسلك طريق الجنة. قال: ويجوز رجوع الضمير إلى العلم، والباء سببية، والعائد إلى من محذوف، والمعنى: سهل الله له بسبب العلم طريقاً من طرق الجنة، وذلك لأن العلم إنما يحصل بتعب ونصب، وأفضل الأعمال أحزمها، فمن تحمل المشقة في طلبه.. سهلت له سبل الجنة سيما إن حصل المطلوب. اهـ.[٢]

((**طَرِيقًا**)) في الآخرة، أو في الدنيا بأن يوفقه للعمل الصالح.

((**إِلَى الْجَنَّةِ**)): قال ابن جماعة: والأظهر أن المراد أن يجازيه يوم القيامة بأن يسلك به طريقاً لا صعوبة له فيه ولا هول إلى أن يدخله الجنة سالما، فأبان أن العلم ساعد السعادة وأس السيادة، والمرقاة إلى النجاة في الآخرة،

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي (٦/ ٤٣).

(٢) انظر: فيض القدير (٨/ ١٣٧).

والمقوم لأخلاق النفوس الباطنة والظاهرة، فهو نعم الدليل والمرشد إلى سواء السبيل. اهـ[1]

فوائد الحديث:

١. بيان فضل العلم وطلبه.

٢. أن سلوك طريق طلب العلم سبباً لقطع الطريق يوم القيامة للوصول إلى الجنان.

٣. استحباب الرحلة لطلب العلم.



(١) انظر: المرجع السابق.

الحديث السابع والأربعون

صلاة العشاء والفجر في جماعة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **((مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ.. فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ.. فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ))** رواه مسلم .

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **((مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ))**، يشمل قليل الجماعة من إمام ومأموم وكثيرها، وفاضلها ومفضولها.

((فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ))، أي: كأنما قام نصف الليل بالتهجد؛ إذ القيام في عرف الشرع هو التهجد.

((وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ.. فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ))، أي: كأنما امضى الليل كله في تهجد، فَنَزَّلَ صلاة كل من طرفي الليل منزلة نوافل نصفه.

وهل يلزم من ذلك أن يعطى ثواب من قام نصف الليل، أو قام الليل كله؟

قال الشيخ المناوي في (فيض القدير): ((ولا يلزم منه أن يبلغ ثوابه ثواب من قام الليل كله؛ لأن هذا تشبيه في مطلق مقدار الثواب، ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء أخذه بجميع أحكامه، ولو كان قدر الثواب

سواء.. لم يكن لمصلي العشاء والفجر جماعة منفعة في قيام الليل غير التعب، ذكره البيضاوي)) اهـ.[1]

۞ تنبيه:

ليس المقصود من قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (ومن صلى الفجر في جماعة.. فكأنما قام الليل كله) أن من صلى الفجر في جماعة وإن لم يصلِّ العشاء في جماعة.. فكأنما قام الليل كله، إنما المفهوم من الحديث أن الشرط ليكون كمن قام الليل كله أن يصلي العشاء والفجر في جماعة، قال في (دليل الفالحين): ((ما أفاده ظاهره من ترتب حصول ثواب قيام جميع الليل لمن صلى الصبح جماعة وإن لم يصل العشاء جماعة غير مراد، بل إن المراد مجموع صلاتي العشاء والصبح جماعة كقيام الليل كله، فصلاة كل منهما جماعة كقيام نصف الليل كما يشهد بهذا التفصيل الحديث بعده)) اهـ،[2] وهو قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((مَنْ شَهِدَ الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ.. كَانَ لَهُ قِيَامُ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ.. كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ)) أخرجه الترمذي.

۞ فوائد الحديث:

١. بيان فضل صلاة العشاء والفجر في الجماعة.
٢. الحث على المسابقة على الفضائل والمسارعة إليها.

---

(١) فيض القدير (٨/ ١٥٨).

(٢) دليل الفالحين (٣/ ٣٩٤).

الحديث الثامن والأربعون

فضل المحبة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**)) رواه البخاري.

۞ **شرح الحديث:**

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**الْمَرْءُ**)) رجل أو امرأة.

((**مَعَ مَنْ أَحَبَّ**))، أي: في الجنة مع رفع الحجب حتى تحصل الرؤية والمشاهدة؛ وذلك بحسن نيته من غير زيادة عمل؛ لأن محبته لهم كطاعتهم، والمحبة من أفعال القلوب، فأثيب على معتقده؛ لأن النية الأصل، والعمل تابع لها. ليس من لازم المعية الاستواء في الدرجات بل كل في درجته، قاله القسطلاني.(١)

وقال في (عمدة القاري): ((قوله: ((مع من أحب)) أي، في الجنة، يعني هو ملحق بهم داخل في زمرتهم ألحقه بحسن النية من غير زيادة عمل بأصحاب الأعمال الصالحة.

وقال ابن بطال: فيه أن من أحب عبداً في الله تعالى.. فإن الله يجمع بينهما في جنته، وإن قصر في عمله؛ وذلك لأنه لما أحب الصالحين لأجل

---

(١) إرشاد الساري (١٠/ ٣٣٨).

طاعتهم.. أثابه الله تعالى ثواب تلك الطاعة؛ إذ النية هي الأصل، والعمل تابع لها، والله يؤتي فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم)) اهـ.[1]

ويشهد لكل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ {النساء: ٦٩}.

وقد يرد إشكالٌ هنا، وهو: أنهم في الجنة متفاوتون في منازلهم، فكيف تكون المعية مع وجود هذا التفاوت؟

فالجواب: أنه ليس من لازم المعية الاستواء في الدرجات بل كل في درجته، كما تقدما قريباً في كلام القسطلاني، وقال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): ((قوله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في حديث آخر – ((إنك مع من أحببت))، أي: ملحق بهم حتى تكون من زمرتهم، وبهذا يندفع إيراد أن منازلهم متفاوتة، فكيف تصح المعية، فيقال: أن المعية تحصل بمجرد الاجتماع في شيء ما، ولا تلزم في جميع الأشياء، فإذا اتفق أن الجميع دخلوا الجنة.. صدقت المعية، وأن تفاوتت الدرجات)) اهـ.[2]

---

(١) عمدة القاري (١٨/ ٣٠٠).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٦٢٣).

وقد ذكر المناوي مفهوماً آخراً للحديث، فقال: (((المرء مع من أحب) طبعاً، وعقلاً، وجزاءً، ومحلاً، فكل مهتم بشيء فهو منجذب إليه وإلى أهله بطبعه شاء أم أبى، وكل امرئ يصبو إلى مناسبه رضي أم سخط، فالنفوس العلوية تنجذب بذواتها وهممها وعملها إلى أعلى، والنفوس الدنية تنجذب بذواتها إلى أسفل، ومن أراد أن يعلم هل هو مع الرفيق الأعلى أو الأسفل.. فلينظر أين هو ؟ ومع من هو في هذا العالم ؟ فإن الروح إذا فارقت البدن.. تكون مع الرفيق الذي كانت تنجذب إليه في الدنيا، فهو أولى بها، فمن أحب الله.. فهو معه في الدنيا والآخرة، إن تكلم فبالله، وإن نطق فمن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكت فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله، واتفقوا على أن المحبة لا تصح إلا بتوحد المحبوب، وأن من ادعى محبته، ثم لم يحفظ حدوده.. فليس بصادق)) اهـ.[١]

۞ فوائد الحديث:

١. فضل حبّ الله ورسوله والأخيار أحياء وأمواتاً.

٢. أن من فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، والتأدب بالآداب الشرعية.

٣. لا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم؛ إذ لو عمله.. لكان منهم ومثلهم.

(١) فيض القدير (٥/ ٦٨٣).



الحديث التاسع والأربعون

فضيلة الخل والتأدّم به

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**نِعْمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ**)) رواه مسلم.

سبب الحديث

ما أخرجه مسلم وأحمد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ طَلَبَ وَسَأَلَ أَهْلَهُ الْأُدْمَ، قَالُوا: مَا عِنْدَنَا إِلَّا خَلٌّ. قَالَ: فَدَعَا بِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ وَيَقُولُ: ((نِعْمَ الْأُدْمُ الْخَلُّ))، وذلك ان جابر رضي الله عنه قدم عليه ضيوف فقدم لهم الخبر مع الخل، وأخبرهم بهذا الخبر.

زاد الإمام أحمد في روايته: ((إِنَّهُ هَلَاكٌ بِالرَّجُلِ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ النَّفَرُ مِنْ إِخْوَانِهِ فَيَحْتَقِرَ مَا فِي بَيْتِهِ أَنْ يُقَدِّمَهُ إِلَيْهِمْ، وَهَلَاكٌ بِالْقَوْمِ أَنْ يَحْتَقِرُوا مَا قُدِّمَ إِلَيْهِمْ)).

شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**نِعْمَ**)): هي كلمة مدح.

((**الْإِدَامُ**))، وهو بِكَسْرِ الْهَمْزَة مَا يُؤْتَدَم بِهِ، يُقَال: أَدَمَ الْخُبْز يَأْدِمهُ بِكَسْرِ الدَّال، وَجَمْع الْإِدَام أُدُم بِضَمِّ الْهَمْزَة وَالدَّال، كَإِهَابٍ وَأُهُب، وَكِتَاب وَكُتُب. وَالْأَدْم بِإِسْكَانِ الدَّال مُفْرَد كَالْإِدَامِ.

((الْخَلُّ)): وهو ما حمض من عصير العنب ونحوه، قال في (تحفة الأحوذي): ((فالمراد بالخل الخل الذي لم يتخذ من الخمر جمعا بين الأحاديث)) اهـ.[1]

وخالفه في ذلك المناوي فقال في (فيض القدير): ((واللام فيه – أي: الخل – للجنس، فالخبر حجة في أن ما خلل من الخمر حلال طاهر: أي بشرطه المعروف في الفروع، وقد كان المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يحبه ويشربه ممزوجا بالعسل، وذلك من أنفع المطعومات.

قال ابن العربي: ولذلك جمعهما الأطباء وجعلوهما أصل المشروبات، ولم يكن في صناعة الطب شراب سواه، ثم حدث عند المتأخرين تركيب آخر ولم يكن عند من تقدم، قال: ولم يكن عند الأطباء إلا السكنجبين،[2] فلما كان زمان الخلفاء دبروا الأشربة وحركوها عنه، والأول أقوى)) اهـ.[3]

قال الخطّابي والقاضي عياض في معنى الحديث: ((مَعْنَاهُ مَدْح الاِقْتِصَار فِي الْمَأْكَل وَمَنْع النَّفْس مِنْ مَلَاذّ الْأَطْعِمَة. تَقْدِيره اِئْتَدِمُوا بِالْخَلِّ وَمَا فِي مَعْنَاهُ مِمَّا تَخِفّ مُؤْنَته، وَلَا يَعِزّ وُجُوده، وَلَا تَتَأَنَّقُوا فِي الشَّهَوَات، فَإِنَّهَا مَفْسَدَة لِلدِّينِ، مَسْقَمَة لِلْبَدَنِ)) اهـ.

---

(١) تحفة الأحوذي (٣/ / ٤٨٣).

(٢) السكنجبين: هو شراب مركب من حامض و حلو.

(٣) فيض القدير (٨/ ٣٧٧).

ولم يرتضِ ذلك الإمام النووي فقال معقبا: ((هَذَا كَلَام الْخَطَّابِيّ وَمَنْ تَابَعَهُ. وَالصَّوَاب الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُجْزَم بِهِ أَنَّهُ مَدْح لِلْخَلِّ نَفْسه، وَأَمَّا الِاقْتِصَار فِي الْمَطْعَم وَتَرْك الشَّهَوَات فَمَعْلُوم مِنْ قَوَاعِد أُخَر)) اهـ.(١)

قال ابن علّان في (دليل الفالحين): ((ونوقش فيما قال إنه الصواب أنه غير ظاهر فضلاً عن كونه هو الصواب، إذ ثبت أنه لم يكن يمدح طعاماً ولا يذمه؛ لأن في الأول شائبة شهوة، وفي الثاني احتقار للنعمة، وفي التنظير نظر؛ لأن المنقول عنه محمول على مدح ينشأ عن ميل النفس لذلك الطعام، أشار إليه المصنف أنه مدحه لمعنى آخر جبراً لخاطرهم وتطييباً لقلوبهم)) اهـ.(٢)

وجعل ابن القيم المدح للخل بسحب ذلك الوقت، فقال: ((هذا ثناء عليه بحسب الوقت، لا لتفضيله على غيره، لأن سببه أن أهله قدموا له خبزا، فقال: ما من أدم ؟ قالوا: ما عندنا إلا خلا، فقال ذلك جبرا لقلب من قدمه وتطييباً لنفسه، لا تفضيلا له على غيره، إذ لو حصل نحو لحم أو عسل أو لبن كان أحق بالمدح)) اهـ.(٣)

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٤/ ١٦٠).

(٢) دليل الفالحين (٣/ ٢٠٣).

(٣) فيض القدير (٨/ ٣٧٧).

لكن وردت زيادة في الحديث عند ابن ماجه يقول فيها صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي الْخَلِّ فَإِنَّهُ كَانَ إِدَامَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي وَلَمْ يَفْتَقِرْ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ)).

فوائد الحديث:

١. فضيلة الخل، وأنه يسمى أُدُماً، وأنه أُدُم فاضل جيد، كما قاله الإمام النووي.

٢. في الحديث استحباب الحديث على الأكل تأنيساً للآكلين.

٣. مدح الاقتصاد ومنع الاسترسال مع النفس في حلاوة الأطعمة.

الحديث الخمسون

مكانة الضعفاء عند الله

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ**)) رواه البخاري.

۞ سبب الحديث:

أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رأى أي: ظن أن له فضل على من دونه، أي: بسبب شجاعته ونحو ذلك من جهة الغنى وكثرة المال،[١] فأراد النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن يقوم عنده هذا المفهوم، فقال: ((هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ)).

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**هَلْ تُنْصَرُونَ**))، أي: تتغلبون على أعدائكم، فتعانون عليهم، ويُدفع عنكم البلاء والأذى.

قال القاضي: والنصرة أخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضر.[٢]

الاستفهام للتقرير، أي: ليس النصر وإدرار الرزق إلا ببركتهم، فأبرزه في صورة الاستفهام ليدل على مزيد التقرير والتوبيخ.

---

(١) انظر: عمدة القاري (٢١/ ٣٨٥).

(٢) انظر: فيض القدير (١/ ١٤١).

((وَتُرْزَقُونَ))، أي: ترزقون المطر والفيء وغيرهما مما تنتفعون به، فتمكنون من الانتفاع بما أخرجنا لكم.

((إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ))، أي: من ترونهم صعاليك فيكم، وهم من يستضعفهم الناس لفقرهم ورثاثة حالهم.

والمعنى: تنصرون ببركة وجودهم بين أظهركم، أو بسبب رعايتكم ذمامهم، أو ببركة دعائهم، والضعيف إذا رأى عجزه، وعدم قوته.. تبرأ عن الحول والقوة بإخلاص، واستعان بالله، فكانت له الغلبة، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، بخلاف القوي، فإنه يظن أنه إنما يغلب الرجال بقوته، فتعجبه نفسه غالباً، وذلك سبب للخذلان كما أخبر الله تعالى عن بعض من شهد وقعة حنين.

قال في (عون المعبود) نقلا عن الْمُنْذِرِيِّ: ((وَفِي حَدِيث النَّسَائِيِّ زِيَادَة تُبَيِّن مَعْنَى الْحَدِيث، قَالَ نَبِيّ اللهِ: ((إِنَّمَا نَصَرَ اللهَّ هَذِهِ الْأُمَّة بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتهمْ وَإِخْلَاصهمْ))، وَمَعْنَاهُ أَنَّ عِبَادَة الضُّعَفَاء وَدُعَاءَهُمْ أَشَدّ إِخْلَاصًا لِجَلَاءِ قُلُوبهمْ مِنْ التَّعَلُّق بِزُخْرُفِ الدُّنْيَا، وَجعَلُوا هَمَّهُمْ وَاحِد، فَأُجِيبَ دُعَاؤُهُمْ، وَزَكَتْ أَعْمَالهمْ)) اهـ.[1]

(١) عون المعبود (٤/ ٤٠٥).

وربما يقول القائل: إن كنا ننصر بضعفائنا فلما أمرنا الله بالعدة في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ {الأنفال: ٦٠}؟

فالجواب ما قاله بعض العارفين، وهو: ومن حكمته تعالى أنه أمر بالعدة للعدو، وأخذه بالقوة، وأخبر أن النصر بعد ذلك يكون بالضعفاء؛ ليُعلم الخلق فيما أمروا به من الاستعداد وأخذ الحذر أن يرجعوا للحقيقة، ويعلموا أن النصر من عند الله يلقيه على يد الأضعف، فالاستعداد للعادة، والعلم بجهة النصر في الضعيف للتوحيد، وأن الأمر كله لله عادة وحقيقة يدبره كيف شاء.(١)

❁ **تنبيه:**

قد وقع التعارض ظاهرا بين هذا الحديث وبين خبر مسلم: ((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ))،وعند التأمل لا تدافع إذ المراد بمدح القوة.. القوة في ذات الله، وشدة العزيمة، وبمدح الضعف.. لين الجانب، ورقة القلب، والانكسار بمشاهدة جلال الجبار، أو المراد بذم القوة.. التجبر والاستكبار، وبذم الضعف.. ضعف

---

(١) انظر: فيض القدير (١/ ١٤٢).

العزيمة في القيام بحق الواحد القهار، على أنه لم يقل هنا أنهم ينصرون بقوة الضعفاء؛ وإنما مراده بدعائهم أو بإخلاصهم أو نحو ذلك مما مر.[1]

۞ فوائد الحديث:

١. أن النصر ليس بالقوة ولا بكثرة العدد، وإن كنّا مأمورين بإقامة ذلك، إنما بصدق تعلق القلب وارتباطه بالله، والقرب منه.

٢. عدم الاستهانة بضعفاء المسلمين، فإنما يحصل النصر ببركة وجودهم بيننا ودعوتهم لنا.

٣. عدم الترفع على أهل لا إله إلا الله ولا التكبر عليهم، ولا الحكم بالظاهر عليهم.

۞ ۞ ۞

(١) انظر: فيض القدير (١/ ١٤٢).

الحديث الحادي والخمسون

النهي عن الغلو والمبالغة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**)) رواه مسلم.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله صحبه وسلم: ((**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**)): قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ثلاثاً، والمتنطعون جمع متنطع، وهو المبالغ في الأمر قولاً وفعلاً، وتنطع في الكلام أي: بالغ فيه كتشدق، والنطع بفتحتين: أعلى الفم من داخل، وحكى بضم ثم سكون.

قال الإمام النووي: ((أَيْ: الْمُتَعَمِّقُونَ الْغَالُونَ الْمُجَاوِزُونَ الْحُدُود فِي أَقْوَالهمْ وَأَفْعَالهمْ)) اهـ.[١]

وقال الخطابي: المتنطع المتعمق في الشيء المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم، وقال في «النهاية»: المغالون في الكلام: المتكلمون بأقصى حلوقهم، مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمق قولاً وفعلاً.

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٦/ ٢٩٦).

قال العاقولي: يدخل في هذا الذم ما يكون القصد فيه مقصوراً على اللفظ، ويجيء المعنى تابعاً للفظ، أما بالعكس فهو الممدوح، وهو أن يدع الرجل نفسه تجري على سجيتها فيما يروم التعبير عنه من المعاني كما قال:

أرسلت نفسي على سجيتها ... وقلت ما قلت غير محتشم[١]

قال الشيخ المناوي: ((وقال النووي: فيه كراهة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم. اهـ.

وقال غيره: المراد بالحديث الغالون في خوضهم فيما لا يعنيهم وقيل: المتعنتون في السؤال عن عويص المسائل الذي يندر وقوعها، وقيل: الغالون في عبادتهم بحيث تخرج عن قوانين الشريعة ويسترسل مع الشيطان في الوسوسة)) اهـ.[٢]

۞ تنبيه مهم:

قال الحافظ ابن حجر: ((وَالتَّحْقِيقُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْبَحْثَ عَمَّا لَا يُوجَدُ فِيهِ نَصٌّ عَلَى قِسْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَبْحَثَ عَنْ دُخُولِهِ فِي دَلَالَةِ النَّصِّ عَلَى اخْتِلَافِ وُجُوهِهَا فَهَذَا مَطْلُوبٌ لَا مَكْرُوهٌ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ فَرْضًا عَلَى مَنْ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ مِنْ الْمُجْتَهِدِينَ .

---

(١) انظر: دليل الفالحين (١/ ٣٢٥).

(٢) فيض القدير (٨/ ٥٠٥).

ثَانِيهِمَا: أَنْ يُدَقِّقَ النَّظَرَ فِي وُجُوهِ الْفَرْقِ فَيُفَرِّقَ بَيْنَ مُتَمَاثِلَيْنِ بِفَرْقٍ لَيْسَ لَهُ أَثَرٌ فِي الشَّرْعِ مَعَ وُجُودِ وَصْفِ الْجَمْعِ، أَوْ بِالْعَكْسِ بِأَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ مُفْتَرِقَيْنِ لِوَصْفٍ طَرْدِيٍّ مَثَلًا، فَهَذَا الَّذِي ذَمَّهُ السَّلَفُ، وَعَلَيْهِ يَنْطَبِقُ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَفَعَهُ " هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ " أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فَرَأَوْا أَنَّ فِيهِ تَضْيِيعَ الزَّمَانِ بِمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ، وَمِثْلُهُ الْإِكْثَارُ مِنْ التَّفْرِيعِ عَلَى مَسْأَلَةٍ لَا أَصْلَ لَهَا فِي الْكِتَابِ وَلَا السُّنَّةِ وَلَا الْإِجْمَاعِ، وَهِيَ نَادِرَةُ الْوُقُوعِ جِدًّا فَيَصْرِفُ فِيهَا زَمَانًا كَانَ صَرْفًا فِي غَيْرِهَا أَوْلَى، وَلَا سِيَّمَا إنْ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَالِ التَّوَسُّعُ فِي بَيَانِ مَا يَكْثُرُ وُقُوعُهُ، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ فِي كَثْرَةِ السُّؤَالِ الْبَحْثُ عَنْ أُمُورٍ مُغَيَّبَةٍ وَرَدَّ الشَّرْعُ بِالْإِيمَانِ بِهَا مَعَ تَرْكِ كَيْفِيَّتِهَا .

وَمِنْهَا مَا لَا يَكُونُ لَهُ شَاهِدٌ فِي عَالَمِ الْحِسِّ كَالسُّؤَالِ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ وَعَنْ الرُّوحِ وَعَنْ مُدَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُعْرَفُ إلَّا بِالنَّقْلِ، وَالْكَثِيرُ مِنْهُ لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ شَيْءٌ، فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ .

وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ مَا وَقَعَ كَثْرَةُ الْبَحْثِ عَنْهُ فِي الشَّكِّ وَالْحَيْرَةِ كَمَا صَحَّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ { لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ هَذَا اللهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ } قَالَ الْحَافِظُ: فَمَنْ سَدَّ بَابَ الْمَسَائِلِ حَتَّى فَاتَهُ كَثِيرٌ مِنْ الْأَحْكَامِ الَّتِي يَكْثُرُ وُقُوعُهَا فَإِنَّهُ يَقِلُّ فَهْمُهُ وَعِلْمُهُ، وَمَنْ تَوَسَّعَ فِي تَفْرِيعِ الْمَسَائِلِ وَتَوْلِيدِهَا، وَلَا سِيَّمَا فِيمَا يَقِلُّ وُقُوعُهُ أَوْ يَنْدُرُ، وَلَا سِيَّمَا إنْ كَانَ

الْحَامِلُ عَلَى ذَلِكَ الْمُبَاهَاةَ وَالْمُغَالَبَةَ فَإِنَّهُ يُذَمُّ فِعْلُهُ، وَهُوَ عَيْنُ الَّذِي كَرِهَهُ السَّلَفُ .

وَمُذْ أُمْعِنَ الْبَحْثُ عَنْ مَعَانِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى مُحَافَظًا عَلَى مَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – وَعَنْ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ شَاهَدُوا التَّنْزِيلَ وَحَصَلَ مِنْ الْأَحْكَامِ مَا يُسْتَفَادُ مِنْ مَنْطُوقِهِ وَمَفْهُومِهِ، وَعَنْ مَعَانِي السُّنَّةِ وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ كَذَلِكَ مُقْتَصِرًا عَلَى مَا يَصْلُحُ لِلْحُجَّةِ فِيهَا، فَإِنَّهُ الَّذِي يُحْمَدُ وَيَنْفَعُ وَيُنْتَفَعُ بِهِ وَعَلَى ذَلِكَ يُحْمَلُ عَمَلُ فُقَهَاءِ الْأَمْصَارِ مِنْ التَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ، حَتَّى حَدَثَتْ الطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ فَعَارَضَتْهَا الطَّائِفَةُ الْأُولَى فَكَثُرَ بَيْنَهُمْ الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ وَتَوَلَّدَتْ الْبَغْضَاءُ وَهُمْ مِنْ أَهْلِ دِينٍ وَاحِدٍ وَالْوَسَطُ هُوَ الْمُعْتَدِلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ قَوْلُهُ – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ فِي الْبَابِ: { فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ } فَإِنَّ الِاخْتِلَافَ يَجُرُّ إِلَى عَدَمِ الِانْقِيَادِ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ حَيْثُ تَقْسِيمُ الْمُشْتَغِلِينَ بِالْعِلْمِ .

وَأَمَّا الْعَمَلُ بِمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَالتَّشَاغُلُ بِهِ، فَقَدْ وَقَعَ الْكَلَامُ فِي أَيِّهِمَا أَوْلَى: يَعْنِي هَلْ الْعِلْمُ أَوْ الْعَمَلُ وَالْإِنْصَافُ أَنْ يُقَالَ كُلُّ مَا زَادَ عَلَى مَا هُوَ فِي حَقِّ الْمُكَلَّفِ فَرْضُ عَيْنٍ .

فَالنَّاسُ فِيهِ عَلَى قِسْمَيْنِ: مَنْ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً عَلَى الْفَهْمِ وَالتَّحْرِيرِ فَتَشَاغُلُهُ بِذَلِكَ أَوْلَى مِنْ إِعْرَاضِهِ عَنْهُ وَتَشَاغُلُهُ بِالْعِبَادَةِ لِمَا فِيهِ مِنْ النَّفْعِ

الْمُتَعَدِّي، وَمَنْ وَجَدَ مِنْ نَفَسِهِ قُصُورًا فَإِقْبَالُهُ عَلَى الْعِبَادَةِ أَوْلَى بِهِ لِعُسْرِ اجْتِمَاعِ الْأَمْرَيْنِ، فَإِنَّ الْأَوَّلَ لَوْ تَرَكَ الْعِلْمَ لَأَوْشَكَ عَلَى أَنْ يُضَيِّعَ بَعْضَ الْأَحْكَامِ بِإِعْرَاضِهِ.

وَالثَّانِي لَوْ أَقْبَلَ عَلَى الْعِلْمِ وَتَرَكَ الْعِبَادَةَ فَاتَهُ الْأَمْرَانِ لِعَدَمِ حُصُولِ الْأَوَّلِ لَهُ وَإِعْرَاضِهِ عَنْ الثَّانِي)) اهـ.[١]

فوائد الحديث:

١. ترك التشدق في الكلام، وتكلف الألفاظ الصعبة في مخاطبة العوام.

٢. بيان أن الغلو في كل شيء سبب لهلاك صاحبه.

٣. المؤمن لا يبحث عما لا يعينه، أو لا يعود عليه بالنفع في دنياه وآخرته.



(١) فتح الباري (١٣/ ٣٠٠).

الحديث الثاني والخمسون

علامة الإيمان

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصبحه وسلم: ((**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الخَيْرِ**)) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي واللفظ له.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**)): الواو للقسم، والذي نفسه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بيده هو الله تعالى في علاه، فهو قسم بالله تعالى، وقد أتي به لتأكيد الأمر بعده، ولا يقسم الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إلا على شيء عظيم، فدل هذا القسم على عظيم ما سيتحدث عنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وخطورته، والقسم يسن لمثل ذلك.

((**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ**))، أي: إيماناً كاملاً، وليس المقصود نفي الإيمان بالكلية.

((**حَتَّى يُحِبَّ**)) بالنصب؛ لأن حتى جاره، وأن بعدها مضمرة، ولا يجوز الرفع فتكون حتى عاطفة، فلا يصح المعنى، إذ عدم الإيمان.. ليس سبباً للمحبة .

((**لِأَخِيهِ**)) المسلم وكذا المسلمة، فالمراد هنا أخوة الإسلام، وهي أوسع من أخوة النسب، وقال الإمام القسطلاني في (إرشاد الساري): ((ويحتمل أن يكون قوله (أخيه) شاملاً للذميّ أيضًا، بأن يحب له الإسلام مثلاً، ويؤيده حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ))، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا، قَالَ: ((اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا)) الحديث رواه الترمذي وغيره من رواية الحسن عن أبي هريرة)) اهـ.(١)

وقال ابن العماد: الأولى أن يحمل على عموم الأخوة؛ حتى يشمل الكافر، فيحبّ لأخيه الكافر ما يحبُّ لنفسه من دخوله في الإسلام كما يحبّ للمسلم دوامه، ومن ثم كان الدعاء بالهداية مستحباً. اهـ.(٢)

((**مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الخَيْرِ**))، أي: مثل ما يحب لنفسه من الخير كما في رواية الإمام أحمد، قال في (فتح الباري): ((والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية، وتخرج المنهيات؛ لأن اسم الخير

---

(١) إرشاد الساري (١/ ١٣٣).

(٢) انظر: دليل الفالحين (٢/ ٢٣).

لا يتناولها، والمحبة إرادة ما يعتقده خيراً)) اهـ،[١] وقد قال الإمام النووي: ((أَصْل الْمَحَبَّة الْمَيْل إِلَى مَا يُوَافِق الْمُحِبِّ، ثُمَّ الْمَيْل قَدْ يَكُون لِمَا يَسْتَلِذُّهُ الْإِنْسَان، وَيَسْتَحْسِنهُ كَحُسْنِ الصُّورَة وَالصَّوْت وَالطَّعَام وَنَحْوهَا وَقَدْ يَسْتَلِذُّهُ بِعَقْلِهِ لِلْمَعَانِي الْبَاطِنَة كَمَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَالْعُلَمَاء وَأَهْل الْفَضْل مُطْلَقًا، وَقَدْ يَكُون لِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، وَدَفْعه الْمَضَارَّ وَالْمَكَارِهَ عَنْهُ)) اهـ.[٢]

وهذا وارد مورد المبالغة، وإلا فلا بد من بقية الأركان حتى يكمل إيمانه.

قال الحافظ ابن حجر: ((والمراد بالنفي كمال الإيمان، ونفى اسم الشيء على معنى نفي الكمال عنه.. مستفيض في كلامهم، كقولهم: (فلان ليس بإنسان)، فإن قيل: فيلزم أن يكون من حصلت له هذه الخصلة مؤمناً كاملاً، وإن لم يأت ببقية الأركان.

أجيب: بأن هذا ورد مورد المبالغة، أو يستفاد من قوله: (لأخيه المسلم)[٣] ملاحظة بقية صفات المسلم، وقد صرح بن حبان من رواية بن أبي عدي عن حسين المعلم بالمراد، ولفظه: ((لَاْ يَبْلُغُ عَبْدٌ حَقِيْقَةَ الإِيْمَانِ))،

---

(١) فتح الباري (١/ ٦٦).

(٢) شرح صحيح مسلم (٢/ ١٩١).

(٣) كما في رواية عند أحمد، والنسائي.

ومعنى الحقيقة هنا الكمال، ضرورة أن من لم يتصف بهذه الصفة.. لا يكون كافراً)) اهـ.[1]

وقد بين العلماء المراد بهذه المحبة، فقال الحافظ ابن حجر: ((وليس المراد أن يحصل لأخيه ما حصل له لا مع سلبه عنه، ولا مع بقائه بعينه له، إذ قيام الجوهر أو العرض بمحلين محال وقال أبو الزناد بن سراج: ظاهر هذا الحديث طلب المساواة، وحقيقته تستلزم التفضيل؛ لأن كل أحد يحب أن يكون أفضل من غيره، فإذا أحب لأخيه مثله.. فقد دخل في جملة المفضولين. قلت: أقر القاضي عياض هذا، وفيه نظر، إذ المراد الزجر عن هذه الإرادة؛ لأن المقصود الحث على التواضع، فلا يحب أن يكون أفضل من غيره، فهو مستلزم للمساواة، ويستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ {القصص: ٨٣}، ولا يتم ذلك الا بترك الحسد، والغل، والحقد، والغش، وكلها خصال مذمومة)) اهـ.[2]

وقال الإمام النووي: ((قَالَ الشَّيْخ أَبُو عَمْرو بْن الصَّلَاح: وَهَذَا قَدْ يُعَدُّ مِنْ الصَّعْب الْمُمْتَنِع، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِذْ مَعْنَاهُ لَا يَكْمُل إِيمَان أَحَدكُمْ

---

(١) فتح الباري (١/ ٦٦).

(٢) فتح الباري (١/ ٦٧).

حَتَّى يُحِبّ لِأَخِيهِ فِي الْإِسْلَام مِثْل مَا يُحِبّ لِنَفْسِهِ، وَالْقِيَام بِذَلِكَ يَحْصُل بِأَنْ يُحِبّ لَهُ حُصُول مِثْل ذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ لَا يُزَاحِمهُ فِيهَا، بِحَيْثُ لَا تَنْقُص النِّعْمَة عَلَى أَخِيهِ شَيْئًا مِنْ النِّعْمَة عَلَيْهِ، وَذَلِكَ سَهْل عَلَى الْقَلْب السَّلِيم، إِنَّمَا يَعْسُرُ عَلَى الْقَلْب الدَّغِل. عَافَانَا اللهَّ وَإِخْوَانَنَا أَجْمَعِينَ)) اهـ.[1]

وهل يبغض لأخيه ما يبغضه لنفسه؟

قال الحافظ ابن حجر: ((**فائدة**: قال الكرماني: ومن الإيمان أيضا أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر، ولم يذكره – أي: في الحديث _ لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاء)) اهـ.[2]

وقال في (عمدة القاري): ((وكذلك الإنسان يحب أن ينتصف من حقه ومظلمته، فإذا كانت لأخيه عنده مظلمة أو حق.. بادر إلى الإنصاف من نفسه)) اهـ.[3]

وقد تقدم في شرح الحديث الثامن قول أبي داود السِّخْتِيَانِيّ أن مدار الدين على أربعة أحاديث وذكر أن أحدها هذا الحديث الذي نحن بصدده.

---

(١) شرح صحيح مسلم (٢/ ١٩٣).

(٢) فتح الباري (١/ ٦٧).

(٣) عمدة القاري (١/ ١٩٥).

۞ فوائد الحديث:

١. أن المؤمن مع المؤمن كالنفس الواحدة، فينبغي أن يحبّ لها ما يحبّ لنفسه من حيث إنها نفس واحدة.

٢. أن من كمال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه.

٣. المؤمن يحمل الخير لكل من يدب على ظهر الأرض.

الحديث الثالث والخمسون

أدب الأكل

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**لَا آكُلُ وَأَنَا مُتَّكِئٌ**)) رواه البخاري.

سبب الحديث:

وكان سبب هذا الحديث: حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ: أَهْدَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ شَاةً، فَجَثَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَأْكُلُ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا هَذِهِ الجِلْسَةُ؟ فَقَالَ: ((إِنَّ اللهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا)) أخرجه ابن ماجه، وفي لفظ عند أبو داود: كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا الْغَرَّاءُ يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ، فَلَمَّا أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى.. أُتِيَ بِتِلْكَ الْقَصْعَةِ، يَعْنِي وَقَدْ ثُرِدَ فِيهَا، فَالْتَفُّوا عَلَيْهَا، فَلَمَّا كَثُرُوا.. جَثَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا هَذِهِ الجِلْسَةُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا))، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: ((كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا، وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا يُبَارَكْ فِيهَا)).

۞ شرح الحديث:

قولـه صـلى الله عليـه وآلـه وصـحبه وسـلم: ((**لَا آكُـلُ وَأَنَـا مُتَّكِـئٌ**)): اختلف في صفة الاتكاء، فقيل: أن يتمكن في الجلوس للأكل على أي صفة كان، وقيل: أن يميل على أحد شقيه، وقيل: أن يعتمد على يده اليسرى من الأرض.

قال الخطابي: تحسب العامة أن المتكئ هو الأكل على أحد شقيه، وليس كذلك؛ بل هو المعتمد على الوطاء الذي تحته.

قال: ومعنى الحديث إني لا أقعد متكئا على الوطاء عند الأكل فعل من يستكثر من الطعام، فإني لا آكل الا البلغة من الزاد، فلذلك أقعد مستوفزا.

وجزم بن الجوزي في تفسير الاتكاء بأنه الميل على أحد الشقين/ ولم يلتفت لإنكار الخطابي ذلك.

وحكى بن الأثير في (النهاية) أن من فسر الاتكاء بالميل على أحد الشقين تأوله على مذهب الطب بأنه لا ينحدر في مجاري الطعام سهلا ،ولا يسيغه هنيئا، وربما تأذى به.

۞ حكم الأكل متكئاً:

حكم الأكل متكئاً مكروه، قال الحافظ ابن حجر: ((فزعم بن القاص أن ذلك من الخصائص النبوية، وتعقبه البيهقي، فقال: قد يكره لغيره أيضاً؛ لأنه من فعل المتعظمين، وأصله مأخوذ من ملوك العجم، قال: فإن

كان بالمرء مانع لا يتمكن معه من الأكل الا متكئاً.. لم يكن في ذلك كراهة، ثم ساق عن جماعة من السلف إنهم أكلوا كذلك، وأشار إلى حمل ذلك عنهم على الضرورة، وفي الحمل نظر، وقد أخرج بن أبي شيبة عن بن عباس وخالد بن الوليد وعبيدة السلماني ومحمد بن سيرين وعطاء بن يسار والزهري جواز ذلك مطلقاً، وإذا ثبت كونه مكروهاً أو خلاف الأولى.. فالمستحب في صفة الجلوس للأكل أن يكون جاثياً على ركبتيه وظهور قدميه، أو ينصب الرِّجل اليمني ويجلس على اليسرى، واستثنى الغزالي من كراهة الأكل مضطجعاً.. أكل البقل، واختلف في علة الكراهة، وأقوى ما ورد في ذلك ما أخرجه بن أبي شيبة من طريق إبراهيم النخعي قال: كانوا يكرهون أن يأكلوا اتكاءة؛ مخافة أن تعظم بطونهم، وإلى ذلك يشير بقية ما ورد فيه من الأخبار، فهو المعتمد ،ووجه الكراهة فيه ظاهر، وكذلك ما أشار إليه بن الأثير من جهة الطب)) اهـ. (١)

۞ فوائد الحديث:

١. على المؤمن أن يجلس على مائدة الطعام على هيئة لا تشعر بالكبر والتفاخر.

٢. الحث على التواضع اقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

---

(١) فتح الباري (٩/ ٦١٣).

الحديث الرابع والخمسون

اختيار الصاحب

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**)) حديث صحيح رواه أحمد، وأبو داود.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا**))، فيه نهي عن موالاة الكفار ومودتهم ومصاحبتهم، قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ {المجادلة: ٢٢}.

قال في (عون المعبود): ((أَيْ كَامِلًا، أَوْ الْمُرَاد النَّهْي عَنْ مُصَاحَبَة الْكُفَّار وَالْمُنَافِقِينَ لِأَنَّ مُصَاحَبَتهمْ مُضِرَّة فِي الدِّين، فَالْمُرَاد بِالْمُؤْمِنِ جِنْس الْمُؤْمِنِينَ)) اهـ.[1]

---

(١) عون المعبود (٨/ ٢٤).

قال المناوي: ((وكامل الإيمان أولى؛ لأن الطباع سراقة، ومن ثم قيل: صحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنا، وإذا مرت على الطيب حملت طيبا)) اهـ.(١)

ويقول الإمام الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر:

وَإِنْ أَرَدْتَ سُنَّةَ النَّبِيِّ ... فَاجْتَنِبَنَّ قُرَنَاءَ السُّوْءِ

وَاْخَتْرِ مِنَ الأَصْحَابِ كُلَّ مُرْشِدِ ... إِنَّ القَرَيْنَ بِالْقَرِيْنِ يَقْتَدِيْ

فَصُحْبَةُ الأَخْيَارِ لِلْقَلْبِ دَوَاءْ ... تَزَيْدُ لِلْقَلْبِ نَشَاطَاً وَقُوَىْ

وَصُحْبَةُ الجُهَّالِ دَاءٌ وَعَمَى ... تَزَيْدُ لِلْقَلْبِ السَّقِيْمِ سَقَمَا

وقال الإمام الشافعي: ليس أحد إلا له محب ومبغض، فإذن لا بد من ذلك، فليكن المرجع إلى أهل طاعة الله.

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه: قطع ظهري رجلان: عالم متهتك، وجاهل متنسك، فالعالم يغر الناس بتهتكه، والجاهل يفتنهم بتنسكه، فعليك بامتحان من أردت صحبته لا لكشف عورة بل لمعرفة الحق اهـ.(٢)

((**وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**))، أي: متورِّع يصرف قوى الطعام إلى عبادة الله؛ لأن المطاعمة توجب الألفة، وتؤدي إلى الخلطة؛ بل هي أوثق عرى المداخلة، ومخالطة غير التقي يخل بالدين، ويوقع في الشبه

---

(١) فيض القدير (٨/ ٦٠٠).

(٢) انظر: فيض القدير (٨/ ٦٠٠).

والمحظورات، فكأنه ينهى عن مخالطة الفجار، إذ لا تخلو عن فساد إما بمتابعة في فعل، أو مسامحة في إغضاء عن منكر، فإن سلم من ذلك، ولا يكاد.. فلا تخطئه فتنة الغير به.

والنهي وإن نسب إلى التقي ففي الحقيقة مسند إلى صاحب الطعام فهو من قبيل لا أرينك ها هنا، فالمعنى: لا تطعم طعامك إلا تقيا.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: إِنَّمَا جَاءَ هَذَا فِي طَعَام الدَّعْوَة دُون طَعَام الْحَاجَة، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَّ سُبْحَانه قَالَ: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ {الإنسان: ٨}، وَمَعْلُوم أَنَّ أُسَرَاءَهُمْ كَانُوا كُفَّارًا غَيْر مُؤْمِنِينَ وَلَا أَتْقِيَاء، وَإِنَّمَا حَذَّرَ عَلَيْهِ السَّلَام مِنْ صُحْبَة مَنْ لَيْسَ بِتَقِيٍّ وَزَجَرَ عَنْ مُخَالَطَته وَمُؤَاكَلَته، فَإِنَّ الْمُطَاعَمَة تُوقِع الْأُلْفَة وَالْمَوَدَّة فِي الْقُلُوب. اهـ.[١]

وقال الطيبي: (ولا يأكل): نهي لغير التقي أن يأكل طعامه، والمراد نهيه عن أن يتعرض لما لا يأكل التقي طعامه من كسب الحرام، وتعاطي ما ينفر عنه التقي، فالمعنى: لا تصاحب إلا مطيعا، ولا تخالل إلا تقيا. اهـ.[٢]

---

(١) انظر: عون المعبود (٨/ ٢٤).

(٢) انظر: تحفة الأحوذي (٥/ ٣٩٩).

فوائد الحديث:

١. الأمر بملازمة الأتقياء ودوام مخالطتهم، وترك الفجار ومجانبتهم.

٢. النهي عن موالاة الكفار ومودتهم.

٣. الحرص على أن يجعل صدقته فيمن يستحقها ممن يستعين بها على طاعة الله لا على معصيته.

الحديث الخامس والخمسون

الشفاء بالذكر

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ دَوَاْءٌ مِنْ تِسْعٍ وَتِسْعِيْنَ دَاْءٍ، أَيْسَرُهَا الهَمُّ**)) حديث حسن رواه ابن أبي الدنيا.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**)) أي: لا حول لي عن المعاصي إلا بعصمة الله وحفظه، ولا قوة لي على الطاعة إلا بإعانة الله وتوفيقه، ففيه التنصّل عن الحول والقوة إلا بالله تعالى في علاه، وإظهار العجز والمسكنة والعبودية لله تعالى.

وقد فسرها بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عندما قالها ابن مسعود رضي الله عنه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم:((تَدْرِي مَا تَفْسِيرُهَا؟)) قال: اللهُ وَرَسُوله أَعْلَم. قَالَ:((لَا حَوْل عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِعِصْمَةِ اللهِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَة اللهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللهِ)) أخرجه البزار والبيهقي.

وقال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم:((قَالَ الْهَرَوِيُّ: قَالَ أَبُو الْهَيْثَم: (الْحَوْل): الْحَرَكَة، أَيْ: لَا حَرَكَة وَلَا اِسْتِطَاعَة إِلَّا بِمَشِيئَةِ الله. وَكَذَا قَالَ ثَعْلَب وَآخَرُونَ، وَقِيلَ: لَا حَوْل فِي دَفْع شَرٍّ، وَلَا قُوَّة فِي تَحْصِيل

خَيْر إِلَّا بِاللهِ، وَقِيلَ: لَا حَوْل عَنْ مَعْصِيَة الله إِلَّا بِعِصْمَتِهِ، وَلَا قُوَّة عَلَى طَاعَته إِلَّا بِمَعُونَتِهِ، وَحُكِيَ هَذَا عَنْ اِبْن مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)) اهـ.[١]

((**دَوَاْءٌ**)): والدواء ما يستخدم لشفاء المرضى بإذن الله تعالى.

((**مِنْ تِسْعٍ وَتِسْعِيْنَ دَاْءٍ، أَيْسَرُهَا الهَمُّ**)): والداء: هو المرض، والتقييد بالعدد موكول إلى علم الشارع، ويحتمل أن المراد: التكثير؛ لكنه يبعده أنه لم يعهد إلا في السبعين ونحوها.

وأيسرها: بمعنى أقلها، والهم: هو الحزن الذي يذيب الإنسان، يقول: همني الشيءُ، أي: أذابني، قال في (فيض القدير): ((والهم هو الحزن الذي يذيب الإنسان، فهو أشد من الحَزَن، وهو خشونة في النفس لما يحصل فيها من الغم، فافترقا، وقال القاضي: الفرق بين الهم والحزن.. أن الحزن على الماضي، والهم للمستقبل، وقيل الفرق بالشدة والضعف، فإن الهم من حيث إن تركيبه أصل في الذوبان، يقال: أهمني المرض بمعنى أذابني، وسنام مهموم مذاب، وسمي به ما يعتري الإنسان من شدائد الغم؛ لأنه ببدنه أبلغ وأشد من الحزن الذي أصله الخشونة)) اهـ.[٢]

وقال أيضاً: ((لأن العبد إذا تبرأ من الأسباب وتخلى من وبالها.. انشرح صدره، وانفرج همه وغمه، وجاءته القوة، والعصمة، والغياث،

---

(١) شرح صحيح مسلم (٤/ ٢٢٨).

(٢) فيض القدير (٢/ ٤٦٥).

والتأييد، والرحمة، وقويت جوارحه الباطنة، وسطت الطبيعة على ما في الباطن من الأدواء فغيرتها ودفعتها)) اهـ.[1]

فوائد الحديث:

١. الحث على كثرة الذكر لله تعالى لما في ذلك من دفع لكثير من البلايا، ولما في ذكره تعالى من الاطمئنان، يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ {الرعد: ٢٨}.

٢. الاكثار من الحوقلة لما فيها من الاستسلام والانقياد لله تعالى، والتبري من الحول والقوة إلى حوله وقوته سبحانه.

(١) المرجع السابق.

الحديث السادس والخمسون

الأمر بالتيسير والتبشير

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**)) رواه البخاري ومسلم.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**يَسِّرُوا**)): هو أمر بالتيسير، أي: خذوا بما فيه التيسير على الناس، بذكر ما يؤلفهم لقبول الموعظة في جميع الأيام؛ لئلا يثقل عليهم فينفروا؛ وذلك لأن التيسير في التعليم يورث قبول الطاعة، ويرغب في العبادة، ويسهل به العلم والعمل.

((**وَلَا تُعَسِّرُوا**))، أي: لا تشددوا.

((**وَبَشِّرُوا**)): من التبشير، وهو إدخال السرور، والبشارة: هي الإخبار بخبر سار، والمعنى: بشروا بفضل الله، وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، وشمول عفوه ومغفرته.

((**وَلَا تُنَفِّرُوا**)): من التنفير، أي: لا تذكروا شيئاً تنهزمون منه، ولا يصدر منكم ما فيه شدة في غير موضعها.

وربما قال القائل: لما ذكر النبي صلى الله عليه وآله صحبه وسلم التعسير بما أن أمر بالتيسير؟ مع ان الامر بالتيسير هو نهي عن التعسير، ومثله كذلك في طلب التبشير؟

فالجواب ما قاله الإمام النووي، فقد قال: ((إِنَّمَا جَمَعَ فِي هَذِهِ الْأَلْفَاظ بَيْن الشَّيْء وَضِدّه ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَفْعَلهُمَا فِي وَقْتَيْنِ، فَلَوْ اِقْتَصَرَ عَلَى يَسِّرُوا لَصَدَقَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَسَّرَ مَرَّة أَوْ مَرَّات، وَعَسَّرَ فِي مُعْظَم الْحَالَات، فَإِذَا قَالَ (وَلَا تُعَسِّرُوا) اِنْتَفَى التَّعْسِير فِي جَمِيع الْأَحْوَال مِنْ جَمِيع وُجُوهه، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوب، وَكَذَا يُقَال فِي (يَسِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا)، (وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا)، لِأَنَّهُمَا قَدْ يَتَطَاوَعَا فِي وَقْت وَيَخْتَلِفَانِ فِي وَقْت، وَقَدْ يَتَطَاوَعَانِ فِي شَيْء وَيَخْتَلِفَانِ فِي شَيْء)) اهـ.[١]

۞ فوائد الحديث:

قال الإمام النووي: ((وَفِي هَذَا الْحَدِيث: الْأَمْر بِالتَّبْشِيرِ بِفَضْلِ اللَّهَ وَعَظِيم ثَوَابه وَجَزِيل عَطَائِهِ وَسِعَة رَحْمَته، وَالنَّهْي عَنْ التَّنْفِير بِذِكْرِ التَّخْوِيف وَأَنْوَاع الْوَعِيد، مَحْضَة مِنْ غَيْر ضَمّهَا إِلَى التَّبْشِير .

وَفِيهِ: تَأْلِيف مَنْ قَرُبَ إِسْلَامه وَتَرْك التَّشْدِيد عَلَيْهِمْ، وَكَذَلِكَ مَنْ قَارَبَ الْبُلُوغ مِنْ الصِّبْيَان، وَمَنْ بَلَغَ وَمَنْ تَابَ مِنْ الْمَعَاصِي كُلّهمْ يُتَلَطَّف بِهِمْ وَيُدَرَّجُونَ فِي أَنْوَاع الطَّاعَة قَلِيلًا قَلِيلًا، وَقَدْ كَانَتْ أُمُور الْإِسْلَام فِي التَّكْلِيف عَلَى التَّدْرِيج فَمَتَى يُسِّرَ عَلَى الدَّاخِل فِي الطَّاعَة أَوْ الْمُرِيد لِلدُّخُولِ

(١) شرح صحيح مسلم (١٢/ ١٨٣).

فِيهَا سَهُلَتْ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ عَاقِبَته غَالِبًا التَّزَايُد مِنْهَا، وَمَتَى عَسُرَتْ عَلَيْهِ أَوْ شَكَّ أَنْ لَا يَدْخُل فِيهَا، وَإِنْ دَخَلَ أَوْ شَكَّ أَنْ لَا يَدُوم أَوْ لَا يَسْتَحِيلهَا .

وَفِيهِ: أَمْر الْوُلَاة بِالرِّفْقِ وَاتِّفَاق الْمُتَشَارِكِينَ فِي وِلَايَة وَنَحْوهَا، وَهَذَا مِنْ الْمُهِمَّات فَإِنَّ غَالِب الْمَصَالِح لَا يَتِمّ إِلَّا بِالِاتِّفَاقِ، وَمَتَى حَصَلَ الِاخْتِلَاف فَاتَ .

وَفِيهِ: وَصِيَّة الْإِمَام الْوُلَاة وَإِنْ كَانُوا أَهْل فَضْل وَصَلَاح كَمُعَاذٍ وَأَبِي مُوسَى، فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَع الْمُؤْمِنِينَ)) اهـ.[١]

❁ ❁ ❁

(١) المرجع السابق.

الحديث السابع والخمسون

الاستحقاق لإمامة الصلاة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِلْقُرْآنِ**)) رواه مسلم، وأحمد.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**يَؤُمُّ**))، أي: يكون إمامً.

((**الْقَوْمَ**)): هم الجماعة من الرجال على الصحيح، قاله الحافظ ابن حجر.

((**أَقْرَؤُهُمْ لِلْقُرْآنِ**))، أي: أعلمهم بعلم القراءة، يقف في مواضع الوقف، ويصل في مَوْضع الوصل، ونحو ذلك من التشديد والتخفيف، وغير ذلك من وجوه القراءة، وقال بعضهم: أن المراد بأقرئهم هو الأفقه، وقال بعضهم: هو على ظاهره.[١]

قال الإمام النووي: ((فِيهِ دَلِيل لِمَنْ يَقُول بِتَقْدِيمِ الْأَقْرَأ عَلَى الْأَفْقَه، وَهُوَ مَذْهَب أَبِي حَنِيفَة وَأَحْمَد وَبَعْض أَصْحَابنَا. وَقَالَ مَالِك وَالشَّافِعِيّ وَأَصْحَابهمَا: الْأَفْقَه مُقَدَّم عَلَى الْأَقْرَأ ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَحْتَاج إِلَيْهِ مِنْ الْقِرَاءَة مَضْبُوط، وَالَّذِي يَحْتَاج إِلَيْهِ مِنْ الْفِقْه غَيْر مَضْبُوط، وَقَدْ يَعْرِض فِي الصَّلَاة أَمْر لَا يَقْدِر عَلَى مُرَاعَاة الصَّوَاب فِيهِ إِلَّا كَامِل الْفِقْه. قَالُوا: وَلِهَذَا قَدَّمَ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أَبَا بَكْر صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

---

(١) انظر: فتح الباري (٢/ ١٩٤).

فِي الصَّلَاة عَلَى الْبَاقِينَ مَعَ أَنَّهُ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم نَصَّ عَلَى أَنَّ غَيْره أَقْرَأ مِنْهُ. وَأَجَابُوا عَنْ الْحَدِيث بِأَنَّ الْأَقْرَأ مِنْ الصَّحَابَة كَانَ هُوَ الْأَفْقَه. لَكِنَّ فِي قَوْله: (فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَة سَوَاء، فَأَعْلَمهُمْ بِالسُّنَّةِ) دَلِيل عَلَى تَقْدِيم الْأَقْرَأ مُطْلَقًا، وَلَنَا وَجْه اِخْتَارَهُ جَمَاعَة مِنْ أَصْحَابنَا: أَنَّ الْأَوْرَع مُقَدَّم عَلَى الْأَفْقَه وَالْأَقْرَأ ؛ لِأَنَّ مَقْصُود الْإِمَامَة يَحْصُل مِنْ الْأَوْرَع أَكْثَر مِنْ غَيْره)) اهـ.[1]

وقال ابن علّان: ((قال القرطبي: تأول أصحاب الحديث بأن الأقرأ في الصدر الأول هو الأفقه؛ لأنهم كانوا يتفقهون مع القراءة فلا يوجد قارئ إلا وهو فقيه، قال: وكان من عُرْفهم تسمية الفقهاء بالقراء اهـ. فلا يشكل على ما قال إمامنا الشافعي وشيخه مالك من تقديم الأفقه على الأقرأ؛ لأن حاجة الصلاة إلى الفقه أتم منها إلى القراءة، وأخذ الإمام أبو حنيفة بظاهر الخبر فقدم الأقرأ على الأفقه، وهو المعبر عنه بأعلمهم بالسنة)) اهـ.[2]

۞ فوائد الحديث:

١. الاعتناء بكتاب الله تعالى وذلك بحفظه وقراءته وتجويده.
٢. احترام الحامل لكتاب الله والقارئ له، وأن ذلك من تعظيم كتاب الله.
٣. تقديم القرآن وعلومه على كل العلوم.

---

(١) شرح صحيح مسلم (٥/ ١١٦).

(٢) دليل الفالحين (٢/ ١٨٤).

الحديث الثامن والخمسون

خطر الدَّيْن

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ**)) رواه مسلم.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ**)): والشهيد هو من مات في قتال الكفار لتكون كلمة الله هي العليا، ومعنى يغفر له: يتجاوز عن سيئاته.

((**كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ**))، أي: إلا ترك وفاء الدين؛ إذ نفس الدين ليس من الذنوب، إلا أن استدان لمعصية، والظاهر أن ترك الوفاء ذنب إذا كان مع القدرة على الوفاء.

وقد يراد به هنا: جميع حقوق العباد من نحو دم ومال وعرض فإنها لا تغفر بالشهادة، وهذا في شهيد البر، أما شهيد البحر.. فيغفر له حتى الدين؛ لقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فيما أخرجه ابن ماجه: ((شَهِيدُ الْبَحْرِ مِثْلُ شَهِيدَيْ الْبَرِّ، وَالْمَائِدُ فِي الْبَحْرِ كَالْمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ فِي الْبَرِّ، وَمَا بَيْنَ الْمَوْجَتَيْنِ كَقَاطِعِ الدُّنْيَا فِي طَاعَةِ اللهِ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَ مَلَكَ الْمَوْتِ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ إِلَّا شَهِيدَ الْبَحْرِ، فَإِنَّهُ يَتَوَلَّى قَبْضَ أَرْوَاحِهِمْ، وَيَغْفِرُ لِشَهِيدِ الْبَرِّ الذُّنُوبَ كُلَّهَا إِلَّا الدَّيْنَ، وَلِشَهِيدِ الْبَحْرِ الذُّنُوبَ وَالدَّيْنَ)).

والكلام فيمن عصى باستدانته أما من استدان حيث يجوز ولم يخلف وفاء فلا يحبس عن الجنة شهيدا أو غيره.

فوائد الحديث:

١. بيان فضل المجاهد في سبيل الله تعالى، المخلص في جهاده.

٢. أن حقوق الآدميين مبنية على المشاحة، فإما أن يرجع الحق إلى صاحبه، أو أن يسامحه حتى تقبل توبته.

٣. أن الشهادة لا تكفر التبعات، وحصول التبعات لا يمنع حصول درجة الشهادة.

الحديث التاسع والخمسون

فضل الذكر والتقرب إلى الله

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ.. ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ.. ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ.. تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا.. تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي.. أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**)) رواه البخاري ومسلم.

۞ شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى**)): هذا من الأحاديث القدسية، والحديث القدسي هو ما يرويه النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عن ربه بالمعنى من غير واسطة، فهو غير القرآن الذي هو كلام الله الذي أنزله جبريل. قال الشيخ محمد منير بن عبده أغا النقلي الدمشقي الأزهري (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، في كتابه (شرح الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية): ((الحديث القدسي: هو ما أخبرَ الله تعالى به نبيه بإلهام، أو مقام، فأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن ذلك المعنى بعبارة من نفسه.

والحديث النبوي: ما يضاف إلى النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لفظًا ومعنى، فيقال: حديث نبوي، ولا يقال له: حديث قدسي.

والقرآن :هو اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم للإعجاز بسورة منه، المتعبد بتلاوته. وفرَّق الفقهاء بينها: بأن القرآن معجز، وكونه معجزة باقية على ممرِّ الدهور محفوظة من التغيير والتبديل)) اهـ.[١]

قال في (عمدة القاري): ((وقال الكرماني هنا: فإن قلت: فهذا قول الله وكلامه، فما الفرق بينه وبين القرآن؟ قلتُ: القرآن لفظه معجز، ومنزل بواسطة جبريل عليه السلام، وهذا غير معجز، وبدون الواسطة، ومثله يسمى بالحديث القدسي، والإلهي، والرباني، فإن قلت الأحاديث كلها كذلك، وكيف وهو ما ينطق عن الهوى، قلتُ: الفرق بأن القدسي مضاف إلى الله، ومروي عنه بخلاف غيره، وقد يفرق بأن القدسي ما يتعلق بتنزيه ذات الله تعالى، وبصفاته الجلالية، والجمالية، منسوباً إلى الحضرة تعالى وتقدس. وقال الطيبي: القرآن هو اللفظ المنزل به جبريل عليه السلام على رسول الله للإعجاز، والقدسي إخبار الله رسوله معناه بالإلهام أو بالمنام، فأخبر النبي أمته بعبارة نفسه، وسائر الأحاديث لم يضفه إلى الله، ولم يروه عنه)) اهـ.[٢]

---

(١) (شرح الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية) طبعة (دار ابن كثير) (٦).

(٢) عمدة القاري (٩/ ١١).

((**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**)): وقد تقدم الكلام عن هذا في شرحنا للحديث الأربعين، ولا بأس بإعادته هنا:

الظَّنُّ: تغليب أحد المُجَوَّزَيْنِ بسبب يقتضي التغليب، فلو خلا عن السبب المُغَلِّبِ.. لم يكن ظناً بل غِرَّةً وَتَمَنِّياً.

وفي معنى الحديث احتمالات، وهي:

الأول: ما قال القاضي عياض: مَعْنَاهُ بِالْغُفْرَانِ لَهُ إِذَا اِسْتَغْفَرَ، وَالْقَبُول إِذَا تَابَ، وَالْإِجَابَة إِذَا دَعَا، وَالْكِفَايَة إِذَا طَلَبَ الْكِفَايَة.

الثاني: أَنَّ الْمُرَاد بِهِ: الرَّجَاء وَتَأْمِيل الْعَفْو، قال الإمام النووي أن هذا هو أصح من الأول.[1]

الثالث: أن يكون تحذيراً مما يجري في نفس العبد مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ {البقرة: ٢٨٤}، وبه قال الْقَابِسِيُّ.

الرابع: قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ قِيلَ مَعْنَاهُ ظَنُّ الْإِجَابَةِ عِنْدَ الدُّعَاءِ وَظَنُّ الْقَبُولِ عِنْدَ التَّوْبَةِ وَظَنُّ الْمَغْفِرَةِ عِنْدَ الِاسْتِغْفَارِ وَظَنُّ قَبُولِ الْأَعْمَالِ عِنْدَ فِعْلِهَا عَلَى شُرُوطِهَا تَمَسُّكًا بِصَادِقِ وَعْدِهِ وَجَزِيلِ فَضْلِهِ.[2]

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١٧/ ٣).

(٢) انظر: طرح التثريب (٧/ ٢٢٨٣).

وقال الحافظ ابن حجر: ((أي: قادر على أن اعمل به ما ظن أني عامل به)) اهـ.

❁ **فائدة:**

قال في (دليل الفالحين): (((فائدة): الظن في الشرع ينقسم إلى واجب كحسن الظن بالله تعالى، وإلى حرام كسوء الظن به تعالى، قال تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ ﴾ {فصلت: ٢٣}، وبكل من ظاهره العدالة، ومندوب وهو حسن الظن بمن ظاهره العدالة من المسلمين، وجائز كظن السوء بمن وقف مواقف التهم)) اهـ.

((**وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي**))، أي: معه بعلمي، وهو نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ {طه: ٤٦}، والمعية المذكورة أخص من المعية التي في قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ ﴾ {المجادلة: ٧}، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ((وقال بن أبي جمرة: معناه فأنا معه حسب ما قصد من ذكره لي، قال: ثم يحتمل أن يكون الذكر باللسان فقط، أو بالقلب فقط، أو بهما، أو بامتثال الأمر واجتناب النهي. قال: والذي يدل عليه الأخبار أن الذكر على نوعين، أحدهما: مقطوع لصاحبه بما تضمنه هذا الخبر، والثاني: على خطر. قال: والأول يستفاد من قوله تعالى: ﴿ فَمَن

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ {الزلزلة: ٧}، والثاني من الحديث الذي فيه: ((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر.. لم يزدد من الله الا بعداً))؛ لكن إن كان في حال المعصية يذكر الله بخوف ووجل مما هو فيه.. فإنه يرجى له قوله: ((فإن ذكرني في نفسه.. ذكرته في نفسي))، أي: إن ذكرني بالتنزيه والتقديس سراً.. ذكرته بالثواب والرحمة سراً، وقال بن أبي جمرة: يحتمل أن يكون مثل قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ {البقرة: ١٥٢}، ومعناه أذكروني بالتعظيم.. أذكركم بالإنعام)) اهـ.(١)

وقال الإمام النووي: ((قَوْله تَعَالَى: { وَأَنَا مَعَهُ حِين يَذْكُرنِي }، أَيْ: مَعَهُ بِالرَّحْمَةِ وَالتَّوْفِيق وَالْهِدَايَة وَالرِّعَايَة، وَأَمَّا قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ {الحديد: ٤}.. فَمَعْنَاهُ بِالْعِلْمِ وَالْإِحَاطَة)) اهـ.(٢)

((فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ))، أي: سراً.

((ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي))، أي: ذكرته بثواب لا أُطْلِعُ أحداً عليه أبداً. قال الإمام النووي: ((قَالَ الْمَازِرِيُّ: النَّفْس تُطْلَق فِي اللُّغَة عَلَى مَعَانٍ: مِنْهَا الدَّم، وَمِنْهَا نَفْس الْحَيَوَان، وَهُمَا مُسْتَحِيلَانِ فِي حَقِّ اللهَّ تَعَالَى، وَمِنْهَا الذَّات، وَاَللهَّ تَعَالَى لَهُ ذَات حَقِيقَة، وَهُوَ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (فِي نَفْسِي)، وَمِنْهَا الْغَيْب،

(١) فتح الباري (١٣/ ٤٣٢).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٧/ ٣).

وَهُوَ أَحَد الْأَقْوَال فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ ﴾ {المائدة: ١١٦}، أَيْ مَا فِي غَيْبِي، فَيَجُوز أَنْ يَكُون أَيْضًا مُرَاد الْحَدِيث، أَيْ إِذَا ذَكَرَنِي خَالِيًا أَثَابَهُ اللهُ، وَجَازَاهُ عَمَّا عَمِلَ بِمَا لَا يَطَّلِع عَلَيْهِ أَحَد)) اهـ.[١]

((وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ))، أي: جهراً.

((ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ))، والمراد بالملأ هنا الملائكة، والتقدير هنا كما قاله الحافظ ابن حجر: إن ذكرني في نفسه.. ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحداً، وإن ذكرني جهراً.. ذكرته بثواب أطلع عليه الملأ.

وقد ذهب القاضي أبو عبدالله الحليمي مع آخرين – كالمعتزلة – إلى أن الملائكة أفضل من الأنبياء ما خلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد فصل السادة الماتريدية في ذلك فقالوا: أن الأنبياء أفضل من رؤساء الملائكة، ورؤساء الملائكة أفضل من عوام البشر، وليس المراد بالعوام هنا ما يشمل الفسّاق، وعوام البشر المذكورون أفضل من عوام الملائكة.

ويدخل في الرؤساء من الملائكة حملة العرش، وهم ثمانية يوم القيامة لمزيد الجلال، أما في.. الدنيا فهم أربعة؛ لأن الله تعالى لما ذكر في الآية الثمانية قال (يومئذٍ) أي: يوم القيامة، أما في الدنيا.. فهم أربعة.

---

(١) المرجع السابق.

وقد ذكر الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أنه قال:((حملة العرش اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيّدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية))، وخرّجه الماوردي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم:((يَحْمِلُهُ اليَوْمَ أَرْبَعَةٌ،وَهُمْ وَيَوْم القِيامَةِ ثَمانِيَةٌ))، وأخرجه كذلك ابن جرير عن ابن زيد.

ومن رؤساء الملائكة الكروبيون، وهم حافون بالعرش، لقِّبوا بذلك لأنهم متصدون للدعاء برفع الكرب عن الأمة.

قال الإمام النووي: ((قَوْله تَعَالَى: ((وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْته فِي مَلَإٍ خَيْر مِنْهُمْ)): هَذَا مِمَّا اِسْتَدَلَّتْ بِهِ الْمُعْتَزِلَة وَمَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى تَفْضِيل الْمَلَائِكَة عَلَى الْأَنْبِيَاء صَلَوَات اللهَّ وَسَلَامه عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَاحْتَجُّوا أَيْضًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ﴾ {الإسراء: ٧٠}، فَالتَّقْيِيد بِالْكَثِيرِ اِحْتِرَاز مِنْ الْمَلَائِكَة، وَمَذْهَب أَصْحَابنَا وَغَيْرهمْ أَنَّ الْأَنْبِيَاء أَفْضَل مِنْ الْمَلَائِكَة لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي بَنِي إِسْرَائِيل: ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ {الجاثية: ١٦}، وَالْمَلَائِكَة مِنْ الْعَالَمِينَ. وَيُتَأَوَّل هَذَا الْحَدِيث عَلَى أَنَّ الذَّاكِرِينَ غَالِبًا

يَكُونُونَ طَائِفَة لَا نَبِيّ فِيهِمْ، فَإِذَا ذَكَرَهُ اللهُّ فِي خَلَائِق مِنْ الْمَلَائِكَة، كَانُوا خَيْرًا مِنْ تِلْكَ الطَّائِفَة)) اهـ.[١]

۞ فائدة:

يمتنع الهجوم فيما لم يرد فيه توقيف.

قال السعد: ولا قاطع في المقامات.

وقال تاج الدين السبكي:((ليس تفضيل المَلَك على البشر مما يجب اعتقاده ويضر الجهل به، ولو لقي المسلمُ اللهَ ساذجاً من المسألة بالكلية.. لم يكن عليه إثم، والسلامة في السكوت عن هذه المسألة)) اهـ.[٢]

((**وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ**))، والشبر: ما بين رأسي الخنصر والإبهام من كف مفتوح، أي: مقدار شبر.

((**تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا**))، أي: بقدر الذراع، والذراع من الإنسان هو: من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى.

((**وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا.. تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا**))، أي: بقدر الباع، والباع: مقياس، وهو طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره،[٣] وهو ما يقارب أربعة أذرع.

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٧/ ٣)

(٢) انظر: المختصر المفيد (١٣٥).

(٣) انظر: إرشاد الساري (١٠/ ٣٨٢).

((وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي.. أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً))، والهرولة: ضرب من المشي السريع، وهي دون العدو.

قال بن بطال: وصف سبحانه نفسه بأنه يتقرب إلى عبده، ووصف العبد بالتقرب إليه، ووصفه بالإتيان والهرولة، كل ذلك يحتمل الحقيقة والمجاز، فحملها على الحقيقة.. يقتضي قطع المسافات ،وتداني الأجسام، وذلك في حقه تعالى محال، فلما استحالت الحقيقة.. تعين المجاز؛ لشهرته في كلام العرب، فيكون وصف العبد بالتقرب إليه شبراً وذراعاً وإتيانه ومشيه معناه: التقرب إليه بطاعته، وأداء مفترضاته ونوافله، ويكون تقربه سبحانه من عبده واتيانه والمشي عبارة عن: إثابته على طاعته، وتقربه من رحمته، ويكون قوله: (أتيته هرولة) أي: أتاه ثوابي مسرعاً. اهـ.[١]

وقال ابن التين: القرب هنا نظير ما تقدم في قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ {النجم: ٩}، فان المراد به: قرب الرتبة، وتوفير الكرامة، والهرولة كناية عن سرعة الرحمة إليه، ورضا الله عن العبد، وتضعيف الأجر. اهـ.[٢]

---

(١) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٧٠).

٢ انظر: المرجع السابق.

قال الإمام النووي: ((قَوْله تَعَالَى: ((وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْت إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْت مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْته هَرْوَلَة)): هَذَا الْحَدِيث مِنْ أَحَادِيث الصِّفَات، وَيَسْتَحِيل إِرَادَة ظَاهِره، وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَام فِي أَحَادِيث الصِّفَات مَرَّات، وَمَعْنَاهُ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِطَاعَتِي تَقَرَّبْت إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي وَالتَّوْفِيق وَالْإِعَانَة، وَإِنْ زَادَ زِدْت، فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِي أَتَيْته هَرْوَلَة، أَيْ صَبَبْت عَلَيْهِ الرَّحْمَة وَسَبَقْته بِهَا، وَلَمْ أُحْوِجه إِلَى الْمَشْي الْكَثِير فِي الْوُصُول إِلَى الْمَقْصُود، وَالْمُرَاد أَنَّ جَزَاءَهُ يَكُون تَضْعِيفه عَلَى حَسَب تَقَرُّبه)) اهـ.[١]

فوائد الحديث:

١. وجوب حسن الظن بالله تعالى.

٢. بيان أن الله تعالى مع العبد بعلمه، فهو يسمع ويرى.

٣. كرم الحق تعالى في علاه، فهو يذكر من ذكره، ويقرب من تقرب إليه، ويجزيه الثواب الأكمل التام.

❁ ❁ ❁

١ شرح صحيح مسلم (١٧/ ٤).

۞ الخاتمة:

وكان الفراغ من هذا الشرح المبارك بإذن الله تعالى ليلة السبت الرابع من شهر رجب الحرام من سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم (٤ رجب ١٤٣٨هـ)، الموافق الأول من شهر إبريل من سنة ألفين وسبعة عشر من ميلاد سيدنا المسيح عيسى بن مريم على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام (١/ ٤/ ٢٠١٧).

وطلبي ممن قرأ هذا الشرح أن يغض الطرف عن تقصيرات العبد العاجز، وأن يصلح ما به من الخطأ إن وجد، وأن يدعو لي، ولوالديَّ، ومشايخي، وزوجتي، وأولادي، وإخواني، ومن له حق علي.

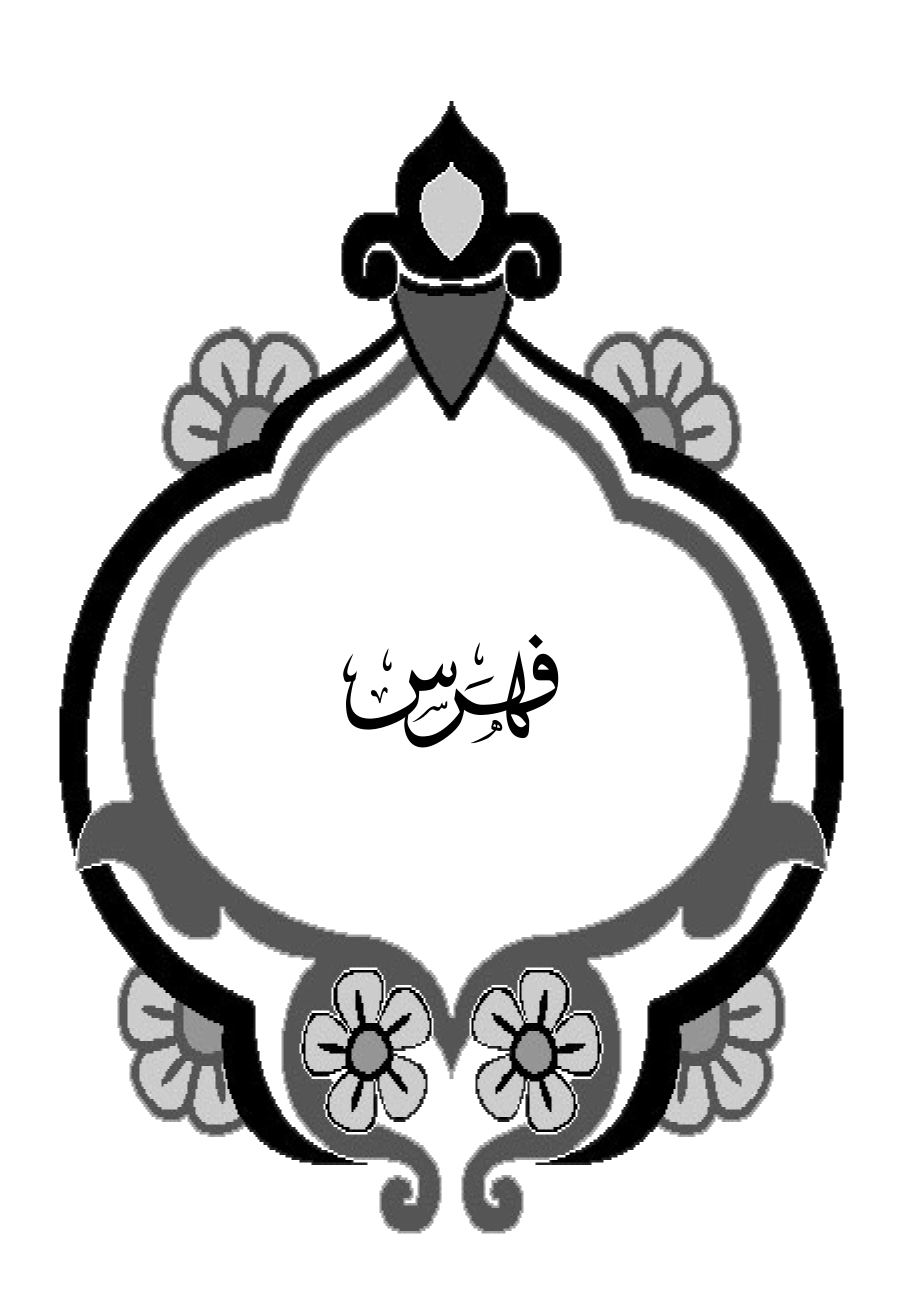
أسأل الله تعالى أن يتقبله بجوده وكرمه ومنِّه، وأن يجعله خدمة لنور قلبي وحبيبي وشفيعي ومولاي وسيدي محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وسبباً لمرافقته في أعلى فراديس الجنان، وسبباً لرضاه عني وعن من له حق علي، وسبباً لرضى والدي وشيخي وبركتي وصاحب الفضل علي ومن منه ألتمس بركتي وعلومي، نور قلبي وبصيرتي، مربي روحي، ومنير طريقي، الإمام العلامة المربي الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

حفظه الله ورعاه، وجميع مشايخي، وأن يغفر لي ولوالديّ ومشايخي وإخواني وزوجتي وأولادي ومن له حق علي.

آمين اللهم آمين

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.


فهرس

فهرس

الموضوع ..	الصفحة

الموضوع .. الصفحة

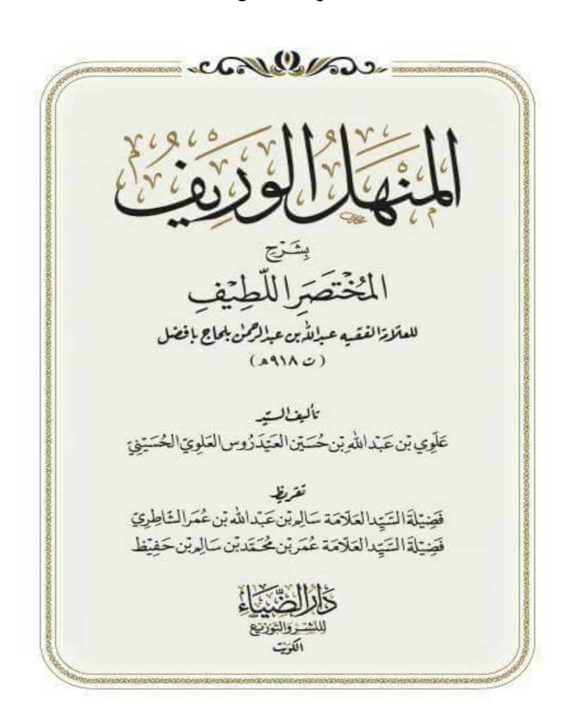
الموضوع .. الصفحة

الموضوع ..	الصفحة

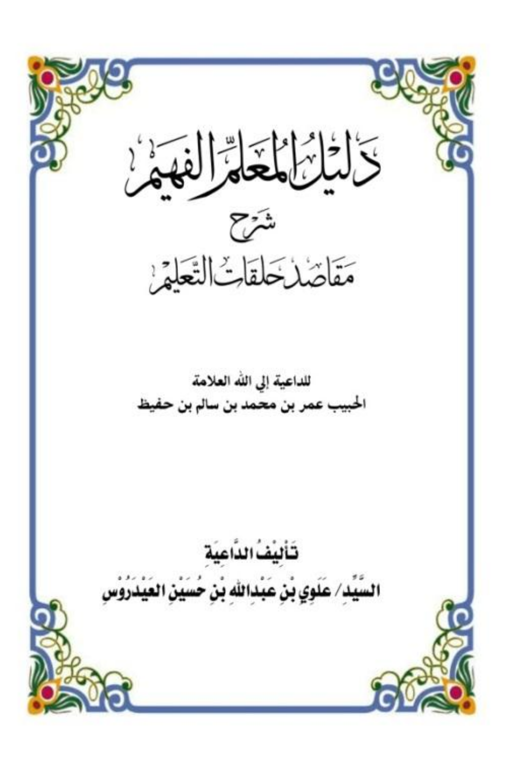
الموضوع .. الصفحة

للتواصل مع المؤلف: ٠٠٩٦٧٧٣٣٢٦٦٨٦١

صدر للمؤلف


المنهل الوريف
بشرح
المختصر اللطيف
للعلامة الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل
(ت ٩١٨هـ)
تأليف السيد
علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس العلوي الحسيني
تقريظ
فضيلة السيد العلامة سالم بن عبدالله بن عمر الشاطري
فضيلة السيد العلامة عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ
دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت


التبصرة العلمية
شرح
التذكرة الحضرمية
للعلامة الحبيب
محمد بن سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر العلوي الحسيني
رحمه الله
تأليف
السيِّد علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس
العلوي الحسيني


دليل المعلم الفهيم
شرح
مقاصد حلقات التعلم
للداعية إلى الله العلامة
الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ
تأليف الداعية
السيد/ علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس


الشرح السديد
لكتاب
دروس التوحيد
للعلامة الحبيب
محمد بن سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر العلوي الحسيني
رحمه الله
شرحه
السيد علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس
العلوي الحسيني

بضاعة الناصحين
شرح
قطوف الفالحين

تأليـــف

السيد علوي بن عبد الله بن حسين العيدروس

العلوي الحسيني

الجزء الأول



بضاعة الناصحين

شرح

قطوف الفالحين

تأليـــف

السيد علوي بن عبد الله بن حسين العيدروس

العلوي الحسيني

الجزء الثاني

الفَوَائِدُ المُؤَلَّفَة
شَرْحُ
الذَّخِيْرَةِ المُشَرَّفَة

تَأْلِيفُ
السَّيِّدِ عَلَوِي بْنِ عَبْدِالله بْنِ حُسَيْنٍ العَيْدَرُوْس
العَلَوِيِّ الحُسَيْنِيِّ

اَلْقَوْلُ المُفِيْد

شَرْحُ الجَوْهَرِ الفَرِيْد
فِي خُلاصَةِ التَّوْحِيْد

تأليف
السيد علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس

إشراقة النور

بشرح نبذة الحبيب العلامة

عبدالرحمن بن محمد المشهور

المتوفى سنة ١٣٢٠هـ

تأليف

السيد علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس

العلوي الحسيني

النور المبين

في

سيرة أمهات المؤمنين

تأليف

السيد علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس

العلوي الحسيني

إرشاد الأنام

إلى

أحكام السلام

جمع السيد

علوي بن عبدالله بن حسين العيدروس